

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي

والعشرين من القرآن الكريم

(سورة التوبة ، الآيات: 129-93 ، سورة يونس ، الآيات: 1-25)

أقر بأن ما اشتغلت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالبة: أسماء محمد سعيد حسونة

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ: 2014/9/24



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية

لماضي وأهداف الحزب الحادي والعشرين من القرآن الكريم

(سورة التوبة الآيات: 93 - 129، وسورة يونس الآيات: 1 - 25)

The analytical study

The purposes and objectives of the party and the twenty-first of the Quran
(Surat of Al- Tawbah verses: 93 - 129, and Surat Younis verses: 1 - 25)

إعداد الطالبة

أسماء محمد حسونة

إشراف الأستاذ الدكتور

عصام العبد زهد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن.

2014 هـ - 1435 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجامعة الإسلامية - غزة
The Islamic University - Gaza

هاتف داخلي 1150

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

Ref
الرقم 35/ج

Date 2014/07/08
التاريخ

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ أسماء محمد سعيد حسونة لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن و موضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والعشرين من القرآن الكريم

سورة التوبة الآيات: 93 - 129، وسورة يونس الآيات: 1 - 25

وبعد المناقشة العلمية التي تمت اليوم الثلاثاء 10 رمضان 1435هـ، الموافق 08/07/2014م الساعة التاسعة والنصف صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:


.....

.....

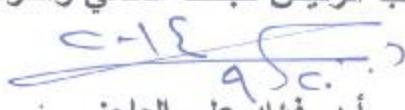

أ.د. عصام العبد زهد مشرفاً ورئيساً
د. رياض محمود قاسم مناقشاً داخلياً
د. سامي محمود أحمد مناقشاً خارجياً

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين / قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصي بها بتفوّق الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنهما.

والله ولي التوفيق ، ،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا


.....
أ.د. فؤاد علي العاجز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

(سورة التوبة، آية: 105)

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الاهداء



- ﴿ إلى من بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة إلى نبي الرحمة، ونور العالمين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم. ﴾
- ﴿ إلى أرواح علماء وشهداء الإسلام - عبر التاريخ - الذين حملوا كتاب الله ﷺ، وأوصلوه لنا من غير تحريف ولا تبديل، والذين كتبوا التاريخ بأحرف من دماء. ﴾
- ﴿ إلى الخالدين من الشهداء، والذين فدوا بأرواحهم أرضنا الحبيبة فلسطين. ﴾
- ﴿ إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمره: (والدي العزيز). ﴾
- ﴿ إلى من كان دُعاؤها سر نجاحي، وحنانها بسلم جراحي، والغالبية على قلبي: (أمي العزيزة). ﴾
- ﴿ إلى من حبهم يجري في عروقي، ويلهج بذكرهم فؤادي إلى إخوتي وأخواتي - رعاهم الله. ﴾
- ﴿ إلى كل طالب علم، خاصة التفسير وعلوم القرآن الكريم. ﴾
- ﴿ إلى كل من حمل حرفاً وكلمةً وآيةً وسورةً من القرآن الكريم، بكل تفانٍ وأمانةٍ وإخلاصٍ لخدمة ونشر دين الله ﷺ. ﴾

إِلَيْهِمْ جَمِيعاً أَهْدِيَ خَتْيَ هَذَا

شُكْرٌ لِّتَقْدِيرٍ

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه قبل سؤالها، وحضرنا على الشكر حذراً من زوالها، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزَعِنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْتَ مَعَنِي﴾ [الأحقاف: 15]، ومن قول رسول الله ﷺ: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (١)، أَحَمَّ اللَّهَ بِحَمْدِهِ بِجَلَلِهِ وَجَمَالِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً يَكْافِي عَطَاءَهُ الْوَاسِعِ؛ أَنْ يَسِّرْ لِي جَمِيعَ السُّبُلِ لِإِتَامِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَأَصْلِي وَأَسْلِمْ عَلَى مَعْلُمَنَا الْأَوَّلِ، وَشَفِيعَنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَبَعْدَ:

اعترافاً بفضل أهل الفضل والعرفان من العلماء الأجلاء، واعترافاً بالجميل والامتنان، فإنه ليسُرُّنِي أَنْ أَنْقُدُمْ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ إِلَى فَضْلِيَّةِ الْأَسْتَاذِ الْدُّكْتُورِ: عَصَامِ الْعَبْدِ زَهْدَ - حَفَظَهُ اللَّهُ - لِقَبْوِلِهِ الْإِشْرَافِ عَلَى الرِّسَالَةِ، وَعَلَى مَا تَكْرُمُ بِهِ مِنْ جَهُودٍ وَتَوْجِيهَاتٍ قَيْمَةً، وَنَصَائِحٍ وَإِرْشَادَاتٍ مُفَيِّدَةً جَعَلَتِ الْبَحْثَ يَخْرُجُ بِهَذَا الشُّكْلِ، فَأَدْعُو اللَّهَ ﷺ أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَأَقْدَمْ عَظِيمَ شَكْرِي لِعَضُوِيِّ لِجَنَّةِ الْمَنَاقِشَةِ، لِتَلَطُّفِهِمَا بِقَبْوِلِهِمَا بِمَنَاقِشَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَهُمَا:

حَفَظُهُ اللَّهُ

الْدُّكْتُورُ / رِيَاضُ مُحَمَّدُ قَاسِمٌ

حَفَظُهُ اللَّهُ

الْدُّكْتُورُ / سَامِيُّ مُحَمَّدُ أَحْمَدَ

وَلَمَا سَيِّدَلَانِهِ مِنْ جَهُودٍ لِإِبْدَاءِ التَّعْدِيلَاتِ الَّتِي تَزِيدُهَا حُسْنَاً، وَلَيُثْرِيَاهَا بِمَلَاحِظَاتِهِمَا الْقِيمَةِ، وَتَوْجِيهَاتِهِمَا السَّدِيدَةِ؛ لِتَقْيِحِ الرِّسَالَةِ، حَتَّى تَخْرُجَ بِإِذْنِ اللَّهِ بِحَمْدِهِ بِأَفْضَلِ مَا يَكُونُ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَالشُّكْرُ مُوصُلٌ لِجَامِعِيِّ الْغَرَاءِ، الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَضِنِ الْعُلَمَاءِ وَمَنَارَةِ الْعِلْمِ بِكَافَةِ دَوَائِرِهَا وَمَعْلَمِيهَا، وَأَخْصَّ بِالذِّكْرِ أَسَانِدِنِي فِي كُلِّيَّةِ أَصْوُلِ الدِّينِ وَخَاصَّةً قَسْمِ التَّفْسِيرِ، وَالشُّكْرُ أَيْضًا لِعَمَادِ الدِّرَاسَاتِ الْعُلَيَا بِجَمِيعِ كَوَادِرِهَا، وَلَكُلِّ مِنْ عِلْمِنِي مِنْذِ الصَّغْرِ.

كَمَا وَأَقْدَمْ شَكْرِي وَامْتَنَانِي لِأَهْلِيِّ الَّذِينَ كَانَ لَهُمُ الدُّورُ فِي تَوْفِيرِ الْجَوِّ الْمَلَائِمِ لِلْدِرَاسَةِ وَتَشْجِيعِهِمُ الدَّائِمِ، وَأَنْقُدُمْ بِخَالِصِ الشُّكْرِ لِأَخِيِّ حَسَامَ، وَزَوْجِ أَخِتِي: إِيَّهَابِ شَحَادَةِ لِمَا بَذَلَاهُ مِنْ جَهُودٍ مَبَارَكَةٍ، وَشَكْرِي مُوصُلٌ لِكُلِّ مِنْ مَدِيدِ الْعُوَنِ لِي أَوْ نَصْحَنِي أَوْ أَعْانِنِي أَوْ أَسْدِي لِي مَعْرُوفًا، وَلَكُلِّ مِنْ سَاهِمٍ فِي إِخْرَاجِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى حَيْزِ النُّورِ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعًا خَيْرَ الْجَزَاءِ.

وَأَخِيرًا أَسَالَ اللَّهَ بِحَمْدِهِ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ مَقْبُولًا، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ.

(١) سنن الترمذى 339/4، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم: 1954
حكم الألبانى: صحيح لغيره.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ وَنَنْتَوْبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلُ لَهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالْتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبَعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَعْجَزَ اللَّهِ الْخَالِدَةِ، وَرَسَالَتُهُ الْبَاقِيَّةُ لِلْبَشَرِ، وَهُوَ أَشْرَفُ كِتَابٍ، وَمُسْتَوْدِعُ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالإِشَارَاتِ الْرِّبَانِيَّةِ، لَذَا عَكَفَ الْعُلَمَاءُ عَلَى خَدْمَتِهِ بِبَيَانِ عِلْمِهِ وَتَقْسِيرِهِ، وَكُلُّ عِلْمٍ يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّهُ يُعْدُ مِنْ أَجْلِ الْعِلُومِ، وَأَشْرَفُهَا قَدْرًا، وَأَعْلَاهَا مَنْزَلَةً، وَأَسْمَاهَا مَكَانَةً، وَمَا مِنْ حِرْفٍ وَلَا لَفْظٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا لَوْجُودُهُ مَعْنَى، وَلَذِلِكَ يَجِدُ عَلَى طَلَابِ الْعِلْمِ الْبَحْثُ وَالْتَّحْقِيقُ وَالنَّهْلُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْعَظِيمِ.

وَمَا مِنْ حِرْفٍ وَلَا لَفْظٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا لَوْجُودُهُ مَعْنَى، وَلَكُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُورَاتِ الْأَهْدَافِ وَمَقَاصِدِهِ، وَهَذَا بِدُورِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللَّهِ الْمَعْجَزِ، الَّذِي أَعْجَزَ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ، وَمِنْ هَنَا أَظَهَرَتْ جَهُودُ الْعُلَمَاءِ عَجَزَ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ عَنِ الْمَحاكَاةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوْ مَضَاهَاتِهِ.

فَجَزِيَ اللَّهُ عَلَمَانَا الْأَفَاضُلُ خَيْرُ الْجَزَاءِ، وَاسْتَكْمَلَ لِجَهُودِهِمُ الْسَّابِقَةِ فِي إِظْهَارِ هَذِهِ الْجَوَانِبِ الْإِعْجَازِيَّةِ وَالْوَقَفَاتِ فَقَدْ وَفَقَنِي اللَّهُ لِكِتَابِهِ رَسَالَتِي بِعِنْوَانِ:

"الْدَّرَاسَةُ التَّحْلِيلِيَّةُ لِمَقَاصِدِ وَأَهْدَافِ الْحَزْبِ الْحَادِيِّ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ"

(سُورَةُ التُّوْبَةِ الْآيَاتُ: 93 - 129، وَسُورَةُ يُونُسَ الْآيَاتُ: 1 - 25)

أولاً: أسباب اختيار البحث:

1. كتبت في هذا الموضوع؛ كونه ضمن الموسوعة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.
2. القرآن الكريم له دور كبير في حياتنا حيث إنه يهذب نفوسنا ويزكيها ويطهراها من الذنوب والخطايا، ويدفعنا نحو الفضائل ومحامد الأخلاق، فحين نفهم القرآن ونتعلمه ونعرف أحكامه ورسالته تكون أسعد الناس وأفضلهم، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]
3. لأن القرآن يقوي الصلة بالله جل جلاله، ويمنح الفوز برضاه.
4. خدمة الإسلام والمسلمين.

5. تشجيع أساننتي في قسم التفسير وعلوم القرآن على البحث في هذا الموضوع وخوض غماره.

ثانياً: أهمية البحث :

نتمكن أهمية هذا البحث في النقاط التالية :

1. تعلق موضوع هذه الدراسة بأشرف العلوم وأرفعها، وأجل الكتب وأكرمها، وهو القرآن الكريم.
2. يَسْتَمدُّ هذا الموضوع أهميته كونه يبحث في التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف الحزب الحادي والعشرين من القرآن الكريم من آية (93 من سورة التوبة إلى الآية 25 من سورة يونس).
3. تتحدث سورة التوبة عن المنافقين وحكم الجهاد، وال المسلمين عامة بأمس الحاجة لمعرفة مثل هذه الموضوعات وخاصة في فلسطين.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. ابتعاد الأجر والثواب من الله ﷺ في الدنيا والآخرة، وذلك من أجل خدمة كتابه الكريم.
2. بيان أهمية التفسير التحليلي، وبيان المقاصد والأهداف الأساسية لسورة التوبة الآية (93-129)، وسورة يونس من أولها إلى الآية (25).
3. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه.
4. بيان الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه، والاهتمام باستخراج المعاني والحكم ولطائف الفوائد التي لا يُتوصل إليها إلا بالتماس الدراسة التحليلية.
5. صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية المعمقة الدقيقة لآيات الدراسة.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في مكتبة الجامعة الإسلامية، وعدد من المكتبات تبين أن موضوع بحثي في سورة التوبة من الآية (93 - 129) قد كُتب فيه رسالة ماجستير بعنوان: "مقاصد وأهداف سورة التوبة"، للباحث حسن الخطيب بالجامعة الإسلامية، ولكنها غير مربطة بالواقع ولم تتناول الجزئيات التي سأناولها في دراسة وتحليل مقاصد وأهداف السورة، أما بالنسبة لسورة يونس فلم أقف على رسالة علمية تتناولها بالدراسة التحليلية.

خامساً: منهج الباحث:

اتبعت الباحثة المنهج التحليلي، والموضوعي في التفسير وكان العمل في البحث على النحو التالي:

1. تقسيم آيات الحزب الحادي والعشرين من سورتي التوبية وبيان إلى مباحث متعددة في ثلاثة فصول جاعلةً لكل مبحث آياته المناسبة له حسب موضوع آيات المبحث نفسه.
2. اعتمدت الباحثة المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة لسورتي التوبية، وبيان، تبين اسم السورة، ومكان نزولها، ومحورها الرئيس، وجو نزولها، و المناسبها لما قبلها وما بعدها.
3. تحديد واستبطاط ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف، وتحليلها وفق المنهج الموضوعي التحليلي، بما فيه من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج: من علوم قرآن، وعلوم اللغة، وإعجاز القرآن، والسنة المطهرة وغيرها.
4. ربط هذه المقاصد والأهداف بواقع الأمة وحالها، بقدر المستطاع بما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها.
5. كتابة الآيات مُشكّلة، وطبقاً للرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، على مدار البحث مع عزوها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة، وليس في حواشي الصفحات؛ وذلك بهدف تخفيف الحواشي.
6. تخريج الأحاديث التي وردت في الرسالة تخريجاً علمياً، مع ذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين.
7. عمل تراجم للشخصيات والأعلام المغمورة الذين وردوا في الرسالة.
8. عزوت الأقوال المقتبسة لأصحابها بما يحقق الأمانة العلمية، مع توثيقها حسب الأصول، وإذا كنت استخلصت المعنى العام من الأقوال فأكتفي في الهاشم بقول (يُنظر)، ثم ذكرت المراجع التي استقت منها، ورجعت إليها.
9. اكتفيت في التوثيق بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم المجلد إن وجد، أو الجزء والصفحة، وتركت مواصفات المرجع لقائمة المراجع، وذلك تخفيفاً للحاشية.
10. الرجوع إلى المراجع الأصلية من كتب التفسير بالتأثر والدرایة.
11. الرجوع إلى المعاجم اللغوية لبيان معاني المفردات الغربية.
12. عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأسهل الطرق وأقربها.

13. ترتيب المصادر والمراجع على حسب الحروف الهجائية.

سادساً: خطة البحث:

وتحقيقاً للأهداف السابقة جاءت الخطة مكونةً من: مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة:

المقدمة: تشمل على العناصر الآتية:

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث.

ثانياً: أهمية موضوع البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: منهجية الباحث في بحثه.

سادساً: خطة البحث.

التمهيد:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها.

أولاً: المقصود بالدراسة التحليلية.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها.

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الثالث: طرق معرفة مقاصد السور، وأهم مصنفاتها.

أولاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات.

ثانياً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورتي التوبة، ويونس

ويشتمل على مطلبيين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة التوبة:

أولاً: اسم السورة، وعدد آياتها، ومكان، وزمان نزولها.

ثانياً: جو نزول السورة.

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة يونس:

أولاً: اسم السورة، وعدد آياتها، ومكان، وزمان نزولها.

ثانياً: جو نزول السورة.

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (110 - 93)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة التوبة من الآية (93 - 99)

المتختلفون عن غزوة تبوك من المنافقين والأعراب، وموقف الإسلام منهم

و فيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مؤاخذة المتختلفين الأغنياء عن الغزوة بغير عذر.

المطلب الثاني: اعتذار المنافقين المتختلفين عن غزوة تبوك.

المطلب الثالث: حلف المتختلفين عن غزوة تبوك الأيمان الكاذبة.

المطلب الرابع: موقف المسلمين من المنافقين المتختلفين عن الغزوة.

المطلب الخامس: كفر بعض الأعراب ونفاقهم.

المطلب السادس: حقيقة إيمان الأعراب.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة التوبه من الآية (100 - 106)

الفئات الإيمانية المختلفة في المدينة

و فيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الطبقات الإيمانية في المجتمع المدني.

المطلب الثاني: جزاء المنافقين في المدينة ومن حولها.

المطلب الثالث: ندم بعض من تخلف عن الغزوة.

المطلب الرابع: حكم أخذ الصدقة.

المطلب الخامس: قبول التوبه والأمر بالعمل الصالح.

المطلب السادس: الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة التوبه من الآية (107 - 110)

مسجد الضرار ومسجد التقوى و موقف الرسول ﷺ منهما

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مسجد الضرار (المنافقين).

المطلب الثاني: مسجد التقوى (قباء).

المطلب الثالث: موقف الرسول ﷺ من مسجد الضرار ، ورد فعل المنافقين.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة التوبه من الآية (111-129)

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة التوبه من الآية (111-119)

الولاء والبراء

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صفات المؤمنين الصادقين.

المطلب الثاني: الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين.

المطلب الثالث: شروط المواجهة (العقاب) على الذنب.

المطلب الرابع: التوبه العامة وشروطها.

المطلب الخامس: التوبه الخاصة على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة التوبه من الآية (120 - 123)

الجهاد في سبيل الله ﷺ

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فريضة الجهاد على أهل المدينة والأعراب، وجزاؤه.

المطلب الثاني: الجهاد فرض كفاية، وطلب العلم فريضة.

المطلب الثالث: السياسة الحربية في قتال الكفار.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة التوبه من الآية (124 - 129)

نزول القرآن على أمين الأنام

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تثبت قلوب المؤمنين عند نزول القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف المنافقين من نزول السور القرآنية.

المطلب الثالث: صفات الرسول ﷺ ذات الصلة بأمته.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يونس من الآية (1 - 25)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (1 - 10)

القدرة الإلهية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحروف المقطعة.

المطلب الثاني: إنكار العرب مهمة الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: العبادة لخالق السموات والأرض.

المطلب الرابع: وعد الله حق.

المطلب الخامس: إثبات القدرة الإلهية في السنن الكونية.

المطلب السادس: المؤمن والكافر وعاقبة كلٍّ منهما.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (11 - 18)

سنن الله في الاستخلاف وموقف الناس منه

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: استعجال الإنسان الخير دائماً.

المطلب الثاني: أحوال البشر في الدعاء إذا مسهم الضرُّ.

المطلب الثالث: سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة والكافرة، واستخلاف خلائق بعدهم.

المطلب الرابع: مطالبة المشركين الرسول ﷺ بقرآن آخر أو تبديل بعض آياته.

المطلب الخامس: عبادة المشركين للأصنام وادعاء شفاعتها.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (19 - 25)

حال المكذبين مع عدل رب العالمين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: فطرة الله الناس على الدين الحق.

المطلب الثاني: مطالبة المشركين نزول آية كونية من رب العالمين.

المطلب الثالث: إنكار الفضل، وزوال الأجر.

المطلب الرابع: عادة الكفار المكر واللجاج، وعدم الإنصاف عند الإنفراج.

المطلب الخامس: المثل البليغ للحياة الدنيا.

المطلب السادس: دعوة الله إلى دار السلمة، والهداية إلى طريق الاستقامة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، متبعة بخمسة من الفهارس على النحو التالي:

1. فهرس الآيات القرآنية.

2. فهرس أطراف الأحاديث النبوية.

3. فهرس الأعلام المترجم لهم.

4. فهرس المصادر والمراجع.

5. فهرس المحتويات.

التمهيد

ويشتمل على مباحثين:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية
والمقصود والأهداف

المبحث الثاني: تعريف عام بسوري التويبة،
ويونس

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية

والمقصود والأهداف

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان
ومتطلباتها.

المطلب الثاني: تعريف المقصود والأهداف، وبيان
أهميتها.

المطلب الثالث: طرق معرفة مقاصد السور، وأهم
مصنفاتها.

المطلب الأول

تعريف الدراسة التحليلية، وبيان ومتطلباتها

إذا نظرنا إلى هذا المصطلح نجد أنه مركبٌ يتكون من لفظين [الدراسة التحليلية]، لذا نرى واجباً علينا أن نُعرّف هذا المصطلح أولاًً بصورةه المنفردة ثم بصورةه المركبة:
أولاًً: المقصود بالدراسة التحليلية:

1. تعريف الدراسة لغةً:

هي مصدر الفعل (درس)، ودرس الكتاب ونحوه أي قراءته لحفظه وفهمه، ودارست فلانا كتاباً لكي أحفظ، ودرس العلم على فلان أي تلقاء عنه وتنتمذ على بيده، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء⁽¹⁾، ودرسته الرياح أي عفته ومحته، ودرسه القوم: عفواً أثراه.⁽²⁾

2. تعريف التحليلية لغةً:

مصدر من الفعل (حلَّ)، وتقول: "حللت العقدة أَحْلُّهَا حَلًّا إِذَا فَتَحْتَهَا فَانْحَلَّتْ"⁽³⁾، والشيء رجعه إلى عناصره يُقال حل الدّم، ويُقال حل نفسية فلان درسها لكشف خبایها.⁽⁴⁾ التحليل: مفرد وهو عملية تقسيم الكل إلى أجزائه ورد الشيء إلى عناصره.

وباختصار: يَتَّخِذُ التحليل أساساً، وتحليل الجملة: "بيان أجزائها ووظيفتها كُلٌّ منها".⁽⁵⁾

3. تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

تعريف الدراسة التحليلية القرآنية من وجهة نظر الباحثة أنها: عبارة عن تفكيك الآية إلى أجزاء، وتحليل كل ما صعب فهمه، والتمعق في أسراره للوصول للهدف المنشود، ومعرفة المراد منه.

(1) ينظر: العين، الفراهيدى 7 / 227، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار ص: 1227، وتحفة الأريب، أبو حيان ص: 127.

(2) ينظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي 16 / 64، ولسان العرب، ابن منظور 6 / 79.

(3) العين 3 / 27، والصحاح تاج اللغة، الفراي 4 / 1672، ومعجم اللغة العربية المعاصرة 1 / 550.

(4) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 1 / 194، ومعجم اللغة العربية المعاصرة 1 / 550.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة 1 / 550.

ثانياً: متطلبات الدراسة التحليلية:

"البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التي تعود على طلابها بالنفع، وثمرته من أشهى الأكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيئة أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نصح ثماره ودنو قطوفه، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفو مشربه، ويحفظ روعة الوحي وجلاله".⁽¹⁾

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم تتناول كلام الله ﷺ لبيان مراده، والغاية منه؛ لذلك يتبعن على أي باحثٍ أو عاملٍ يخوض في غمار هذا المجال ويعيش معه أن تتوافر فيه متطلبات هذه الدراسة؛ لخدمة كتاب الله عزوجل.

وحتى تخرج هذه الدراسة كاملةً ومتكلمةً، تؤدي دورها ورسالتها، فإنها يجب أن ترتكز على عدة أمور منها:

1. متطلبات ذاتية مطلوبة في صاحب الدراسة:

أ. أن يكون صحيح العقيدة؛ لأن صحة العقيدة وسلامتها لها أثرٌ كبيرٌ في نفس صاحبها، وما يحمله من أفكارٍ ومعتقداتٍ تظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً، ولا بد أن تؤثر على دراسته وأهدافه التي يستخلصها أثناء بحثه.

ب. التجرد من الهوى؛ لأن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبيهم، وإثبات صحتها، والتعصب لها، ولو كانت على غير حق، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان.

ج. أن يكون سليم المقصد لينال التسديد، ويكون تقياً، مقبلاً على الطاعات، وقاطعاً لعلاقته مع المنكرات والمعاصي، ليحظى بتوفيق الله عزوجل، ويفتح عليه من بركاته، فهو يعمل في أجل المجالات وأعظمها.

د. حسن الخلق والتواضع ولين الجانب، فالتكبر يحول بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه.

هـ. تحري الصدق والضبط في النقل: فلا يتكلّم أو يكتب إلا عن ثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللحن.

(1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص: 340.

و. أن يتحلى بالتأني والروية، فعليه أن يتأنى حتى يحسن في دراسته ويقويها، ويلم بكل نافعٍ مفيدٍ، أيضاً ليحذر أن يسرد كلامه سرداً سريعاً لا يفهمه القارئ والمتلقي، بل عليه أن يفصل الكلام وبيّنه ويوضحه فيكون مفهوماً.⁽¹⁾

2. متطلبات علمية مطلوبة في صاحب الدراسة:

أ. العلم باللغة العربية وفروعها؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، والمعاني التي تختلف باختلاف الإعراب، ومعرفة علوم البلاغة، إذ لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك الإعجاز بهذه العلوم.

ب. العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، فإن لها عظيم الأثر في هذه الدراسة والوصول بها إلى الأهداف المنشودة كعلم القراءات، وعلم التوحيد، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقييد، والمكي والمدني إلى غير ذلك.

ج. علم الفقه لمعرفة الأحكام الشرعية العملية فيه وبيانها في محلها، وآراء المجتهدين فيه، والأخذ بما هو أقوى دليلاً والأحوط عنده.

د. دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استبطاط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

هـ. أن يبدأ أولاً بتقسيير القرآن، فما أجمل منه في موضع فإنه قد فُصل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر.

و. أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وقد ذكر القرآن أن أحكام رسول الله ﷺ إنما تصدر منه عن طريق الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْعَقِيقَةِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ أَنَّاسَ إِمَّا أَرَكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105]، وقال رسول الله ﷺ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ"⁽²⁾، المقصود به السنة، والأمثلة على أن السنة موضحة للقرآن كثيرة منها: تقسيير (الظلم) بالشرك، وتقسيير (الحساب اليسير) بالعرض.

ز. إذا لم يجد التقسيير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة الذين شاهدوا النبي وعايشوه، وشاهدوا الأحوال التي نزلت فيها الآيات، فإذا لم يجد فيرجع إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رياح، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وغيرهم من التابعين، الذين لقوا أصحاب النبي وتلقوا منهم.⁽³⁾

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن ص: 340-343.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 410/28، مسند الشاميين، باب: حديث المقداد بن معد يكرب الكندي، حديث رقم: 17174، [حكم الألباني: حديث مشهور صحيح].

(3) ينظر: مباحث في علوم القرآن ص: 340-342.

المطلب الثاني

تعريف بالمقاصد والأهداف وبيان أهميتها

أولاً: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات:

1. المقصود لغةً:

أ. استقامة الطريقة: وقصد يقصد قصداً فهو قاصد، قوله ﷺ: **﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّكِيلِ﴾**

[النَّحْل: ٩]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحج والبراهين الواضحة.^(١)

ب. العدل والوسط بين الطرفين: والقصد في الشيء يكون ضد الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة هي أن لا يسرف ولا يقترب، يقال: فلان مقصود في النفقة وقد اقتضى، واقتضى فلان في أمره أي استقام، وقصد في الأمر لم: يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط.^(٢)

ج. الاعتماد والأم، وإتيان شيء وأمه والتوجه والنهوض: تقول قصده يقصده قصداً وقصد له وأقصدني إليه الأمر^(٣)، وفي سر الصناعة لابن جني^(٤): "أصل (ق ص د)، ومواقعها في كلام العرب: الاعتماد والتوجه والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور".^(٥)

د. غاية وهدف: يقول أحمد مختار عمر في كتابه: "مقصد مفرد مقاصد، وهو اسم مكان من قصد، قصد إلى، قصد في، قصد لـ: "مقصدي مكة"، وأيضاً بمعنى غاية، فهو "مقصدي من فعل كذا مساعدته، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها".^(٦)

(١) ينظر: تاج العروس ٩ / 35 - 36، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص: 310، والمجمع الوسيط 2 / 738، ولسان العرب 353 / 5، والعين 5 / 353.

(٢) ينظر: لسان العرب ٣ / 354، العين ٥ / 55، وتاج العروس ٩ / 36، والقاموس المحيط ص: 310.

(٣) ينظر: تاج العروس ٩ / 36، ولسان العرب ٣ / 353، والقاموس المحيط ص: 310.

(٤) عثمان بن جني الموصلي: أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصى وتوفي ببغداد عام ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م)، عن نحو ٦٥ عاماً، وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من تصانيفه: رسالة في

من نسب إلى أمه من الشعراء، وشرح ديوان المتنبي، والمبهج، والمحتسب. [ينظر: الأعلام، الزركلي ٤ / 204].

(٥) تاج العروس ٩ / 36.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة ص: 2495.

2. المقصد اصطلاحاً:

للمقصاد عدة تعريفات اصطلاحية ذكرت في كتب العلماء المعاصرین وأبحاثهم، أما السابقين فلم يحددو تعریفاً جامعاً مانعاً، ومن هذه التعريفات:

عرفها الإمام الشاطبی⁽¹⁾: "إنها كل المعانی الصلحية المقصودة من شرع الأحكام والمعانی الدلالية المقصودة من الخطاب التي تترتب عن تحقيق امتنال المکلف لأوامر الشريعة"⁽²⁾، وعرّفها علّال الفارسي⁽³⁾: "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حکم من الأحكام".⁽⁴⁾

تعريف ابن عاشور⁽⁵⁾: "المعانی والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة".⁽⁶⁾

من خلال التعاريف السابقة لمقصاد الشريعة، يمكن تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنها: معرفة المعانی المقصودة من كلام الله عَزَّلَ، وكشف أسرار كتابه والغاية المقصودة منه.

3. الأهداف لغةً:

جمع هدف من أهداف ودَنَوْتَ منك، والانتقام، والانتصاف من انتصب الأمر أي استوى واعتدل، ويقال: أهدَفَ لِي الشيءُ، وأهدَفَ الْقَوْمُ، أي قُرُبُوا، فهو مُسْتَهْدَفُ، والهدفُ: كل شيء عريض مرتفع وكل بناء مرتفع مشرفٍ، وأهدَفَ الشيءُ إِذ انتصبَ، ومنه سُمِيَ الغرضُ هدفًا، والهدف من الرجال الجسيم الطويل العنق العريض الألواح، وأهدَفَ عَلَى التلِّ أي أشرف وأسرع،

(1) الشاطبی: إبراهیم بن موسی بن محمد اللخی الغرناطی الشهیر بالشاطبی: أصولی حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمۃ المالکیۃ، من کتبه: "الموافقات فی أصول الفقه"، "الاتفاق فی علم الاشتقاد"، "أصول النحو"، الاعتصام فی أصول الفقه"، توفي سنة 790هـ. [ینظر: الأعلام 1/75].

(2) نظرية المقصاد عند ابن عاشور، اسماعیل الحسني ص 115.

(3) علّال الفارسي: هو علّال أو - محمد علّال - بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علّال بن عبد الله بن المجزوب الفاسي الفهري، زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب، ولد بفاس سنة 1326هـ، وتعلم بالقرويين، وتولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية، ودرس في كلية الحقوق، وصدرت له كتب منها: "دفاع عن الشريعة" و "مقاصد الشريعة الإسلامية ومکارمها" وتوفي سنة 1394هـ. [ینظر: الأعلام 4/246-247].

(4) مقاصد الشريعة الإسلامية، علاء الفاسي ص: 7.

(5) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتیین المالکیین بتونس وشیخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد وتوفي ودرس بها، عُنِّیَّ عام 1932 شیخاً للإسلام مالکي المذهب، وهو من أعضاء المجمعين العربیین في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتؤیر في تفسیر القرآن. [ینظر: الأعلام 6/174].

(6) مقاصد الشريعة الإسلامية ص: 51.

وأهدف إليه لجأ، والهدف ما يلجأ إليه⁽¹⁾، هدف إلى الأمر: جعله هدفًا وغرضًا يسعى إليه، هدف إلى مساعدة الفقراء، وتأتي بمعنى القصد.⁽²⁾

4. الأهداف اصطلاحاً:

يوجد تعريفات متعددة للأهداف اصطلاحاً، ونحن في هذه الدراسة لسنا بقصد الحديث عن تعريف الأهداف من الناحية التعليمية، فيوجد لكل تخصص من مجالات العلم المختلفة أهدافه الخاصة به، وبناءً عليه يتم تعريف الأهداف، ونحن بقصد الحديث عن الأهداف من ناحية التربية الدينية، ومن خلال البحث وجدت أقرب التعريف هي: "الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها وتنفيذها، وأهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وأخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد".⁽³⁾

ثانياً: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

أنزل الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ القرآن لهدى الناس، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، هذه الهدى لا تتحقق إلا بالتأمل الدقيق في نصوصه، ومن هنا يأتي علم مقاصد وأهداف السور، فهو علم عظيم الصلة بالقرآن الكريم الذي يعتبر أول مصدر من مصادر التشريع، وأساس الأحكام.

هذا العلم يراد منه الوقوف على الأغراض والمعاني والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها السور والآيات، فلذلك تبرز أهمية هذا العلم فيما يلي:

1. علم مقاصد السور راجعٌ إلى بيان المقصود من إِنْزَالِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُّبِّرَكٌ لِّتَدْبِرُوا مَا يَنْتَهُ وَلِتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْئَبُ﴾ [ص:29]، فالله عَزَّلَ أمرنا بالتدبر والتمدن لمعرفة مراده تعالى من كلامه ثم العمل بمقتضاه، قال الإمام الشاطبي: "فإن كل عاقلٍ يعلم أنَّ مقصود الخطاب ليس هو التفهُّم في العبارة، وإنَّما التفهُّم في معرفة المراد به، وهذا لا يرتاب فيه عاقلٍ"⁽⁴⁾، فمقاصد السور تعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، والشَّهْرُ في آياته ودلالاته.

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، الرازي 6/39، والمعجم الوسيط 2/977، لسان العرب 6/4633 – 4634.

²⁾ ينظر: *معجم اللغة العربية المعاصرة* 3/2333.

(3) المقاصد العامة للشريعة، يوسف حامد العلم ص: 79.

الموافقات، الشاطبي، 262/4 (4)

2. بها تنتظم آيات السورة، وتنظر المناسبات بين آياتها، فتكون لحمةً واحدةً يجمعها معنى واحد "أن من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حق المقصود منها، عرف تناسب آيتها، وقصصها، وجميع أجزائها".⁽¹⁾
3. علم المقاصد يبرز إعجاز القرآن وبلاغته، فإن السور في وحدة بنائها وتناسقها في قمة الإعجاز والبلاغة؛ لذلك تحدى الله تعالى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله، "فالقرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار".⁽²⁾
4. أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصلٌ في فهم معاني كلام الله تعالى.
5. معرفة مقاصد السور سبيل للسلامة من الخطأ أو تفسير كلام الله تعالى على غير مراده.
6. تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يجعل كلام الله تعالى مُؤتَلِّفًا منتزهًا على نحو كمال نظمه ومعانيه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق.
7. أنَّ هذا العلم يرسخ الإيمان، وينير القلب، وتقرُّ به العين.
8. ربط الآيات بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والتدبر في مقصد السورة والتعمر يزيد من تفاعل المفسر والدارس، ويساعده على التطبيق.
9. إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغایيات كلام رب العالمين وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج.⁽³⁾

(1) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي /1 149.

(2) الأساس في التفسير، لسعید حوى 1/25.

(3) ينظر: علم مقاصد السور، محمد عبد الله ربیعة ص 13-11.

المطلب الثالث

طرق معرفة مقاصد السور، وأهم مصنفاتها

أولاً: طرق معرفة مقاصد السور والآيات:

أمرنا الله تعالى بالتدبر في آيات كتابه العزيز، وذلك لهدف عظيم، يغفل عنه كثير من الناس، وهو أن نفهم أهداف القرآن الكريم، والسبب الذي أنزل لأجله، وأن ندرك مقاصده وأن نفهم مراده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنبي عليه مفاتيح الشرعية وما فيها من إخلاص الدين لله تعالى وعبادته وحده لا شريك له وما سنته من الذريعة إلى الشرك بده وجده فإن هذا هو أصل الدين وحقيقة دين المرسلين وتوحيد رب العالمين".⁽¹⁾

نستطيع أن نتعرف على مقاصد السور والآيات وأن نستكشف دلائلها من عدة مصادر:

أ. القرآن الكريم:

هو المصدر الأول لمعرفة مقاصد وأهداف السور والآيات، فهو الطريق السريع الذي يوصلنا لذلك، فمقاصد الشرع تعرف أولاً بكتاب الله تعالى، قال الشاطبي: "نصوص الشارع مفهمة لمقاصده، بل هي أول ما يتلقى منه فهم المقاصد الشرعية"⁽²⁾، وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة تبين لنا أنه المرشد الأول في معرفة المقاصد والأهداف ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

- وضح القرآن الكريم الحكمة والمقصد من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، والحكمة من إنزال الكتب السماوية فقال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَيَّلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].
- ذكر القرآن الحكمة والغاية من خلق الإنسان، وهي تحقيق العبودية لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِلنَّاسَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].
- عندما أمرنا الله تعالى بالصلوة بين لنا المقصد والحكمة من ذلك فقال تعالى: ﴿إِذْ أَصَّلَوْهُ تَنَاهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45].
- ذكر الله تعالى المقصد من فرضية الصيام فقال تعالى: ﴿يَنَّا لَهَا أَلَّذِينَ مَأْمُونًا كُتِبَ عَلَيْنَكُمُ الْصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنَعُونَ﴾ [البقرة: 183].

(1) تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية 2/385.

(2) المواقف: 3/125.

الأمثلة التي ذكرت في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، ويتبين لنا أن القرآن الكريم المصدر الأول في مراعاة الشريعة للمقاصد ومصالح العباد.

ب. السنة النبوية الشريفة:

تعتبر المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ونجد أن النبي ﷺ له بعض الأقوال والأثار الواردة في فضائل السور والآيات بما يؤكد على أنَّ عظم فضل هذه السور والآيات منبثق من عظم مقاصدتها وأهدافها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".⁽¹⁾

يتبيَّن من هذا الحديث أنَّ هناك مقصداً عظيماً من تلاوة سورة البقرة بأنها حرز من الشيطان، وخاصة في بيوتنا التي تشكُّو من عدم الاستقرار، وقلوبنا التي يسكن فيها القلق والاضطراب وعدم الاطمئنان، فتأتِي هذه السورة بمثابة علاج ووقاية للبيوت والقلوب.

من الملاحظ أنَّ النبي ﷺ عندما يبيَّن فضل السورة ومكانتها، إنما يدلُّ ذلك على عظيم مقاصدتها، وأنَّ أفضلية هذه السورة إنما بما تتحققه من مقاصد وغايات. والأمثلة على ذلك في السنة النبوية كثيرةٌ يصعب حصرها.

ج. الآثار الواردة عن السلف:

ما يستعن به على معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات ما ورد عن سلفنا الصالح من التعبير عن السورة باسم أو وصف أو غرض يبيَّن مقصودها، ومن أمثلة ذلك: أن سورة "التجويم" والتي سأقوم بدراستها خلال رسالتي تسمى بعدة أسماء منها: "الفاضحة"؛ وسميت بذلك لأنها كشفت خبايا المنافقين، يقول ابن عاشور في حديثه عن سورة التجويم "ولهذه السورة أسماء أخرى، وقعت في كلام السلف، من الصحابة والتابعين، فروي عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما ندعوها-سورة براءة- (المخشقة)، من قصقشة إذا أبْرَاه من المرض، وكان هذا لقباً لها ولسورة "الكافرون"؛ لأنهما تخلصان من آمن بما فيهما من النفاق والشرك، لما فيهما من الدعاء إلى الإخلاص، ولما فيهما من وصف أحوال المنافقين"⁽²⁾، فجاء الوصف لهذه السورة

(1) صحيح مسلم 539/1، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث رقم: 780.

(2) التحرير والتتوير، محمد الطاهر بن عاشور 10/95.

من خلال مقصودها وهو الحديث عن المنافقين وكشف خبایهم وتوضیح وبيان أوصافهم وكثرة ما ورد فيها من نشر فضائحهم.

ثانياً: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات:

كتب كثيّر من العلماء والمفسرين في علم المقاصد، ولكن منهم من أشار إليه من غير تصريح بلفظ الغرض أو المقصد، وهذا الصنف ظهر في المتقدمين من المفسرين، وبعد ذلك بدأ التصريح بذلك مقصد السورة من بعض المفسرون والعلماء الذين عنوا بهذا العلم وسلكوا به منهجاً، وبناءً على ذلك يمكن تقسيم المفسرين في العناية بهذا العلم إلى الآتي:

1. المفسرون والعلماء الذين صرحاً بمقصد السورة، وكان لهم عناية في هذا العلم، من غير أن يكون لهم تصريح محدد في ذلك من هؤلاء:
 - أ. الرزمخشي: "الكاف الشاف عن حقائق التنزيل"
 - ب. الشاطبي: في كتاب "الموافقات"
2. المفسرون والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السور وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم، ومن هؤلاء:
 - أ. الفيروز أبادي: في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".
 - ب. البقاعي: في كتابه: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور".
 - ج. ابن عاشور: كتابه "التحرير والتنوير".
 - د. سيد قطب: في كتابه "في ضلال القرآن".
 - هـ. وهبة الزحيلي: في كتابه "التفسیر المنير".
 - وـ. تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.
 - زـ. الشيخ صالح آل الشيخ: "مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير".
 - حـ. محمد متولي الشعراوي في خواطره.

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة التوبه ويونس

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة التوبه

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة يونس

المطلب الأول

تعريف عام بسورة التوبه

وفي النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة، وترتيبها، وعدد آياتها:

1. اسم السورة:

سورة التوبه، وسميت بذلك لأن فيها التوبة على المؤمنين، وسورة براءة لأنها بدأت بالبراءة من المشركين.

ولها أسماء كثيرة وعديدة، منها:

- الفاضحة: لما تضمنته من ذكر أسرار المنافقين وأنبائهم، وما في قلوبهم من الكفر وسوء النيات، حتى كادت أن لا تدع أحداً، وعن ابن عباس رض في هذه السورة قال: "إنها الفاضحة ما زالت تنزل فيهم، وتتال منهم، حتى خشينا ألا تدع أحداً".⁽¹⁾

- المُخزية: لكونها أخذت المنافقين.

- المُدمِّدة: لأنها تدمِّم عليهم.⁽²⁾

- البحوث: لأنها تبحث عن أسرار المنافقين.

- المُبَعثرة، والبُعثرة: تبَعث عن أسرار المنافقين تبحث وتحفر عنها وتنثرها.

- المُفْشِّشة: لكونها تقْشَّش من النفاق، أي تبرئ منه.

- الحِافِرَة: لكونها تحفر عن قلوب أهل النفاق.

- المُنَكِّلَة: لما فيها من التنكيل لهم.⁽³⁾

- العذاب: لأن فيها التوبة على المؤمنين، والبراءة من النفاق.⁽⁴⁾

(1) ينظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي 10 / 91، وتقسيم القرآن الكريم، عبد الله شحاته 9 / 1798-1799، والجواهر المضية، النجدي ص: 13.

(2) ينظر: فتح القدير، الشوكاني 2 / 378، وتقسيم المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي 10 / 50، والتفسير المنير 10 / 91.

(3) ينظر: وفتح القدير 2 / 378، والتفسير المنير 10 / 91.

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود 4 / 39، والكشف، الزمخشري 2 / 241، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك 2 / 1510.

- المُثيرة: لأنها أثارت مخاذي المنافقين، ولكونها تثير أسرارهم.⁽¹⁾
- المُهلكة.
- المُشردة: عظيمة المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه في سورة الأنفال قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدَ
بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الأنفال: 57].⁽²⁾

وهكذا ترى الباحثة أن كثرة الأسماء لسورة التوبه تدل على أهمية ما تضمنته السورة من مواضيع كثيرة، فهي تعالج قضايا عديدة حصلت في المجتمع المدني.

2. ترتيب السورة في المصحف:

"هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف الشريف".⁽³⁾

3. عدد آياتها:

لقد اختلف المفسرون في عدد آيات سورة التوبه على قولين، كالتالي:

أولاً: أن عدد آيات سورة التوبه ثلاثون ومائة.⁽⁴⁾

ثانياً: أن عدد آيات السورة تسعة وعشرون ومائة.⁽⁵⁾

ثانياً: مكان، وزمان نزولها:

1. مكان نزولها:

اختلاف العلماء: هل كل آيات السورة مدنية، أم أن بعضها مكي، كالتالي:

أ. نزلت سورة التوبة بالمدينة، وقال القرطبي: "مدنية باتفاق".⁽⁶⁾

(1) ينظر: فتح القدير 2 / 378، والجواهر المضية ص: 13، زاد المسير، الجوزي 230/2، ودرج الدرر، الجرجاني 2 / 857.

(2) ينظر: نظم الدرر، البقاعي 3 / 255.

(3) تفسير القرآن الكريم 9 / 1800.

(4) ينظر: نظم الدرر 3 / 255، وروح البيان، أبو الفداء 3 / 381، وتفسير المراغي 10 / 50، وأيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري 2 / 335.

(5) ينظر: فتح القدير 2 / 378، وفي ظلال القرآن، السيد قطب 3 / 1564، والتفسير الواضح، الحجازي 1/850، والكتشاف 2 / 241، وزهرة التفاسير، أبي زهرة 6 / 3211، والتسهيل لعلوم التزيل، الغزناطي 1 / 331.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 8 / 61، وأيسر التفاسير 2 / 335، وبحر العلوم، السمرقندى 2 / 37، وروح البيان 3 / 381.

ب. أن سورة التوبة مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان.⁽¹⁾

الراجح: يقول الدكتور فضل عباس: "أن سورة التوبة مدنية بدليل سياق الآيات التي وردت فيها"⁽²⁾، وهذا ما ارتأته الباحثة، وذلك لأنها تميزت بالحديث عن المنافقين، وهذه الشريحة لم تكن موجودة في مكة، ولكنها تواجهت بشكل كبير وانتشرت في المدينة، وكذلك تناولها لأحكام القتال في سبيل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من خصائص سور المدنية.

2. زمان نزولها:

"أول السورة نزل سنة تسع بعد فتح مكة، فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقرأها على المشركين في موسم الحج".⁽³⁾

عن البراء بن عازب صَدِيقُ الرَّسُولِ قال: "آخر آية نزلت يَسْتَغْفِرُونَكَ قُلْ أَللَّهُمَّ يُغْفِرِكُمْ فِي الْكَلَّةِ [النساء: 176]، وآخر سورة نزلت براءة".⁽⁴⁾

بعد ذلك نزل معظم سورة التوبة بعد غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا في السنة التاسعة من الهجرة أيضاً.⁽⁵⁾

ما تراه الباحثة وما أجمع عليه معظم العلماء أن آخر ما نزل من القرآن الكريم ما ورد في سور البقرة قوله تعالى: وَأَنَّقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَيْ أَللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: 281]

ثالثاً: جو نزول السورة:

كان الاستعداد لغزوة تبوك وقت القيظ زمن العسرة، وفي أثنائها ظهر من علامات نفاق المنافقين ما كان خفياً من قبل، والسوارة من آخر ما نزل من القرآن الكريم، وفي آخر غزوات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث إنه خرج فيها لغزو الروم، والحر شديد، وحينها طابت الثمار، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وافتضاحاً لنفاق المنافقين.⁽⁶⁾

(1) ينظر: الكشاف 2/ 241، وزهرة التفاسير 6/ 3211، والموسوعة القرآنية، الأبياري 1/ 338، التسهيل لعلوم التنزيل 1/ 331.

(2) إتقان البرهان، فضل حسن عباس 1/ 383.

(3) تفسير المراغي 10/ 50.

(4) صحيح البخاري 6/ 64، كتاب، تفسير القرآن، باب: باب قوله: بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [التوبة: 1]، حديث رقم: 4654.

(5) ينظر: تفسير المراغي 10/ 50، والتفسير المنير 10/ 93.

(6) ينظر: التفسير المنير 10/ 93.

رابعاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية:

1. بيان القانون الأساسي الذي تشد عليه دولة الإسلام، بالتمييز النهائي بين المسلمين والمشركين العرب؛ وذلك لتحديد علاقة المسلمين بأعدائهم في آخر عهد النبوة، ونبذ عهود الذين لم يوفوا بعهودهم بإلغاء معاهدهم، ومنعهم الحج، وتأكيد قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، وبوضع الأساس في قبول بقاء أهل الكتاب في جزيرة العرب، وإباحة التعامل معهم.⁽¹⁾

2. إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع الرسول ﷺ حينما استفراهم، ودعاهم إلى غزو الروم.

3. تناولت السورة (الطابور الخامس) المندس بين صفوف المسلمين ألا وهم (المنافقين) الذين هم أشد خطراً من المشركين، ففضحتهم وكشفت أسرارهم ومخازينهم، التي كانوا عليها، وظللت نفاذهم الحم حتى لم تُبْقَ منهم دياراً، فقد وصل الكيد في التآمر على الإسلام، أن يتخذوا بيوت الله بِيَتِ اللَّهِ أوكاراً للتخرير والتدمير، وإلقاء الفتنة بين صفوف المسلمين.⁽²⁾

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

1. مناسبة السورة لما قبلها:

يوجد تنااسب بين سورة التوبة والسورة السابقة لها سورة الأنفال، فإنه أظهر من التنااسب بين سائر سور بعضها مع بعض، فهي كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيها من أصول الدين وفروعه، والسنن الإلهية والتشريع وجعله في أحكام القتال، وما يتعلّق به من الاستعداد له، وأسباب النصر فيه، وغير ذلك من الأمور الروحية والمالية، وأحكام المعاهدات والمواثيق من حفظها ونبذها عند وجود المقتضي له، وأحكام الولاية في الحرب وغيرها بين المؤمنين بعضهم مع بعض، والكافرين بعضهم مع بعض، كذا أحوال المؤمنين الصادقين والكافر والمذنبين من المنافقين ومرضى القلوب، مما بُدأ به في الأولى أتم في الثانية، ولو لا أن أمر القرآن الكريم في سورة ومقاديرها موقوف على النص لكان الذي ذكرناه مؤيداً من جهة المعانى لمن قال إنها سورة واحدة، كما يؤيده من ناحية ترتيب سور بحسب طولها وقصرها، وتولى السبع الطوال منها، ويليها المؤمن والأنفال دونها.⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم 9/1800، والموسوعة القرآنية 3/237.

(2) ينظر: صفة التقاسير، محمد علي الصابوني 1/518.

(3) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد 10/132، وتفسير المراغي 10/50.

من الأمثلة على الترابط والمناسبة بين السورتين ما يأتي:

- أ. أن العهود ذكرت في سورة الأنفال، وافتتحت سورة التوبة بتفصيل الكلام فيها، ولا سيما نبذهما الذي قيد في الأولى بخوف خيانة الأعداء.
- ب. تفصيل الكلام في قتال المشركين، وأهل الكتاب في كل منهما.
- ج. ذكر في الأولى صد المشركين عن المسجد الحرام، وأنهم ليسوا بأولئك.
- د. ذكر في الأولى الترغيب في إيفاق المال في سبيل الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وجاء مثل هذا الترغيب بأبلغ من ذلك وأوسع في الثانية، وذكرت في الأولى مصارف الغنائم، وفي الثانية مصارف الصدقات.⁽¹⁾
- هـ. ورد ذكر المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الأولى في آية واحدة، وفصل في الثانية أوسع تفصيل، حتى كانت أجرأ لأن تسمى سورة (المنافقون) لو كانت تسمية السور بالرأي.⁽²⁾
- وـ. ذكر في أول الأولى صفات المؤمنين الكاملين، وذكر بعد ذلك بعض صفات الكافرين، ثم ذكر في آخرها حكم الولاية بين كل من الفريقين كما تقدم، وجاء في الثانية مثل هذا في مواضع أيضاً.⁽³⁾
- زـ. سورة الأنفال تحكي جهاد المسلمين في غزوة بدر، وسورة التوبة تصف جهاد المسلمين في معركة تبوك.⁽⁴⁾

حـ. بالرغم من هذا الشبه الموضوعي بين السورتين، وأنهما تُدعيان القراءتين، وأنهما نزلتا في القتال، فإنهما في الأصح سورتان مستقلتان، فليس براءة جزءاً من الأنفال، بدليل كثرة أسمائها المميزة لها، وفصلها عما سبقها، واستقر على ذلك ترتيب السور والآيات، وتناقل المسلمون هذا الفصل في المصحف من عهد الصحابة صَحَّابَةُ الْمَسْكُنِ لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان عَمَّانُ الْمَسْكُنِ.⁽⁵⁾

قال عثمان عَمَّانُ الْمَسْكُنِ: "قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبين لنا أنها منها"، وفي قوله هذا دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه، وأن براءة وحدها ضمّت إلى الأنفال من غير عهد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك، وكانت تدعى القراءتين، فوجب أن تجتمع، وتضم إدحاماً إلى الأخرى للوصف الذي لزمهما من الاقتران، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيّ.⁽⁶⁾

(1) ينظر: الكشاف 2/241، وتفسير المراغي 10/51، وتفسير المنار 10/133.

(2) ينظر: تفسير المراغي 10/51، وتفسير المنار 10/133.

(3) ينظر: تفسير المنار 10/133.

(4) تفسير القرآن الكريم 9/1799.

(5) التفسير المنير 10/93.

(6) ينظر: تفسير القرطبي 8/63.

2. مناسبة السورة لما بعدها:

وجه مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة يونس ﷺ أن سورة التوبه ختمت بذكر رساله النبي ﷺ وأفتتحت بها سورة يونس ﷺ، وأن جل نل في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه، ويفعلونه حين نزول القرآن الكريم، وهذه في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن.⁽¹⁾

(1) ينظر: تفسير المراغي 11/58.

المطلب الثاني

تعريف عام بسورة يونس

وفي النقاط التالية:

أولاً: اسم السورة، وترتيب السورة في المصحف، وعدد آياتها، وهو كالتالي:

1. اسم السورة:

سميت سورة يونس ﷺ في المصاحف وفي كتب التفسير والسنن النبوية الشريفة بهذا الاسم بتوقيف من النبي ﷺ، ولا يعرف لها اسم آخر.⁽¹⁾

وجه تسميتها بهذا الاسم - سورة يونس - لأنها انفردت بذكر قصة نبي الله يونس ﷺ فيها، وهي قصة مثيرة، سواء بالنسبة لشخصه الذي تعرض لالتقاضي العذاب له، أو بالنسبة لما اختص به قومه من بين سائر الأمم، برفع الله ﷺ العذاب عنهم حين آمنوا وتابوا بصدق⁽²⁾، وذلك بعد أن كاد أن يحل بهم البلاء والعذاب، وهذا من الخصائص التي خص الله ﷺ بها قوم يونس لصدق توبتهم وإيمانهم.⁽³⁾

2. ترتيب السورة في المصحف:

سورة يونس هي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة بنى إسرائيل وقبل سورة هود⁽⁴⁾، وهي السورة العاشرة في ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف.

3. عدد آياتها:

عدد آيات سورة يونس مائة وتسعة آيات.⁽⁵⁾

يقول الشيخ كشك في كتابه: " بأن عدد آيات سورة يونس ﷺ مائة وعشر عند الشاميين، وتسعة عشر عند الباقيين".

(1) ينظر: التفسير المنير 11/93.

(2) ينظر: في رحاب التفسير مج 2/1628، وتفسير القرآن الكريم 11/2022، والموسوعة القرآنية 4/3.

(3) ينظر: صفة التفاسير 1/572.

(4) ينظر: الإنقاذ في علوم القرآن، السيوطي 1/41، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي 1/193.

(5) ينظر: بحر العلوم 2/102، والكشف والبيان، أبو إسحاق 5/116، وأنوار التزيل، البيضاوي 3/104، التفسير المنير

93/11

ثانياً: مكان وزمان نزول السورة:

1. مكان نزولها:

اختلف العلماء في تحديد مكية سورة يونس أو مدنيتها على قولين:

أ. سورة يونس العلية مكية⁽¹⁾، وفي رواية عن ابن عباس رض قال: "نزلت سورة يونس بمكة".⁽²⁾

ب. يوجد بعض الأقوال بأن سورة يونس العلية مكية إلا ثلات آيات مدنية من قوله تعالى:

﴿فَإِنْ كُتُتْ فِي شَكٍ مَمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسَعَلِ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَنَّينَ﴾ [يونس: 94]، إلى آخرهن.⁽³⁾

سورة يونس العلية مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر.

قال مقاتل⁽⁴⁾: إلا آيتين وهي قوله: ﴿فَإِنْ كُتُتْ فِي شَكٍ فَلَا نُزِّلَتْ بِالْمَدِينَةِ﴾.

قالت فرقة: نزل من أولها نحو من أربعين آية بمكة، وباقيتها بالمدينة.⁽⁵⁾

الراجح: أن سورة يونس العلية مكية بدليل سياق الآيات التي وردت فيها⁽⁶⁾ حيث إنها تميزت بالحديث عن الأهداف الكبرى والسامية للقرآن الكريم الذي جاء به النبي ﷺ، وهي إثبات نبوة محمد ﷺ، والبعث والمبعث، وهدم الشرك وأهله، والدعوة للإيمان بالله ﷺ، وبالرسالات السماوية السابقة، وهذه من خصائص وسمات السور المكية.

(1) ينظر: التفسير المنير 11/ 93، وبحر العلوم 2/ 102، وصفوة التفاسير 1/ 572، والكشف والبيان 5/ 116، وأنوار التنزيل 3/ 104.

(2) فتح القدير 2/ 479.

(3) ينظر: معالم التنزيل، البغوي 2/ 409.

(4) مقاتل بن حيان: إمام عالم محدث الثقة، كنيته أبو بسطام النبطي، البلاخي، كان خرزاً له حديث في (صحيح مسلم)، وكان من العلماء العاملين، ذا نسب وفضل، يروي عن قتادة وشهر بن حوشب والعراقيين، وروى عنه علقة بن مژد وعُكْنَبَرْ بن معروف، هرب من خراسان أيام أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة، إلى بلاد كابل، فدعاهم إلى الله، فأسلم على يده خلقًّا ووفد على عمر بن عبد العزيز، ثُوفِي بقابل في حدود الخمسين ومائةً. [ينظر: الثقات، ابن حبان 7/ 508، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر 25/ 195، طبقات الحفاظ، السيوطي 83].

(5) ينظر: تفسير القرطبي 8/ 304.

(6) ينظر: إتقان البرهان 1/ 384.

2. زمان نزولها:

نزلت السورة بين رحلة الإسراء والمعراج والهجرة النبوية الشريفة، وكان الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم بمكة المكرمة.⁽¹⁾

ثالثاً: جو نزول السورة:

نزلت سورة يونس السجدة بعد سورة الإسراء، حينما حمى الجدل من المشركين حول صدق الوحي، وحول القرآن الكريم، وما يواجههم به من تسفيه لعقائدهم، ومن تنديد بجاهليتهم، ومن كشف لما في كيانها من تناقض واضح بين ما يعتقدونه من أنَّ الله يَعْلَمُ هو الخالق الرازق، المحيي للمميت، المدبر المتصرف في كل شيء، القادر على كل شيء، وبين ما يدعونه الله يَعْلَمُ من الولد، حيث كانوا يدعون أن الملائكة بنات الله يَعْلَمُ، ويتخذونهم شفاعة عند الله يَعْلَمُ، ويعبدون تماثيلهم من الأصنام على هذا الاعتبار! ثم ما ينشأ عن هذا الاضطراب العقدي من آثار في حياتهم وفي أوله ما كان يزاوله الكهان والرؤساء فيهم من تحريم وتحليل في الثمار والأنعام وجعل نصبياً منها الله يَعْلَمُ، ونصبياً لآلهتهم المُدَعَاة!، وعندئذ كانوا يواجهون حملة القرآن على عقائدهم المهللة وجاهليتهم المتناقضة، بأن يُكتبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نبوته، والوحي إليه من ربِّه، ويزعمون أنه ساحر! وأن يطلبوا منه أن يأتِيهم بخارقة تدل على أن الله يَعْلَمُ أوحى إليه ويفتنون في طلب هذه الخوارق على ما ورد من ذلك في سورة يونس مما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَا يَأْكُلُ مِنْ رَبَيْعٍ فَقُلْ إِنَّمَا الْفَيْبُ لِلَّهِ فَأَنَّتَظِرُوهُ إِنَّمَا مَعَكُمْ مِنْ أَنْتَظِرِينَ ﴾ [يونس: 20].

كذلك كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ أن يأتيهم بقرآن غير هذا، لا يتعرض لآلهتهم وعاقائهم وجاهليتهم كي يستحببوا له ويؤمنوا به!، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتَلَّ عَيْتَهُمْ إِمَّا يَأْتُنَا بِتَنَتِّهِ﴾ قال أَلَّذِيْنَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَتِ بِشَرِّهِ إِنْ عَيْرِهَذَا أَوْ بَدَأْهُمْ [يونس: 15].⁽²⁾

رابعاً: محور المسورة وخطوطها الرئيسية:

يقول جعفر شرف الدين: "م الموضوعات هذه السورة هي موضوعات سور المكية غالباً، وهي الجدل حول مسائل العقيدة والتوجيه إلى آيات الله الكونية، وسنن الله في الأرض، والعظة بالقرون الخواري ومصائرها، وعرض بعض القصص من هذا الجانب الذي تبرز فيه العظة

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم 11/2022، والموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين 4/3.

(2) ينظر: في ظلال القرآن /3 1751 - 1752.

واللمسات الوجданية، التي تتنقل بالإنسان من آيات الله في الكون إلى آياته في النفس، إلى مشاهد القيامة المؤثرة، إلى قصص الماضين ومصائرهم، كأنها جمیعاً حاضرة معروضة للأنظار".

ويقول: "إنَّ هذه السورة تتضمن شيئاً من هذا كله، وينتقل السياق فيها من غرض إلى غرض، بمناسبات ظاهرة أو خفية بين مقاطعها، ولكن جوهرها كله هو هذا الجوّ، حتى ليصعب الفصل بين مقطع ومقطع فيها، في أغلب الأحيان".⁽¹⁾

كذلك هدم الشرك، وإثبات النبوة والبعث والمعاد، والدعوة للإيمان بالرسالات السماوية وخاتمتها القرآن العظيم، وهي موضوعات السور المكية عادة.⁽²⁾

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

1. مناسبتها لما قبلها:

سورة التوبة ختمت بذكر رسالة النبي ﷺ، واختتمت بها سورة يونس، وبدئت هذه السورة بتبييد الشكوك والأوهام نحو إتزال الوحي على الرسول ﷺ، للتبشير والإنذار، وكانت أغلبية آيات السورة المتقدمة في أحوال المنافقين و موقفهم من القرآن الكريم، وهذه في أحوال الكفار والمرتدين وقولهم في القرآن، فالاتصال بالسورة المتقدمة واضح، فقد ذكرت أوصاف الرسول ﷺ التي تستدعي الإيمان به، ثم ذكر هنا الكتاب الذي أنزل، والنبي الذي أرسل، وأن شأن الضالين التكذيب بالكتب الإلهية.⁽³⁾

يلاحظ أنَّه يوجد تناسب واضح بين السور وبين الآيات ضمن السورة الواحدة، فقد تتعدد الأغراض والانتقال من العقيدة إلى العبادة إلى الأخلاق والأمثال والقصص وأحكام السلوك والمعاملات، والحكمة في الفصل بين التاسب في المعاني، أنه أسلوب خاص بالقرآن الكريم وذلك لاجتذاب الأنفس وتشييدها حين التلاوة، وبعد عن السأم والملل، وأدعى إلى التدبر، وشدد انتباه القارئين والسامعين، من خلال المفاجآت والاستطرادات وتحليل بعض القضايا الجانبية. وهناك تناسب بين السور، كسور الطواحين وحواميم وسورتي المرسلات والنبا، وقد يوجد فاصل بينهما كسورتي الهمزة واللهم مع أن موضوعهما واحد.⁽⁴⁾

(1) الموسوعة القرآنية خصائص السور 4/3.

(2) ينظر: التفسير المنير 11/93، وفي ظلال القرآن 3/1753، والموسوعة القرآنية خصائص السور 4/3.

(3) ينظر: التفسير المنير 11/93 - 94.

(4) ينظر: التفسير المنير 11/93-94، وفي رحاب التفسير 2/1631.

2. مناسبتها لما بعدها:

لقد فُصلَّ في سورة هود ما أَجْمَلَ في سورة يومنَ السَّلَامِ من قصصِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهي مناسبة لها في فاتحتها وخاتمتها وتفصيل الدعوة في أثنائها، فقد افتتحتا بذكر القرآن بعد (الر) وذكر رسالة النبي المبلغ عن ربه، وبيان أن وظيفة الرسول ﷺ إنما هي التبشير والإذنار وفي أثنائها ذكر التحدي بالقرآن والرد على الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد افتراء، ومحاجة المشركين في أصول الدين، وختمتا بخطاب الناس بالدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ، ثم أمر الرسول ﷺ في الأولى سورة يومنَ السَّلَامِ بالصبر حتى يحكم الله بينه وبين الكافرين، وفي الثانية سورة هود بانتظار هذا الحكم منه تعالى مع الاستقامة على عبادته والتوكيل عليه.⁽¹⁾

لما ختمت سورة يومنَ السَّلَامِ بالحث على اتباع الكتاب الكريم ولزومه، والصبر على ما يتعقب ذلك من المرائر والشدائد المؤدية إلى الفوز بالخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكرياء والكمال، ابتدأت سورة هود بوصف ما يرَغب فيه، والإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي على ما سلف.⁽²⁾

لقد أَجْمَلَ في كلا السورتين ما فصل في الأخرى من فوائد انفردت بها كل منهما، فقد اتفقا موضوعاً في الأكثر واحتلتفا نظماً وأسلوباً مما لا مجال للشك في أنهما من كلام الرحمن الرحيم، الذي علم الإنسان البيان، وعلمه مالم يكن يعلم.⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير المراغي 11/167، والتفسير الواضح 2/97.

(2) ينظر: نظم الدرر 9/224.

(3) ينظر: تفسير المراغي 11/167، والتفسير الواضح 2/97.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة التوبة، الآيات (93-110)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف من الآية (93 - 99)

المتخلفون عن غزوة تبوك من المنافقين
والأعراب و موقف الإسلام منهم

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف من الآية (100 - 106)

الفئات الإيمانية المختلفة في المدينة

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف من الآية (107 - 110)

مسجد الضرار ومسجد التقوى و موقف الرسول
ﷺ منها

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة التوبة من الآية (93 – 99) المختلفون عن غزوة تبوك من المنافقين والأعراب وموقف الإسلام منهم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مؤاخذة المختلفين الأغنياء عن الغزوة بغير عذر.

المطلب الثاني: اعتذار المنافقين المختلفين عن غزوة تبوك.

المطلب الثالث: حلف المختلفين عن غزوة تبوك الأيمان الكاذبة.

المطلب الرابع: موقف المسلمين من المنافقين المختلفين عن الغزوة.

المطلب الخامس: كفر الأعراب ونفاقهم.

المطلب السادس: حقيقة إيمان الأعراب.

المطلب الأول

مؤاخذة المخالفين الأغنياء عن الغزوة بغير عذر

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبه: 93].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما كان آخر الآيات السابقة التي ببنت ذوي الأعذار أنهم لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم، وأنهم لا يجدون ما يحملهم من إبل أو خيل، ولا يجدون من يمكنهم من الركوب بإعارة أو تبرع أو نحو ذلك، وهم الذين لا سبيل عليهم في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُخْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: 91]، فكان المناسب أن يذكر المقابل لهم: إنما السبيل الواضح السوي، والموصى إلى المؤاخذة والمعاقبة بالحق على الذين يستأذنونك وهم أغنياء الذين يجدون النفقه، ويجدون ما يحملهم، ومع ذلك يعتذرون عن الخروج بمعاذير كاذبة، وهم الذين عليهم السبيل كما هو مذكور في الآية الكريمة.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

السَّبِيلُ: الإنكار، أو المأثم⁽²⁾، وتأتي بمعنى الطريق إلى العاقبة.⁽³⁾

الْخَوَالِفِ: اختلف في معنى الخوالف على النحو الآتي:

أ. الذاري من النساء والصبيان لخالفهم وعجزهم عن تكاليف الجهاد، ويعبر عنهم بربات الدخور.⁽⁴⁾

ب. الخوالف هم العجزة والمرضى.⁽⁵⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازى / 16، وزهرة التفاسير / 3414، ونظم الدرر / 574، ومعالم التنزيل / 10، والتحرير والتوير / 11، والتفسير المنير / 5، والتفسير الوسيط ، الزحلي / 1 / 905-906.

(2) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام / 2 / 44، والنكت والعيون، الماوردي / 2 / 392.

(3) ينظر: نفسي القرآن الكريم / 6 / 1977، وأيسر التفاسير / 2 / 414.

(4) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري / 1 / 389، وتفسير العز بن عبد السلام / 2 / 44، وفي ظلال القرآن / 3 / 1695، والهداية إلى بلوغ النهاية، القيرواني / 4 / 3100، وزهرة التفاسير / 7 / 3415.

(5) ينظر: في ظلال القرآن / 3 / 1695، وأيسر التفاسير / 2 / 414، وفي رحاب التفسير / 2 / 1595.

ج. المختلفون بالنفاق، وهو جمع خالفة.⁽¹⁾

د. "الأشياء الفاسدة التي ترسب في الإناء بعد تفريغه".⁽²⁾

الراجح: ترى الباحثة أنَّ جميع معاني الخوالف تدل على وضعيتهم ودناءة مكانتهم، وما نالوا ذلك إلَّا لأنَّهم تخلوا عن الجهاد من غير عذر مقبول.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلْسِيلُ﴾ إنما كافية ومكفوفة، وقيل: هي للتوكيد والبالغة فيه، وقيل: هي للحصر.⁽³⁾

جملة قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ فيها قولان، وهما كالتالي:

الأول: الجملة استئنافية تعليليةٌ لما سبق، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف.⁽⁴⁾

الثاني: "قيل إنه في محل نصب على الحال، وقد مقدرة"⁽⁵⁾، قاله الكرخي.

الراجح: يظهر مما سبق ذكره أن جملة قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ في محل نصب حال؛ لأنها تصف حالهم وكيفيتهم عندما تخلوا عن الجهاد، والخروج مع الرسول ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ معطوفة على ﴿رَضُوا﴾ رضوا أي سبب الاستئذان مع الغنى أمران:

أ. الرضا بالصفقة الخاسرة وهي أن يكونوا مع الخوالف.

ب. الطبع من الله على قلوبهم.

(1) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام / 2، 44، وتفسير القرآن الكريم / 6، 1977.

(2) زهرة التفاسير / 7، 3415.

(3) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش / 4، 157.

(4) ينظر: الكشاف / 2، 301، ومفاتيح الغيب / 16، 123، وإرشاد العقل السليم / 4، 93، والتحرير والتتوير / 11، 6.

(5) فتح البيان، أبو الطيب القنوجي / 5، 373.

(6) **المعروف الكرخي:** علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، باسم أبيه فیروز، وقيل: فیروزان، من الصابئة، وقيل: كان أبواه نصراين، فأسلموا إلى مؤدب كان يقول له قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروض: بل هو الواحد، فيضرره، فيهرب، فكان والده يقولان: ليته رجع، ثم إن أبواه أسلمما، وذكر السلمي أنه صحب داود الطائي، ولم يصح. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذبيهي / 9، 340].

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كُفِّرُ فِيهَا قُولَانُ، وَهُمَا كَالْتَالِيِّ﴾

الأول: إن ﴿إِنَّمَا﴾ جاءت للبالغة فيما يريد تقريره وتوكيده على نحو ذلك إنما الشجاع عنترة، ويقضي بذلك أنّا نجد السبيل في الشرع على غير هذه الفرق موجوداً، والسبيل قد توصل بعَلَى وَالى فتقول لا سبيل على فلان ولا سبيل إلى فلان غير أن وصولها بعَلَى يقتضي أحياناً ضعف المتوصل إِلَيْهِ وقلة مَتَعِنَّهُ، فلذلك حسنت في هذه الآية، وليس ذلك في إِلَى.⁽¹⁾

الثاني: "أداة حصر وقصر، أي لا سبيل للعتاب أو اللوم أو العقاب أو الإنكار إِلَّا على الذين يبادرون بالاستئذان، وهم أَغْنِيَاء".⁽²⁾

الراجح: الدراسة تكشف وتوضح أن ﴿إِنَّمَا﴾ أداة قصر وحصر لأن اللوم والعتاب والإِنكار على الذين طلبوا الإِذن وتخلفوا عن الجهاد والخروج مع الرسول ﷺ من غير عذر لهم.

ب. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْبَيْلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ مستعار لمعنى السلطان، والمؤاخذة بالتبعية، شَبَهَ السلطان والمؤاخذة بالطريق لأن السلطة يُتوصل بها إلى تنفيذ المؤاخذة في الغير، ولذلك عدي بحرف (عَلَى) المفيد لمعنى الاستعلاء، وهو استعلاء مجازي بمعنى التمكّن من التصرف في مدخل (عَلَى)، فكان هذا الترکيب استعارة مكّنية رمز إليها بما هو من ملائمات المشبه به وهو حرف (عَلَى)، وفيه استعارة تبعية.

ج. التعريف باللام في قوله: ﴿إِنَّمَا أَسْبَيْلُ﴾ تعريف العهد، والمعهود هو السبيل المنفي في قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: 91]، على قاعدة النكرة إذا أعيدت معرفة، أي إنما السبيل المنفي عن المحسنين مثبت للذين يستأذنونك وهم أَغْنِيَاء.⁽³⁾

د. قوله تعالى: ﴿أَغْنِيَاءُ﴾ كلمة الغنى لا تطلق على المال فقط، بل تتطبق على من فيه شروط الجهاد، إذن: فاللهم والتوبّخ والإِثم على الأَغْنِيَاءِ بهذه الأشياء، وطلّبوا أن يقعّدوا عن الجهاد.⁽⁴⁾

(1) ينظر: المحرر الوجيز، أبو محمد الأندلسي / 3 / 71، وفتح البيان / 5 / 373.

(2) زهرة التفاسير / 7 / 3414.

(3) ينظر: التحرير والتوبير / 11 / 5 - 6.

(4) ينظر: نقسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي / 9 / 5418.

هـ. **﴿الْخَوَالِفُ﴾**: فيه استعارة مكنية وهن النساء المقيمات في دار الحي بعد رحيل الرجال، وإنما سميت النساء خوالف تشبّهًا لهن بالخوالف وهي الأعمدة تكون في أواخر بيوت الحي فشبّههن لكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت.⁽¹⁾

و. أُسند الطبع على قلوبهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية بخلاف ما في الآية السابقة، وهو قوله تعالى: **﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** [التوبه: 87] لعله للإشارة إلى أنه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه بل هو طبع على طبع أشأه الله عَزَّ وَجَلَّ في قلوبهم لغضبه عليهم فحرّمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عمامة⁽²⁾، "فلا يخرج من قلوبهم ولو كان قدراً ضئيلاً من النفاق، ولا تغادر قلوبهم ذرة من كفر، ولا يتسرّب إلى قلوبهم ذرة من إيمان".⁽³⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

توضّح الآية الكريمة أنَّ السبيل بالمعاتبة والمعاقبة بأنواع العذاب ليس على الدين لهم عذر، ولكنها على الذين يستأذنون في التخلف، وترك الجهاد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أهل غنى وقوٍّ وطاقتٍ قادرٌون بالجسد والمال للجهاد والغزو، نفّاقاً وشكّاً في وعد الله عَزَّ وَجَلَّ ووعيده، إلَّا أنَّهم قد رَضُوا من خبث بواطنهم، ومرض قلوبهم بِأَنْ يَكُونُوا وِيَجْلِسُوا بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع النساء والصغار وهم (الخوالف)، وهم المعذورون غير المستطيعين.⁽⁴⁾

﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: وختم الله عَزَّ وَجَلَّ المذلُّ المضلُّ لأهل العفة والعناد على قلوبِهِمْ بالجهل والضلال بما كسبوا من الذنوب⁽⁵⁾، فقد أغلق الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم منافذ الشعور والعلم، وعطل فيهم أجهزة الاستقبال والإدراك، بما ارتكبوا لأنفسهم من الخمول والبلادة، والاحتياج عن مزاولة النشاط الحركي، وما يؤثّر الإنسان السلامنة الذليلة والراحة البليدة إلَّا وقد فرغت نفسه من دوافع التطلع والتذوق والتجربة والمعرفة، فوق ما فرغت من دوافع الوجود والشهود والتأثر والتأثير في واقع الحياة، وبلادة الراحة تغلق المنافذ والمشاعر، وتطبع على القلوب والعقول، والحركة دليل الحياة، ومحرك في الوقت ذاته للحياة.⁽⁶⁾

(1) ينظر: صفة التفاسير / 1 / 517.

(2) ينظر: التحرير والتنوير / 11 / 6، وتفسير الشعراوي / 9 / 5420-5421.

(3) تفسير الشعراوي / 9 / 5420-5421.

(4) ينظر: جامع البيان / 14 / 423-424، والفواتح الإلهية، الشيخ علوان / 1 / 315.

(5) ينظر: جامع البيان / 14 / 423-424، والفواتح الإلهية / 1 / 315، ومحاسن التأويل، محمد جمال القاسمي .479 / 5.

(6) ينظر: في ظلال القرآن / 3 / 1695.

﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي ما يترتب عليهم من المصائب الدينية والدنيوية، وسوء عاقبتهم، بتأخليهم عنك، وتركهم الجهاد معك، وما عليهم من قبيح الثناء في الدنيا، وعظيم البلاء في الآخرة⁽¹⁾، ويقول السمرقندى في كتابه: "وهم لا يعلمون التوحيد"⁽²⁾، والإنسان قد لا يفهمه ولا يفقهه، ولكن قد يفهمه غيره ويعلمه هو عنه، لذلك نفي الفقه أو الفهم لا ينفي العلم، ولكن حين ينفي العلم فهو ينفي الفهم عن الذات، وينفي الفهم عن الغير، ولذلك حين يقال: (لا يفهُون): لا يفهمون بذواتهم، أما إذا قلنا: (لا يَعْلَمُونَ) فالمقصود أنهم يفهمون ولا يتعلمون، ولذلك نجد (لا يفهُون) في موضع، ونجد (لا يَعْلَمُونَ) في موضع آخر، وكل تناسب موقعها الذي ذكرت فيه⁽³⁾، فأخبر عَزَّلَ أنهم لم يعرفوا الشيء بغيره ولا بنفسه؛ عناداً منهم ومكابرة.⁽⁴⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص :

الفكرة العامة ل الآية من وجهة نظر الباحثة هي التخاذل عن الجهاد والنفير مع القدرة عليه، والرضا بمراتب المتخاذلين والمختلفين هرباً من المشاركة في صفوف المتقديرين المجاهدين، والعاقبة الوخيمة، والتهديد بالطبع على قلوب هؤلاء فلا يرون معروفاً ولا ينكرون منكراً، ولا مجال - بالأمر الإلهي - لقبول عذرهم، والعقوبة فضح وكشف ستارٍ من الله عَزَّلَ.

وترتبط الآية بالواقع الذي نعيشه في العديد من الأوجه، وهي نصرة المستضعفين من خلال:

﴿الجهاد﴾ :

إنَّ كثِيرًا من المسلمين اليوم يتخاذلون عن الجهاد والنفير والنصرة لإخوانهم في مواطن قتال اليهود والكافر في (فلسطين والعراق) وغير محلٍّ من بلاد الإسلام مع قدرتهم الجسدية والمادية للمشاركة، مُتذمِّعين بأوهى الحجج وأضعف الأدلة وأتفه الأسباب لتبرير عدم مشاركتهم، حتى أنَّ من لا يستطيع المشاركة منهم بنفسه فإنه يدخل أن ينصر المسلمين بماله، وهذا نزاه واقعاً غريباً عجياً في بلاد الإسلام اليوم، حيث التخاذل الواضح من (الأغنياء) وأصحاب رؤوس الأموال ومن من الله عَزَّلَ عليهم وفتح عليهم من واسع فضله، فإنهم يتخاذلون أن ينصروا بأموالهم أهل فلسطين وسوريا والعراق وبورما وغيرها، وترى بعضهم ينفق الملايين على المغنيين والغنيات، وتشتَّتُ أنفسهم ويغضبون إذا ما سئلوا أن يعطوا إخوانهم في العقيدة أصحاب الابتلاء حملة راية الجهاد والصبر والمصابة.

(1) ينظر: جامع البيان 14/ 423-424، والفواتح الإلهية 1/ 315، ومحاسن التأويل 5/ 479.

(2) بحر العلوم 2/ 82.

(3) ينظر: تفسير الشعراوي 9/ 5420-5421.

(4) ينظر: تأوiyات أهل السنة، الماتريدي 5/ 453.

هؤلاء رضروا بأن يكونوا ليس فقط مع الخوالف الذين يختلفون عن النصرة ويلزمون ببيوتهم كالنساء المرخص لهن ذلك، لكنهم يحاربون ويجبهون من يريد التفير والنصرة والدعم لأهل الجهاد والرباط، وذلك يتضح جلياً في حكام بلاد المسلمين اليوم سائرون - إلّا من رحم الله -، حتى أولئك الذين تستروا بدعم (المقاومة) فإنهم بلا شك أول من يحارب أهل النصرة والجهاد والله المستعان.

﴿الزكاة والصدقة﴾

نجد في زماننا أن كثيراً من أغنياء المسلمين يتخاذلون عن أداء حق الله في أموالهم، وهو فريضة كما الجهاد في سبيل الله، فترى كثراً منهم (يستئذنونك) أي أنهم يحاولون التحايل على شروط الزكاة أو حتى مصارفها فترى بعض التجار يعطي زكاة أمواله لأبنائه أو يتحايل في انطباق شرط الحول، ومنهم من يبحث عن العذر أي فتوى منشيخ جاهل أو متواهٍ، كل هذا تحايلاً وتهريباً وتخاذلاً عن نصرة الفقراء والمساكين والمستضعفين.

﴿الدعا﴾

يكون ذلك ولو بالدعا، ومن الناس من يتخاذل عن نصرة أهل الإسلام في سوريا ومصر، الذين تباد خضراؤهم، وبهلك حرثهم ونسلهم، ويتخاذل البعض حتى عن الدعا بحجة نأي النفس عن الفتنة، والأمر واضح لا لبس فيه ولا غبار يشوبه، إذ إن الفتنة تصبح بين فريقين بحيث لا يستطيع صاحب العقل والفكر أن يميز بين الحق والباطل فيما، فهل خفي على كل ذي لب راجح وقلب بالإيمان ناضح، وضمير متقد ناصح أن ما يحصل لأهل الإسلام في سوريا ومصر ليس إلا حرب إبادة وتطهير، شعار أهل الباطل فيها **﴿أَخْرِجُوكُمْ أَلَّا لُوطِرُ مِنْ قَرِبَتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهِرُونَ﴾** [النمل: 56]، وإذا تعرّر هؤلاء المتخاذلون المستئذنون بأنهم على الحياد، ولا يريدون أن يوغلوا في أعراض وقضايا المسلمين فإن حيادهم مردود عليهم، ويكون لهم لدحض تتخاذلهم حديث النبي ﷺ الذي هو حجة على العالم كله في التكافف والتعاضد والنصرة، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحِمِهِمْ، وَتَعْاْفِفِهِمْ مَثُلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضُّوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى"⁽¹⁾ فـأين تداعيكم لـإخوانكم؟؟ إذا ادعـيـتـمـ الإيمـانـ!!ـ والـمحـاـيدـ لاـ يـنـصـرـ الـبـاطـلـ لـكـنـهـ حـتـمـاـ يـخـذـلـ الـحـقـ.

(1) صحيح مسلم / 4، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: 2586.

المطلب الثاني

اعذار المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك

قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُتَّسِّمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: 94].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر عز اسمه من يستحقون اللوم والمؤاخذة من المعدّين للتخلف عن غزوة تبوك، ومن لا سبيل إلى مؤاخذتهم وعدم الحرج عليهم من أصحاب الأعذار، ذكر في هذه الآية ما سيكون من أمر المنافقين الذين تخلفوا في المدينة وما حولها عن غزوة تبوك مع الرسول ﷺ بعد عودتهم. ⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذكر في كتب التفسير أن الآية نزلت في الجد بن قيس، ومعتب بن قشير وأصحابهما من المنافقين المتخلفين وكانوا ثمانين رجلاً أمر النبي ﷺ المؤمنين إذا رجعوا إلى المدينة ألا يجالسونه ولا يكلموهم. ⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات

تردُونَ: تقييد أمرين:

- أ. أنهم يذهبون إلى هذه الدار (الدار الآخرة) غير مختارين، بل يرددون إليها مدفوعين.
- ب. التعبير فيه ما يفيد معنى الرجوع إليها بعد هذه الحياة، وكأنهم في الدنيا في سفر يعود بعدها المسافر إلى حيث إقامته وموطنه، فالإنسان ما خلق عبثاً وهباءً، إنما خلق لأجل البقاء في الحياة الآخرة، فهي وطنه الأصلي إما نعيمًا مقيماً، وإما عذاباً أليماً. ⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير المراغي 4/11، وتبسيط الكريم الرحمن 348، والتفسير المنير 9/8-9، وصفوة التفاسير .557/1

(2) ينظر: التفسير الواضح 2/3، وتفسير المراغي 6/11، والسراج المنير 1/643، ولباب التأويل 2/397.

(3) ينظر: زهرة التفاسير 7/3417.

الْقَيْبِ: ما غاب عنك علمه.

وَالشَّهَدَةُ: "ما تشهده وترى".⁽¹⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: **﴿قَدْ نَبَأَنَا﴾** في هذه الآية قيل بأن كلمة (نَبَأَ) تأتي بمعنىين، كالتالي:

أولاً: بمعنى (عرف) وفي هذا المعنى لا تحتاج إلى أكثر من مفعولين، هما:

أ. مفعول أول: الضمير (نَا).

ب. قوله تعالى: **﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾** مفعول ثانٍ على مذهب أبي الحسن في زيادة مِنْ في الواجب، فالتقدير (قد نبأنا الله أخباركم)، وهو على مذهب سيبويه نعت محفوظ هو المفعول الثاني تقديره: (قد نبأنا الله جلية من أخباركم).

ثانياً: قيل تأتي بمعنى (أعلم)، وعلى هذا القول تحتاج إلى ثلاثة مفاعيل، وهي:

أ. الضمير (نَا) مفعول أول.

ب. **وَمِنْ أَخْبَارِكُمْ** حسب ما نقدم من القولين.

ج. الضمير الثالث محفوظ يدل الكلام عليه، تقديره: (قد نبأنا الله من أخباركم كذباً أو نحوه)، وحذف هذا المفعول مع الدلالة عليه جائز بخلاف الاقتصر، ويجوز حذفه مع الدلالة عليه والإشارة بقوله: **﴿قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَاً لَا وَأَوْصَعُوا خَلَلَكُمْ يَعْوَنَكُمْ أَفْنَتَهُ﴾** [التوبه: 47].⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قال تعالى: **﴿ثُمَّ رُدُونَكُمْ﴾**، (ثم) تقييد الترتيب والتراخي، والتراخي في هذه الآية بموضعه، لأن فيه الانتقال من الدار الفانية الزائلة إلى الباقية الخالدة، والانتقال من دار العمل إلى دار الجزاء.⁽³⁾

ب. قال تعالى: **﴿إِلَى عَنْلَوِي﴾** أي إليه تعالى، فوضع الوصف موضع الضمير، للدلالة على أنه مطلع على سرّهم وعلّهم، لا يفوت عليه شيء من ضمائرهم وأعمالهم.

(1) تفسير المراغي 3/11.

(2) ينظر: المحرر الوجيز 3/72، والتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبي 2/655.

(3) ينظر: زهرة التفاسير 7/3417.

ج. قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ﴾ بين كلمتي الغيب والشهادة طباق⁽¹⁾، واللام في

الغيب والشهادة للاستغراب، أي يشمل كل غيب وكل شهادة دون استثناء.⁽²⁾

د. قال تعالى: ﴿فَيَتَّمَّ كُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حرف (الفاء) بكلمة ﴿فَيَتَّمَّ كُمْ﴾ تقييد الترتيب والتعليق، إذ إن الأنبياء يكون عقب الرجوع إلى الله عَزَّلَهُ، وذلك دليل على تأكيد وقوع ما وعد به وتحققه وأنه لا مفر من قيام القيمة، ونزول ما وعد الله عَزَّلَهُ به⁽³⁾، ويقول الطاهر بن عاشور: "فيه كنایة لأن ذكر المجازة في مقام الإجرام والجناية لازم لعموم علم ملك يوم الدين بكل ما عملوه".⁽⁴⁾

ثانياً: المعنى الإجمالي:

هذه الآية استثناف ابتدائي لأن الاعتذار ليس قاصراً على الذين يستأنفون في التخلف، فالإذن لهم يعنيهم عن التبرؤ بالحلف والأيمان الكاذبة، فضمير يعتذرون عائد إلى أقرب معاد، وفيها من إنباء الله عَزَّلَهُ لرسوله ﷺ وللمؤمنين الخُلُص بما سيكون من أمر هؤلاء المتخلفين من المنافقين بعد الرجوع من الغزوة، وهذا يدل على أن هذه الآيات نزلت في أثناء العودة وقبل الوصول إلى المدينة، فإن هؤلاء المنافقين يعتذرون إليهم عن تخلفهم وقعودهم، ذلك أنهم يخجلون من الظهور بفعلتهم هذه عارية، ومن الكشف عن أسبابها الحقيقة وهي ضعف الإيمان، وإيثار السلامة، والإشفاق من الجهاد.

يوجه الله عَزَّلَهُ الخطاب للرسول ﷺ ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ أي وفروا عليكم معاذيركم، فلن نطمئن إليكم ولن نصدقكم بما تقولون، ولن نأخذ بظاهر إسلامكم كما كنا نفعل.⁽⁵⁾

قال الرازي: "جملة ﴿قُل لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُم﴾ علة للمنع من الاعتذار لأن غرض المعذّر أن يصير عذر مقبولاً، فإذا علم بأن القوم يكتبونه فيه، وجب عليه تركه".⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُم﴾ أي: قد أعلمنا الله عَزَّلَهُ من أمركم ما قد علمنا به كذبكم بأنه ليس لكم عذر، واتضحت لنا فضائحكم، وأخبرنا عن نفاقكم، وأعمالكم وسرائركم، وتنبيه - بما أظهره الله لنا - سببكم وصالحكم، وجملة: ﴿قَدْ بَيَّنَاهُ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُم﴾ علة لانتفاء

(1) ينظر: التفسير المنير 11/7.

(2) ينظر: التحرير والتواتير 11/8.

(3) ينظر: زهرة التفاسير 7/3417.

(4) التحرير والتواتير 11/8.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبرى 14/424-425، وفي ظلال القرآن 3/1695، والتحرير والتواتير 11/6-7.

(6) مفاتيح الغيب 16/123.

التصديق، لأن الله عَزَّلَ لما أطلع وأوحى للرسول ﷺ وأعلمه بما في ضمائركم من الخبث والمكر والنفاق، امتنع أن يصدقهم ﷺ في تلك الأعذار.⁽¹⁾

بعد ذلك أخبر الله عَزَّلَ بأنه سيرى عملهم ورسوله ﷺ فيما بعد، وهو الذي سيدلّ إما على إصراركم على النفاق أو على التوبة والإنابة إلى ريكم، وأما أقوالكم فلا يُعتدُّ بها مهما أكتموها بالأيمان، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك، فإن أنتم تبتم وأنبتم إلى ريكم وشهاد لكم عملكم بصلاح طوبتكم، فإن الله عَزَّلَ يتقبل منكم توبتكم، ويفغر لكم، ويعاملكم الرسول ﷺ بما يعامل به المؤمنين الذين أخلصوا وصدقوا وشهدت لهم أعمالهم بذلك، وإن أنتم أبىتم إلا الإصرار على النفاق، والاعتماد على رواج سوق الكذب بتلك الأيمان التي تحلفونها فسيعاملكم الرسول ﷺ بما أمره الله عَزَّلَ به من جهادكم والإغلاظ عليكم إخوانكم الكفار، وفيه إيماء للرغبة في توبتكم حين سنوح الفرصة.⁽²⁾

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَنَدَةِ﴾ أي: تصيرون بعد الموت وانتهاء حياتكم الدنيوية إلى خالقكم الله عَزَّلَ، فيأتيكم الرد بمعنى الإرجاع، كما في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ دُرُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾** [الأنعام: 62]⁽³⁾، والمرد في الآخرة إلى الله عَزَّلَ حيث يلقاه العباد، ويلقاهم بأعمالهم التي لا تخفي عليه منها خافية، فلا نفاق ولا كذب ولا مراءة⁽⁴⁾، "والعدول على أن يقال: لم تردون إليه، أي إلى الله، لما في الإظهار من التبيه على أنه لا يعزب عنه شيء من أعمالهم، زيادة في الترغيب والترهيب الشديد ليعلموا أنه لا يخفى على الله عَزَّلَ شيء"⁽⁵⁾، "ولا سيما ما اشتملت عليه من وضع الظاهر موضع المضمر لإشعار ذلك بإحاطته بكل شيء يقع منهم مما يكتمنه ويتظاهرون به وإخباره لهم به ومجازاتهم عليه".⁽⁶⁾

قال تعالى: **﴿فَيَتَّسَمُّكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** الإنباء في هذا الحال، ليس بالأقوال، ولكن بالرؤى والأفعال فهو مجاز، يرون أعمالهم، تنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يفعلون، وتشهد عليهم ألسنتهم، وجوارحهم وأفعالهم، فالإنباء فيه وعد ووعيد، يعلم الناس فيه ما فعلوا ويروا جزاء ما صنعوا حاضراً يستقبلهم ويستقبلونه.⁽⁷⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/123، ومدارك التنزيل، النسفي 1/702، والبحر المحيط، الأندلسي 5/489.

(2) ينظر: تفسير المراغي 11/4-5، وتبسيير الكريم الرحمن ص: 34.

(3) ينظر: التحرير والتواتير 8/11.

(4) ينظر: زهرة التفاسير 7/3417.

(5) التحرير والتواتير 8/11.

(6) فتح البيان 5/374.

(7) ينظر: زهرة التفاسير 7/3417 - 3418.

قال الأستاذ أبو بكر الطرطوش⁽¹⁾: "اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرة بقدر بقائك فيها"⁽²⁾، ويجب أن تستحي من الله تعالى بقدر قربه منك، وتطيئه بقدر حاجتك إليه، وتحافه بقدر قدرته عليك، واعصه بقدر صبرك على النار.⁽³⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿فَضَحَّ أَعْذَارُ وَأَكَانِيبِ الْمُنَافِقِينَ﴾

هؤلاء المنافقون يعتذرون حفاظاً على مكانتهم، لأن للإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، فحينما يعبر عن محبته للحق مثلاً، محبته للدين، بهذا يرتقي عند الناس، فالمنافق هو في حياته الخاصة لا يطبق شيئاً من الدين، مختلف كالكافر، لكن يريد مكسباً اجتماعياً، أن يكون مع المؤمنين في مكانتهم، وفي مكاسبهم، فهو ينافق لهم.⁽⁴⁾

هذا ما نراه في واقعنا الحالي من أحوال بعض الحكام الذين ينتمون في تطبيق أحكامهم لدول الغرب ويطبقون ما يملون عليهم.

وهذا ما نراه الآن من اختلاق للأعذار، وقلب وتزييف للحقائق من الإعلام الكاذب، وتبير للجرائم التي ترتكب بحق الشعوب، ولكن الرد عليهم يكون بأن لا يعتذروا، لأن الله تعالى وضح للمؤمنين المتمسكون بدينهم الحق مكائد المافقين وكذبهم واستهزاءهم.

(1) الطرطوش: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوش (451-520هـ = 1059-1126م)، ويقال له ابن أبي رندة: أديب، من فقهاء المالكية الحفاظ، من أهل طرطوشة بشري الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة 476هـ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وأقام مدة في الشام، وسكن الإسكندرية، تولى التدريس، وتوفي فيها، كان زاهداً لم يتشبث من الدنيا بشيء، من كتبه: سراج الملوك، والتعليق في الخلافيات. [ينظر: الأعلام 7/ 133-134].

(2) سراج الملوك، أبو بكر المالكي ص: 199.

(3) ينظر: الجواهر الحسان، الشعالي 3/ 206.

(4) ينظر: موسوعة النابلي للعلوم الإسلامية: محمد راتب النابلي بتاريخ: 23-08-2009.

﴿ بِيَانِ أَنَّ اللَّهَ لَنَكَ يَمْهُلُ عَبَادَهُ وَلَا يَهْمِلُهُمْ: ﴾

كما أن لكل شيء بداية فإن له نهاية، وكل ظالم لا بد أن يأتي عليه يوم يقتضي فيه منه، ولا يكون له إلّا الخزي والعار؛ لأن الله لَنَكَ يَمْهُلُ عَبَادَهُ وَلَا يَهْمِلُهُمْ، وذلك واضح جلي في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا تُرَدُّونَ كُلَّهُ. ﴾

المطلب الثالث

حلف المتخلفين عن غزوة تبوك الأيمان الكاذبة

قال تعالى: ﴿سَيَحْلَلُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَبْتُمُ إِلَيْهِمْ لِتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ يَرْجُسُونَ مَا وَنَهَمُ جَهَنَّمَ جَرَأَهُ إِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبه: 95].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما ذكر في الآية السابقة الذين تخلفوا عن الجهاد من غير عذر، أخبر الله ﷺ رسوله ﷺ بأن هؤلاء المنافقين، سيؤكدون تلك الأذار بالأيمان الكاذبة الفاجرة⁽¹⁾، حتى لا تؤنبوهم وتلوموهم على تخلفهم عن المشاركة والخروج في الغزو.⁽²⁾

ثانياً: سبب النزول:

قال: عبد الله بن كعب: سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك جلس الناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبابيعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وصدقته حديثي فقال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صديقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا؟ حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد: ﴿سَيَحْلَلُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَبْتُمُ إِلَيْهِمْ لِتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبه: 95] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَدِيقِينَ﴾ [التوبه: 95].⁽³⁾

ثالثاً: التفسير التحليي:

1. معاني الكلمات:

أنقلبتم: الانقلاب هو الرجوع إلى المكان الذي خرجو منه.⁽⁴⁾

لِتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ: فيها قولان:

أ. لتصفحوا عن ذنبهم.

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص النعmani 177/10، والتفسير الوسيط 384/6، ومفاتيح الغيب 124/16، والبحر المحيط 490/5، وصفوة التقاسير 1/557.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير 4/201.

(3) ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوداعي 110-111.

(4) التحرير والتواتير 9/11.

ب. لأجل إعراضكم عن ذمهم.⁽¹⁾

يريد أنهم حلفوا بالله تعالى لدفع السوء من قبلكم، وليس قصدكم بذلك خلوصاً في اعتذارهم، ولا ندامة على ما تحملوه من أوزارهم، إنما ذلك لعرضوا عنهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي أن ذلك ليس بمنجبيهم مما سيلقونه غداً من عقوبة الله تعالى لهم، فإن الله تعالى يمهل العاصي حتى يتوهم أنه قد تجاوز عنه، فإذا أذاقه ما يستوجبه علم أن الأمر بخلاف ما ظنه، وما ينفع ظاهر مغبوط، والحال يأس من الرحمة وقنوط.⁽²⁾

قال ابن عباس: فأعرضوا عنهم لا تكلموهم ولا تسلموهم عليهم.⁽³⁾

الإعراض عنهم يكون بوجوه مكفرة، وما في قلب المؤمن يظهر في لمحات عينه وعلى وجهه فهو في اشمئزاز منهم، وإن كان لا يتكلم بسوء، وهو يريدون إرضاءهم، فأخذوا عذتهم من القول، وهو الحلف ليذنوا منهم ويتقربوا من نفوسهم، وتتلاقى مشاعرهم وإحساساتهم، فيتمكنوا منهم، ويعرفوا ما بداخل نفوسهم.⁽⁴⁾

بناءً على ما سبق ترى الباحثة بأن الإعراض عنهم يكون في عدم مشاركتهم مجالسهم والامتناع عن تكليفهم ولو بالقليل، مثل: إلقاء التحية عليهم في حالة معرفتهم والتأكد أنهم منافقون.

رجسٌ: هو النتن والقذر⁽⁵⁾، والنحس والقبح ، وهو الخبيث المستقر.⁽⁶⁾

ومأوئلهم: المأوى: كل مكان يؤوي إليه ليلاً أو نهاراً، وقد أوى فلان إلى منزله يأوي أويأاً، على "فعول" ، وإواء، وأويته إذا أنزلته بك، فعلت وأفعت، ومأوي الإبل لغة في مأوى الإبل خاصة، وهو شاذ⁽⁷⁾، وتأتي بمعنى المصير والمرجع.⁽⁸⁾

2. الإعراب:

قال تعالى: ﴿وَمَأْوَيْهِمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن تكون ﴿جزاءً﴾ مصدر لفعل مذوف أي يجزون جزاءً، أو يكون علة لكون مأواهم جهنم⁽⁹⁾، وأن ينتصب

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/124، وزاد المسير 2/290.

(2) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري 2/56.

(3) ينظر: الباب في علوم الكتاب 10/177، والبحر المحيط 5/490.

(4) ينظر: زهرة التفاسير 7/3419.

(5) ينظر: المحرر الوجيز 3/73، وتقسيير القرآن، السمعاني 2/339.

(6) ينظر: تفسير البغوي 2/379، وصفوة التفاسير 1/557.

(7) الباب في علوم الكتاب 10/178.

(8) التحرير والتقوير 9/11.

(9) ينظر: التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري 4/283، والباب في علوم الكتاب 10/178.

بمضمون الجملة السابقة له؛ لأن كونهم يأوون في جهنم فيه معنى المحازاة، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله⁽¹⁾، وتأتي **﴿جَزَاءُ﴾** حال من جهنم، أي مجازة لهم على ما كانوا يعملون في الحياة الدنيا.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. **قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْنَاهُ﴾** (إذا) أنت هنا ظرف للزمن الماضي، وحذف الم Hollowed عليه لظهوره وبيانه ولأنه تقدم نظيره في موضع آخر من السورة، وهو قوله تعالى: **﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَهُ جَنَاحًا مَعَكُمْ﴾** [التوبية: 42] إلا أنَّ ما تقدم في حلفهم كان قبل الخروج.

ب. **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾** أدخل حرف (عن) على ضمير المنافقين بتقدير مضاف يدل عليه السياق لظهور أنهم يريدون الإعراض عن لومهم، في حذف المضاف تهيئة لتفريع التفريع الواقع بعده، أي فإذا كانوا يرجمون الإعراض عنهم فأعرضوا عنهم تماماً.⁽³⁾

ج. **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَجْسِّسُونَ﴾**، والرجس كما تحدثنا في معاني الكلمات بأنه الخبر، والمراد تشبيههم بالرجس في الدناءة ودنس النفوس، فهو رجس معنوي، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُغْرِّبُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَذْلُمُ يَجْسِّسُونَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ﴾** [المائدة: 90].⁽⁴⁾

هذا الصورة المجسمة أشدُّ بشاعة وألين قذارة، وأكثر بياناً وتوضيحاً، وأدعى إلى التفزر والاشمئزاز، وإلى الاحتقار كذلك والازدراء! والقادعون عن الجهاد - وهم قادرون على الحركة - الذين يقعد بهم إيثار السلامة عن الجهاد.⁽⁵⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

في هذه الآية إنباء آخر من الله **ﷺ** لنبيه محمد **ﷺ**، مما سيكون من أمر القوم المنافقين عندما يرجع إليهم هو والمؤمنون الخالص سالمين آمنين غانمين، وكان المنافقون قد ظنوا أنَّهم لا يعودون من لقاء ومحاربة الروم، فقد علم الله **ﷺ** وأخبر نبيه **ﷺ** أنَّهم سيؤكدون معاذيرهم بالحلف

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب 10/ 178، وجامع البيان 2/ 94.

(2) ينظر: التحرير والتوير 11/ 10.

(3) ينظر: التحرير والتوير 11/ 9.

(4) ينظر: المرجع السابق 11/ 10.

(5) ينظر: في ظلال القرآن 1696/ 3.

بِاللَّهِ يَعْلَمُ لِعْلَمَ الْمُسْلِمِينَ يَعْرُضُونَ وَيَتَرَاجِعُونَ عَنْ فَعْلَتِهِمْ وَتَخَلَّفُهُمْ عَفْوًا وَصَفْحًا، وَلَا يَحْاسِبُهُمْ عَلَيْهَا
وَيَجَازِيُّهُمْ بِهَا.⁽¹⁾

يقول الرازي: "اعلم أن هذا الكلام يدل على أنهم حلفوا بالله يَعْلَمُ، ولم يدل على أنهم على أي شيء حلفوا؟ فقيل: إنهم حلفوا على أنهم ما قدروا على الخروج".⁽²⁾

ووصفهم بعد ذلك بالرجس بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرْجُسُونَ﴾ تأتي بتعليقين كالتالي:

أ. تعليل لترك معايبهم، يعني أن المعايبة لا تتفق فيهم ولا تصلحهم، إنما يعاتب الأديب ذو البشرة، والمؤمن يوبخ على زلة تفطر منه، ليطهّر التوبّيغ بالحمل على التوبة والاستغفار، وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم.⁽³⁾

ب. أن النار كفتهم عتاباً فلا تتكلّفوا عتابهم.⁽⁴⁾

يذكر الرازي في كتابه: "أن الرجس هنا هو خبث باطنهم رجس روحاني يلوث الأرواح، فكما يجب الاحتراز عن الأرجاس الجسمانية، فوجوب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية أولى، خوفاً من سريانها إلى الإنسان، وحذر من أن يميل طبع الإنسان إلى تلك الأعمال"⁽⁵⁾، وهو دنس وقدر يؤدي المشاعر كالجنة المنتهية في وسط الأحياء تؤدي وتعدي!⁽⁶⁾

بعد أن ذكر الله تعالى حالهم في هذه الدنيا ووضعية مكانتهم بوصفهم بالرجس، والإهانة لهم عطف عليه وصفهم بمحطة الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا وَيْدُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ يعني وكفتهم النار عتاباً وتوبّيحاً، فلا تتكلّفوا عتابهم.⁽⁷⁾

قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ إِعْمَالِكُمْ﴾ أي: من الآثام والخطايا، والكفر والنفاق.⁽⁸⁾

الجزاء يأتي من جنس العمل، وهذا هو العدل الالهي، فبسبب الآثام والخطايا ونفاقهم كان جزاؤهم نار جهنم وبئس المصير، أعادنا الله يَعْلَمُ واياكم منها، وباعد بيننا وبينها بعد المشرق والمغرب.

(1) ينظر: في ظلال القرآن/3/1696.

(2) مفاتيح الغيب/16/124.

(3) ينظر: الكشاف/2/302، ومدارك التنزيل/1/703

(4) أنوار التنزيل/3/94.

(5) مفاتيح الغيب/16/124، واللباب في علوم الكتاب/10/178.

(6) في ظلال القرآن/3/1696.

(7) ينظر: الكشاف/2/302.

(8) ينظر: تفسير ابن كثير/4/201، والبحر المديد، أبو العباس الصوفي/2/419.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ صفات بعض المنافقين : ﴾

من خلال النص السابق ذكره نستنتج أن من صفات المنافق والعلماء التي يُعرف من خلالها هو كثرة الحلف، وهذا ما نراه في بعض أفراد مجتمعنا ويتكرر في حياتنا يومياً من كثرة الحلف وهو ما يحدث في الأسواق من قبل بعض التجار بكثرة الحلف لرواج سلعهم، عَنْ أَبِي فَتَّادَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَكُثْرَةُ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ، ثُمَّ يَمْحُقُ⁽¹⁾، فيجب الحذر والانتباه من هذه الخصلة حتى لا تتحقق بركة تجارتهم ولا يحكم عليهم بالنفاق، وفي حديث رسول الله ﷺ عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: أَرَبَعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعُهَا: إِذَا أُتْمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ عَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ⁽²⁾.

﴿ تحذير المسلمين من الحلف الكاذب : ﴾

يجب على الإنسان أن يحذر من الحلف باهله كاذباً لأنه سيحكم عليه بالنفاق أو تكون فيه خصلة منه، ويأمرنا الله عند معرفة المنافقين وإقرارهم على أنفسهم أنهم يحلرون معتذرين عما بدأ منهم، ألا نصدقهم.

﴿ التحذير من المنافقين : ﴾

أيضاً يحكم على المنافقين كالمرتكبين بأنهم رحس أي نحس، لأن بواطنهم خبيثة واعتقاداتهم بالشرك والكفر وأعمالهم الباطنة خبيثة أيضاً إذ كلها تأمر على المسلمين ومكر بهم وكيد لهم⁽³⁾، شريحة المنافقين لم تنته وتنق في زمان الرسول ﷺ بل ما زالوا حتى عصرنا الحالي وهم فيهم خصال من الجاهلية الأولى وهم العملاء، أو ما يُسمون بالطابور الخامس الذين يخدمون العدو ويخدمون مصالحه، وينشرون ويبثون أفكارهم الخبيثة بين أفراد المجتمع، لتشييط معنوياتهم وهدم ما يبنيه الشرفاء من أبناء شعبهم، وكل ذلك مقابل مبالغة زهيدة لتحقيق أطماعهم الدنيوية الدينية، وهؤلاء يجب ألا تأخذنا بهم الرأفة، علينا إقامة الحد عليهم حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر، وزجر وردع لغيرهم من الوقوع بوحال العمالقة.

(1) صحيح مسلم /3/ 1228، كتاب: المسافة، باب: النهي عن الحلف في البيع، حديث رقم: 1607.

(2) صحيح البخاري /1/ 16، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، حديث رقم: 34.

(3) ينظر: أيسر التفاسير /2/ 416.

المطلب الرابع

موقف المسلمين من المنافقين المتخلفين عن الغزوة

قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبية: 96].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لقد بين الله تعالى في الآية السابقة أنَّ المنافقين يحلفون بالله تعالى ليعرض المسلمين عن إيمائهم، بين في هذه الآية أنهم يحلفون الأيمان الكاذبة لمجرد استرضاء المسلمين، ليستديموا في معاملتهم كأهل الإسلام.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ورد في سبب نزول هذه الآية قوله، هما:

1. ما روى عن ابن عباس رض أن الآية نزلت في جد بن قيس، ومعتب بن قشير، وأصحابهما من المنافقين، و كانوا ثمانين رجلاً، أمر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة ألا يجالسوهم ولا يكلموهم فامتثلوا.⁽²⁾

2. قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يختلف عنده، وطلب من النبي ﷺ أن يرضى عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.⁽³⁾

الراجح: ترى الباحثة أن العبرة ليس بخصوص السبب وإنما بعموم اللفظ أي أنه مهم أن نعرف فيما نزلت الآية لكن الأهم من ذلك هو المعرفة بأن هذا الحلف الكاذب قد وقع حفاظاً من المنافقين للرسول ﷺ وللمؤمنين رض حتى يرضوا عن المنافقين، وأن الله تعالى بين ووضح بأنه لا رضى للمؤمن على الفاسق الخارج عن طاعة الله تعالى، وفيه بيان من الله تعالى للمؤمنين من أن يذروا من حلف المنافقين الأيمان الكاذبة وخداعهم حتى ينالوا رضى المؤمنين.

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب 10/178، والتفسير المنير 11/10، ومفاتيح الغيب 16/124.

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6/384-385، والكشاف 2/302، وتقسيم المراغي 11/6.

(3) ينظر: تفسير البغوي 2/380، والكشاف 2/302، والبحر المحيط 5/491، وتقسيم المراغي 11/6، ولباب

التأويل 2/397.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يَحْلِفُونَ: يحتمل أن يكون الحلف كالتالي:

أ. الحلف من الأتباع؛ لأنهم في منزلة من يخاف العقوبة **فِي حَلْفِهِنَّ** قصداً للإعراض وطلب المسالمة.

ب. الحلف من رؤسائهم؛ لأنهم في منزلة من لا يخاف العقوبة **فِي حَلْفِهِمْ** قصداً لإرضاء المؤمنين عنه.⁽¹⁾

الراجح: ترى الباحثة أن كلا الوجهين محتملين لأن الحلف يكون من المنافقين طلباً لرضى المسلمين عنهم، وقد يقع ذلك الحلف من الرؤساء أو من أتباعهم.

لِتَرْضَوْا: (الرضا) هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع؛ فحين أقول: أنا راضٍ بالشيء الفلاني، فمعنى هذا أن كمية النفع التي آخذها منه تكفيني، والرضا ضد الكراهة.⁽²⁾

الْفَسَيْقِينَ: أي الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله، فإن الفسق هو الخروج عن طاعة ودين الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومنه سميت الفارة (فويستة) لخروجها من جحراها للإفساد، ويقال: (فسقت الرطبة): إذا خرجت من أكمامها.⁽³⁾

2. الإعراب:

قال تعالى: **﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾** بدل اشتمال من قوله تعالى: **﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَبْتُمْ﴾** [التوبه: 95].⁽⁴⁾

و(**لكم**) جار و مجرور متعلقان بـ **﴿يَحْلِفُونَ﴾** أو بمحذف حال، ولام التعليل متعلقة مع مجرورها **﴿يَحْلِفُونَ﴾** وعنهم متعلقان بترضوا.⁽⁵⁾

قوله تعالى: **﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾** الفاء بكلمة (إإن) فصيحة وجواب الشرط في قوله تعالى: **﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾** محذف تقديره: إن ترضوا عنهم على سبيل الفرض فلا ينفعهم

(1) ينظر: تفسير ابن عرفة، حمد بن محمد /2 324.

(2) ينظر: تفسير الشعراوي /9 5433، وتفسير السمعاني /2 339.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير /4 201، التفسير المنير /10 11، والتفسير الواضح /2 5.

(4) ينظر: التحرير والتواتر /10 11، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم /6 384، وإعراب القرآن وبيانه /4 160.

(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه /4 160.

رضاكم⁽¹⁾، **﴿فَإِنَّ﴾** الفاء الثانية للتعليق وإن واسمها وجملة: **﴿لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ﴾** **﴿الْفَسِيقِينَ﴾**⁽²⁾ خبرها.

3. الجوانب البلاغية:

أ. قال تعالى: **﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾** فيه تحذير للMuslimين من الرضى عن المنافقين بطريق الكناية إذ قد علم المسلمين أن ما لا يرضي الله تعالى لا يكون للMuslimين أن يرضوا به.

ب. قوله تعالى: **﴿الْقَوْمُ الْفَسِيقِينَ﴾** هم هؤلاء المنافقون، والعدول عن الإتيان بضمير (هم) إلى التعبير بصفتهم للدلالة على ذمهم، وتعليق عدم الرضى عنهم، فالكلام مشتمل على خبر وعلى دليله فأفاد كلامين لأنه ينحل إلى قوله: **﴿إِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ لَأَنَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾**⁽³⁾، "ولم يقل فإن الله تعالى لا يرضى عنهم، لتسجيل الفسق عليهم، وللإذن بشمل هذا الحكم لكل من كان مثلكم في السوق وفي الخروج عن طاعة الله تعالى".⁽⁴⁾

4. استنباطات فقهية:

قال تعالى: **﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْهُمْ﴾** يدل على أن الحلف على الاعتذار من كان متهمًا لا يوجب الرضا عنه وقبول عذرها لأن الآية قد اقتضت النهي عن الرضا عن هؤلاء مع أي منهم وقال في هذه الآية يحلفون ولم يقل بالله وقال في الآية الأولى سيحلفون بالله فذكر اسم الله تعالى في الحلف في الآية الأولى، واقتصر في الآية الثانية على ذكر الحلف فدل على أنهما سواء وقال في موضع **﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَنْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [المجادلة: 14]، وكذلك قال الله تعالى في القسم فقال في موضع **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنِهِمْ﴾** [النحل: 38]، وقال في موضع آخر: **﴿إِذَا أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَا مُصْرِمِينَ﴾** [القلم: 17]، فاكتفى بذكر الحلف عن ذكر اسم الله تعالى وفي هذا دليل على أنه لا فرق بين قول القائل أحلف وبين قوله أحلف بالله وكذلك قوله أقسم وأقسم بالله.⁽⁵⁾

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6/385، وإعراب القرآن وبيانه 4/161.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/161.

(3) ينظر: التحرير والتوير 11/10.

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6/385.

(5) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص 4/353.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

"هذه الآية ذكرت جانباً آخر من الأحوال القبيحة للمنافقين، وردت على معاذيرهم الكاذبة، وأيمانهم الفاجرة بما يفصحهم ويخرزهم، وتوعدهم بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة"⁽¹⁾، حيث إن الله عَزَّلَ بين المؤمنين بأن هؤلاء المنافقين، يحلون لكم اعتذاراً بالباطل والكذب، في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ فلم يذكر المحلوف به لظهوره، أي يحلون بالله عَزَّلَ⁽²⁾، ويحتمل أن يريد تكرير الحلف منهم.

قوله تعالى: ﴿لَرَضَوْا عَنْهُم﴾ يُبيّن أنَّ كل ذلك الحلف الذي وقع من المنافقين كان لسبب وهو لكسب رضا المسلمين، ولينفعهم ذلك في دنياهم، وإنهم لا يفعلون ذلك لوجه الله عَزَّلَ ولا للبر، والله عَزَّلَ يقول: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُم﴾ وهذا شرط يتضمن عدم الرضى عنهم، أي إن رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم، إذ كنتم لا تعلمون صدقهم من ذنبهم، باعتقادكم طهارة ضمائركم وإخلاصهم.⁽³⁾ وذكر الله عَزَّلَ ما يفيد أنه لا يجوز الرضا عن هؤلاء المعتذرين بالباطل، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي فإن ترضا عنهم كما أرادوا، وساعدتهم على ما طلبوها فإن رضاكم عنهم لا يجدهم نفعاً، وفي هذا إيماء إلى نهي المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة وأن من يرضى عنهم من المؤمنين يكون فاسقاً مثلهم محروماً من رضوان الله عَزَّلَ⁽⁴⁾، والمؤمن يطلب رضا الله عَزَّلَ دائماً، فإذا كان الله عَزَّلَ لا يرضى عنهم، فالمؤمن اتباعاً لحكم الله عَزَّلَ وارضاً لا يرضى عنهم ويعرض عنهم⁽⁵⁾، والمقصود من إخبار الله عَزَّلَ بعدم رضاه عنهم هو نهي المؤمنين عن ذلك لأن الرضا عن الذين لا يرضى الله عَزَّلَ عنهم يتناهى مع الشريعة الإسلامية.⁽⁶⁾

إن هذه صفات المنافقين ودينهن حيث إن الله عَزَّلَ بين في مواضع أخرى من القرآن الكريم ووضح بأن طلب رضا البشر وليس رب البشر من عادتهم كما قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: 108]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَأَنَّمَا أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾

(1) التفسير الوسيط / 6 / 385.

(2) ينظر: محسن التأويل / 5 / 481.

(3) ينظر: الكشاف / 2 / 302، وجامع البيان / 14 / 428، ومحاسن التأويل / 5 / 481، والمحرر الوجيز / 3 / 73.

(4) ينظر: فتح القدير / 2 / 450، تفسير المراغي / 11 / 6.

(5) ينظر: زهرة التفاسير / 7 / 3419.

(6) ينظر: فتح القدير / 2 / 450، وفتح البيان / 5 / 376.

مَنْ أَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ [الحشر: 13]، ولكن هيهات لهم ذلك لأن المؤمن الحق لا يهمه سوى ربه.⁽¹⁾

من هنا يتضح أن المقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بهم، وكفى بالله شهيداً، وكفى به عليماً ومعلماً للمؤمنين طريق الاستقامة والصواب وموافق الحزم والسداد.⁽²⁾ تبين أيضاً أن إرضاء الخلق بعضهم لبعض إنما يكون بالحلف، وما يكون من الظاهر، فالمعتذر إليه ينبغي له أن يقبل يمين المعتذر على الظاهر، ويكلُّ سريرته إلى الله عَزَّلَهُ، ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن، وفيه يتحقق رضى الله عَزَّلَهُ⁽³⁾، ويؤيد هذا المعنى ما ذكر بالسنة النبوية، عَنْ أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ رَجُلًا يَحْلِفُ بِأَيِّهِ، فَقَالَ: لَا تَحْلِفُو بِآبَائُكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلَيَصُدُّقُ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلَيُرِضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ.⁽⁴⁾

* ملحوظة:

قال الله عَزَّلَهُ في الآية: **فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ولم يقل القوم الكافرون؟ وذلك لأن الحق سبحانه أوضح لنا: **إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** [النساء: 145]، أي أن مكان المنافق في النار أسفل من مكان الكافر، وكيف يكون المنافق فاسقاً مع أن المؤمن قد يكون فاسقاً؟ فالمؤمن قد يفسق بأن يرتكب كبيرة من الكبائر، وسبحانه يقول: **وَالشَّارِقُ وَالسَّارِقُهُ فَاقْطُعُوا أَيْدِيهِمَا جَرَاءً بِمَا كَسَبُوا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ** [المائدة: 38].

فالمؤمن قد يسرق، وقد يزني أيضاً، وما دام سبحانه قد جرم الفعل، ووضع له عقوبة؛ فمن الممكن أن يرتكبه المؤمن، ولكن علينا أن نفرق بين الفاسق والعاصي، فمن يرتكب الكبائر فهو فاسق، ومن يرتكب الصغائر فهو عاص، ووصف الله عَزَّلَهُ المنافقين بالفسق ويتبين من أن الكفر، إنما هو كفر بمحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وبالإسلام، والفسق إذا جاء مع الكفر فهو ليس فسق ارتكاب المعصية والإنسان على دين الإسلام، لكنه الخروج عن الطاعة حتى في الأديان التي يتبعها أي قوم، فالآديان كلها تضم قدرًا من القيم، وأتباعها محاسبون على القيم التي في أديانهم، لكنهم أيضاً يفسقون ويخرجون عنها.⁽⁵⁾

(1) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي 1/414، والتفسير الواضح 5/5، والتفسير المنير 10/11.

(2) ينظر: أنوار التنزيل 3/94، والسراج المنير، شمس الدين 1/643، والتفسير المظہري 4/283، والتفسير المنير 10/11.

(3) ينظر: تأويلات أهل السنة 5/455، والنكت الدالة على البيان، الفصَّاب 1/570-571.

(4) سنن ابن ماجه 1/679، كتاب: الكفارات، باب: من حلف بالله فليرض، حديث رقم: 2101، حكم الألباني: صحيح.

(5) ينظر: تفسير الشعراوي 9/5434-5435.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق﴾:

يتضح من الآية الكريمة أنه "لا ينفع رضا الناس مع سخط الله ﷺ، فإن المعمول عليه عند العقلاة وأهل الإيمان الحق التماس رضا الله ﷺ"⁽¹⁾، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "من التمس رضا الله بسخط الناس كفأه الله مؤته الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الله وكله الله إلى الناس".⁽²⁾

﴿تعليم الله ﷺ عباده منهج الحياة﴾:

"كفى بالله حجلاً عليماً ومعلماً للمؤمنين منهج الحياة الاجتماعية وطريق معاملة المنافقين وغيرهم من أصحاب البدع المنكرة، فعلى المؤمنين أن يبغضوا المنافقين، وألا يرضوا عنهم لسبب دنيوي"⁽³⁾، لأن الحياة الدنيا فانية زائلة وما يتغىبه المؤمن هو رضا الله ﷺ حتى ينال الربح والفوز في الآخرة، وهذا لا يقتصر على زمانه ﷺ حيث إنه لا زال من الناس من يتغىب إرضاء الناس عوضاً عن إرضاء الله ﷺ وذلك لأسباب دنيوية مادية حقيقة وهناك من العلماء أيضاً أو أشباه العلماء إن صح التعبير من يفتون ويتحدثون بما لا يرضي الله ﷺ أو حتى بما لا يرضي ضميرهم وذلك لإرضاء أمرائهم ولكسب قلوب زعمائهم والحفاظ على مكانتهم التي ستكون حجة عليهم يوم القيمة لا حجة لهم، وهم اليوم كثُر وذلك لتنوع المغريات وابتعد بعضهم عن الجوهر الحقيقي للإفشاء وللدعوة إلا وهو الدعوة إلى الله ﷺ حتى أنهم نسوا أنهم دعاة إلى دين الله ﷺ لا قضاة على عباد الله ﷺ، فأصبحوا يقولون هذا مسلم وذاك كافر، هذا أشعري وذاك وهابي، إلى آخره من هذه المسميات التي يلقى بها قائلها ليفرق بين العباد وليشكك كل طرف في عقيدة الآخر وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: "يُخْرُجُ قَوْمٌ مِّنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُهُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَّهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"⁽⁴⁾،

(1) التفسير المنير 11/11.

(2) سنن الترمذى 4/188، أبواب: الزهد، باب: مِنْهُ، حديث رقم: 2414، [حكم الألبانى: صحيح].

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي 1/907.

(4) صحيح مسلم 2/748، كتاب: الزكاة، باب: التحرير على قتل الخوارج، حديث رقم: 1066.

المطلب الخامس

كفر بعض الأعراب ونافقهم

قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجَدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [١٧] وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَعَذَّذُ مَا يُنْفِقُ مَعْرِمًا وَيَرْبَضُ بِكُلِّ الدَّوَابِرِ عَلَيْهِمْ دَأْبَرَةً أَلْسُونَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبه: 97-98].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر الله تعالى أحوال العرب مؤمنهم ومنافقهم بالمدينة، بين حال من كان خارجاً عنها من الأعراب وهم منافقوا الحضر، حيث إنه ذكر أحوال الأعراب خارج المدينة وهم سكان البايدية، وأخبر أن في الأعراب كفاراً ومنافقين ومؤمنين وذلك ليُعرف الجميع.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

لم يذكر سبب نزول الآية الكريمة، ولكن ذكر عن ابن عباس قال: نزلت الآية في أعراب أسد، وغطفان، وأعراب من حول المدينة⁽²⁾، وزاد في بعض الكتب وتميم.⁽³⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

الأَعْرَابُ: "جمع أعرابي وهو من سكن البايدية".⁽⁴⁾

وَأَجَدَرُ: أي أحق وأولى، وأخلق وأحرى⁽⁵⁾، يقال فلان جدير بهذا أي خليق به وأنت جدير أن تفعل هذا، وأصله من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء يقال هو جدير وأجدر وحقيقة وأحق.⁽⁶⁾

حُدُودَ: المقصود بها عدة أوجه، هي:

أ. الفرائض، وشرائع الإسلام.

(1) ينظر: التفسير المنير 11/14، وأيسر التفاسير 2/417، وتفاسير المراغي 11/7، وتفاسير القرطبي 8/231، وفتح البيان 5/376، وفتح القدير 2/450.

(2) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، النيسابوري 2/519، وزاد المسير 2/290، والتفاسير المنير 11/12، وبحر العلوم 2/82.

(3) تفسير البغوي 2/380، الكشاف 2/303، والبحر المحيط 5/491.

(4) أيسير التفاسير 2/417.

(5) ينظر: أيسير التفاسير 2/417، وبحر العلوم 2/82، وتفاسير السمعاني 2/340، والجواهر الحسان 3/207.

(6) ينظر: فتح البيان 5/378، وفتح القدير 2/450.

ب. قيل الوعيد على مخالفة الرسول ﷺ، والتأخر عن الجهاد.

ج. مقادير التكاليف والأحكام.

د. قال قتادة⁽¹⁾: أقل علمًا بالسنن.

وصف العرب بأنهم جاهلون لا ينافي صحة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذ وصفهم بالجهل إنما هو في أحكام القرآن لا في ألفاظه، ونحن لا نحتاج بلغتهم في بيان الأحكام بل في معاني بيان الألفاظ لأن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا بلغتهم قاله الكرخي.⁽²⁾

مَعْرِمًا: أي غرامة وخساناً، وهلاكاً⁽³⁾، والتزام مَا لَا يلزِم⁽⁴⁾، وفيها وجهان، هما:

أ. ما يدفع من الصدقات.

ب. ما ينفق في الجهاد مع الرسول ﷺ مغرياً ، والمغرم التزام ما لا يلزم، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] أي لازماً.⁽⁵⁾

وَيَرْبَصُ: "يُنْتَظِر".⁽⁶⁾

الْدَّوَائِرَ: جمع دائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة، وهي الحوادث والآفات، والهلاك⁽⁷⁾،

أو تصاريف الزمان ونواتها التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر.⁽⁸⁾

وَيَرْبَصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ: تربص الدوائر هنا تحمل عدة وجوه، هي:

أ. موت الرسول ﷺ، ويظنون أن الإسلام يموت بموته ﷺ.

(1) قتادة بن دعامة بن قتادة: أبو الخطاب السدوسي البصري (61 - 118هـ): مفسر حافظ ضرير ولد أكمه، أحد الأئمة الأعلام الحافظ عن أنس وابن المسيب، وعنه أبوب وحيد الأوزاعي، قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. ينظر: لسان الميزان، العسقلاني 341، والأعلام 189/5.

(2) ينظر: البحر المحيط 491/5 - 492، أيسر التفاسير 2/417، الجواهر الحسان 3/207.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير 4/202، وأيسر التفاسير 2/417، وتفسير المراغي 11/7.

(4) ينظر: تفسير السمعاني 2/340، تفسير البغوي 2/380.

(5) ينظر: النكت والعيون 2/393 - 394.

(6) تفسير البغوي 2/380.

(7) ينظر: تفسير ابن كثير 4/202، وأيسر التفاسير 2/417.

(8) ينظر: تفسير المراغي 11/7، وتفسير البغوي 2/380، أيسر التفاسير 2/417.

ب. ظهور المشركين واليهود وانتصارهم على المسلمين، وإعلان الكفر والعصيان.⁽¹⁾

ج. انتهاز الفرصة المناسبة، والانتقام من المسلمين.⁽²⁾

الراجح: ترى الباحثة بأن كل هذه الأوجه السابق ذكرها تُعلل النفسيّة الخبيثة والجهالة التي كانوا عليها، وأماناتهم التي لم تتحقق، وأحلام اليقظة التي كانوا بها، لأن الله يُجلّ بنصر الحق دائمًا.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَاجْدَرُ﴾ عطفة على أشدّ، وألأ في موضع نصب بأن كما يقال: أنت خلائق أن تفعل ولا يجوز أنت خلائق الفعل، لأن (ما) بعد أن يدلّ على أنّ الفعل مستقبل يجعل الحذف عوضاً، وقيل أنه يوجد بها حذف لطول الكلام.⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿وَاجْدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (أن) في موضع نصبٍ، لأن الباء ممحونة من أن، والمعنى أَجْدَرُ بترك العلم، تقول: أنت جدير أن تفعل هذا، وبأن تفعل هذا.⁽⁴⁾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾ (من) في موضع رفع بالابتداء.⁽⁵⁾

﴿مَا يُنِفِقُ مَغْرِمًا﴾ مفعول ثانٍ ليتَخَذَ، والتقدير ينفقه، لأنّه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم أي يعتقد أنّ الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخساراً، فحذفت الهاء لطول الاسم ﴿مَغْرِمًا﴾.⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿يَكُوْنُ الدَّوَائِرَ﴾ الباء متعلقة بكلمة ﴿وَيَرْبَصُ﴾ وبذلك تكون حالاً من الدوائر.⁽⁷⁾

قوله تعالى: ﴿عَيْهِمْ دَأْرَةُ أَسْوَءِ﴾ "مبتدأ مؤخر، وخبر مقدم، والدائرة في الأصل: مصدر أو اسم فاعل من دار يدور".⁽⁸⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/126، والكشف والبيان 5/82، والنكت والعيون 2/394، وتأويلات أهل السنة 5/457، وزاد المسير 2/290، وتفسير المنار 11/9.

(2) ينظر: النكت والعيون 2/394.

(3) ينظر: إعراب القرآن 2/131، وزاد المسير 2/290.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج 2/465.

(5) إعراب القرآن 2/131.

(6) ينظر: تفسير القرطبي 8/234، وغرائب القرآن، النيسابوري 3/521، وإعراب القرآن 2/131.

(7) ينظر: التبيان 2/656.

(8) التفسير المنير 11/12.

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: **﴿أَشَدُّ وَأَجَدَرُ﴾** أسماء تفضيل ولم يذكر ما يدل على المفضل عليه، فجاز أن يكونوا على ظاهرهما فيكون بذلك المفضل عليه أهل الحضر، وهم كفار ومنافقوا المدينة، وهذا الذي أجمع عليه المفسرين.⁽¹⁾

ب. قوله تعالى: **﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾** إضافة الدائرة إلى السوء للبالغة والتأكيد والبيان، كقولهم: شمس النهار، ورجل صدق.⁽²⁾

4. القراءات:

قال تعالى: **﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾**، كلمة (السوء) فيها قراءتان على النحو الآتي:

أولاً: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين المشددة **(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ)**.

التوجيه: الذين قرأوا بهذا الوجه أن المراد بـ (السوء): الهزيمة والشر، والبلاء، وحينئذ يكون المعنى: عليهم دائرة الهزيمة، والشر، والبلاء.

ثانياً: قرأ الباقيون بفتح السين المشددة **(السُّوءِ)**.

التوجيه: وجه هذه القراءة أن المراد بـ (السوء): الرداءة، والفساد، ويكون المعنى: عليهم دائرة الفساد.⁽³⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

الآيات تتحدث وتكشف عن المنافقين، وإعدادهم للتوبية أو للقضاء عليهم ففي الآية الأولى قوله تعالى: **﴿الْأَعْرَابُ﴾** أي جنسهم لا كل واحد وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى: **﴿وَكَانَ الْأَنْسَنُ كُفُورًا﴾** [الإسراء: 67]، إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبراً⁽⁴⁾، وذكر الأعراب هنا بياناً مستأنف لحال سكان الباية من المنافقين؛ لأنه مما يسأل عنه بعدها تقدم في منافقي الحضر من سكان الباية وغيرها من القرى.⁽⁵⁾

(1) ينظر: التحرير والتنوير / 11 / 11.

(2) ينظر: التفسير المنير / 11 / 12.

(3) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي ص: 283، وشرح طيبة النشر، ابن الجوزي / 2 / 361، وفريدة الدهر، محمد إبراهيم سالم / 2 / 848.

(4) ينظر: فتح القدير / 2 / 450.

(5) تفسير المنار / 11 / 7.

قوله تعالى: ﴿أَشَدُّ كُفَّارًا وَنَفَّاقًا﴾ بين أن كفرهم ونفاقهم أشدّ من كفر غيرهم، ومن نفاق غيرهم، والسبب في ذلك يعود إلى عدة أمور، منها أنهم أقسى قلوبًا وأغلظ طباعًا وأجفى قولًا من أهل الحضر، ولأنهم أبعد عن سماع كتاب الله ﷺ وما جاءت به رسالته وأوحش فعلاً، وطبيعة نشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم⁽¹⁾، "وهم أحق وأخلق" ﴿أَلَا يَعْلَمُوا مُحْدُودًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الشرائع والأحكام والفرائض، وما أمر به من الجهاد لبعدهم عن مواطن الأنبياء وديار التنزيل، ومشاهدة المعجزات، ومعاينة ما ينزل عليه من تضاعيف الكتاب والسنة⁽²⁾.

روى الأعمش، عن إبراهيم قال: كان زيد بن صوحان جالساً يحدث وقد أصيبت يده يوم نهاوند، فجاء أعرابي وقال: إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتربيني، فقال له زيد: أو ليس الشمال؟ قال الأعرابي: والله لا أدرى الشمال تقطع أو اليمين؟ فقال زيد: صدق الله ﷺ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفَّارًا وَنَفَّاقًا وَأَجَدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا مُحْدُودًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾⁽³⁾، وزيد بن صوحان من كبار التابعين، وهو الذي ذكر رسول الله ﷺ في شأنه أن يده تسبقه إلى الجنة⁽⁴⁾.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ عليه بأحوال مخلوقاته على العموم وهؤلاء منهم، وعليه بما في قلوب أهل البدو والحضر، وأصحاب الوير والمدر⁽⁵⁾، و﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يجازيهم به من خير وشر، وفيما قسم بين عباده، وحكمه في تدبيره إياهم، وفي حلمه عن عقابهم، مع علمه بسرائرهم، وخداعهم أولياءه، حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانيته وألوهيته، لو تدبروا فيه ونظروا⁽⁶⁾.

جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تذليل لهذا الإفصاح عن دخلة الأعراب وخلقهم.⁽⁷⁾

بعدما ذكر الله ﷺ في الآية السابقة صفة من منافقي الأعراب ذكر هنا صفة جديدة وهي أنهم ينفقون أموالهم رباء وسمعة وتقرباً لل المسلمين، وهو أنه يوجد من بعض الأعراب من يجعل ما ينفقه في الجهاد غرامة لزمه وخسارة لحقته في ماله وذلك لأنه لا يؤمن بالثواب والعقاب الأخرى، ولا يعلمون حجج الله ﷺ في ألوهيته وبعثة رسوله لقلة نظرهم وسوء فهمهم، ولذا لا حق لهم في الفيء،

(1) ينظر: تفسير القرطبي 8/231، والنكت والعيون 2/393، وفتح القدير 2/450، وتفسير المنير 11/13، والبحر المديد 2/420، وتفسير الشعراوي 9/5437.

(2) فتح القدير 2/450.

(3) ينظر: الكشف والبيان 5/82، وبحر العلوم 2/83، والمحرر الوجيز 3/73، وفي ظلال القرآن 3/1700.

(4) تفسير السمعاني 2/340.

(5) ينظر: فتح البيان 5/378، وتأويلات أهل السنة 5/456، وغرائب القرآن 3/521، والبحر المحيط 5/491.

(6) ينظر: فتح البيان 5/378، وفتح القدير 2/450، وجامع البيان 14/430، وتأويلات أهل السنة 5/457.

(7) ينظر: التحرير والتنوير 11/13.

والغنية إلا أن يجاهدوا أو يتحولوا إلى الحاضر ويترکوا البادية⁽¹⁾، وبعضاً يعده خسارة لأنهم لا يحتسبونه عند الله بِحَلَالٍ، ولا يرجون عليه ثواباً، وينفقه رباء، فيتقلّل مثل الذي ليس بحق.⁽²⁾

قوله وَيَدْبَصُ كُلُّ الدَّوَّارِ أي وينظر بكم أيها المسلمين الدوائر متى تنزل بكم، وهي انقلاب النعمة إلى ضدها فيتخلص منكم ومن الإنفاق لكم⁽³⁾، قوله تعالى: عَلَيْهِمْ دَأْرَةُ السَّوْءِ الجملة دعاء عليهم، جزاء على ما يتربصون بالمؤمنين⁽⁴⁾، والأمر منعكس والسوء والبلاء والحزن دائرة عليهم.⁽⁵⁾

قوله تعالى: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيهِ السمع والعلم يتتسابان هنا مع جو التربص بالسوء من أعداء المسلمين، والنفاق الذي تحتويه جوانبهم، وتخفيه ظواهرهم⁽⁶⁾، والله سميع لآقوالهم علهم بنواياهم وضمائرهم فلذا دعا عليهم بما يستحقون⁽⁷⁾، وعليماً بهلاكهم، وبمن يستحق النصر من يستحق الخذلان.⁽⁸⁾

من خلال الآية الكريمة يتضح أنهم "حسب عقائدهم فانتظروا للMuslimين ما تعلقت به مناهم من حلول المحن بهم، فأبى الله بِحَلَالٍ إلا أن يحقيق بهم مكرهم، ولهذا قيل في المثل: إذا حفرت لأحذيك فوسع فربما يكون ذلك مقيلاً! ويقال من نظر إلى ورائه يوقف في كثير من تدبّره ورأيه"⁽⁹⁾ لأن السلاطين لا يريدون غالباً النصح وصراحة القول، فلا يتقرب منهم إلا المراوون عادة، ومن يريدون تحقيق مصالح شخصية.⁽¹⁰⁾

يتضح من خلال الآيات بأن الأعراب أسرع الناس في الفتنة ولمسارعتهم فيها عدة أسباب، منها:

- سرعة اغترارهم بما يتعلمونه من القرآن الكريم، فيظنون أنهم صاروا علماء بقليل من العلم، وقلة تفهّمهم.
- جفاؤهم للعلماء، وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم.

(1) ينظر: أيسر التفاسير 2 / 417-418، تفسير المنار 11 / 9، وتفسير المراغي 11 / 8.

(2) ينظر: فتح القدير 2 / 451، وأنوار التنزيل 3 / 95، ومدارك التنزيل 1 / 704، والتفسير المنير 15 / 11، والنكت والعيون 2 / 393-394، وفتح البيان 5 / 379.

(3) ينظر: أيسر التفاسير 2 / 417، وتأويلات أهل السنة 5 / 457.

(4) أيسر التفاسير 2 / 418.

(5) ينظر: جامع البيان 2 / 95، والوسط في تفسير القرآن المجيد 2 / 519، وتفسير البغوي 2 / 380.

(6) ينظر: في ظلال القرآن 3 / 1701.

(7) ينظر: أيسر التفاسير 2 / 418، والوسط في تفسير القرآن المجيد 2 / 519، والبحر المحيط 5 / 493، وغرائب القرآن 3 / 521، ومفاتيح الغيب 16 / 126.

(8) ينظر: بحر العلوم 2 / 83.

(9) لطائف الإشارات 2 / 57.

(10) ينظر: التفسير المنير 11 / 14، وتفسير المراغي 11 / 8.

- تمكّن العصبية القبلية من نفوسهم.
- حدة طباعهم ونفورهم من المدنية والخلطة، وإساءة الظن بالآخرين من لا يعرفونهم، وهذا من طباع الأعراب في كل زمان ومكان.
- تشددهم في الدين، وتنطعهم بما ليس لهم به علم، لذلك صار غالب الخوارج من هذا الصنف.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص :

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ التحذير من سُكُنَ الْبَادِيَةِ ﴾:

للبيئة أثر كبير في تكوين طبيعة الإنسان، وفي رسم معلم شخصيته من صفاتٍ حَلْقِيَّةٍ وَحُلْقِيَّةٍ، وتحديد مواقفه من الحياة، والبادِيَة وما فيها من جفاف، وجدب وقسوة، قد طبعت الكائنات فيها - وبخاصة الإنسان - بطبعها الجاف المجدب القاسي، وفي المثل: "من بدا جفا".⁽²⁾

ذكر الجزائري: "أن من الأعراب المؤمن والكافر والبر والتقي والعاصي والفاجر كسكان المدن إلا أن كفار البادِيَة ومنافقها أشد كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة عليهم".⁽³⁾

﴿ بِيَانِ وَاقْعِ الْبَادِيَةِ فِي الْعَصْرِ الْحَالِيِّ ﴾:

"الإسلام يُشَعِّي على البداءة، وإذ يصف أهلها بالنفاق الكريه، والكفر الغليظ، والجهل الفاضح، فالإسلام بهذا يدعو إلى العمران، ويحرض على المدنية، ويَبَغْضُ إلى الناس العزلة والوحشة وقبول الحياة، كما هي، من غير معالجة لأشيائها، ووضع بصمة الإنسان العالم الحكيم عليها".⁽⁴⁾

هذا ما نلاحظه في واقعنا الذي نعيشه اليوم أن من أهل البادِيَة من هو أشد كفراً ونفاقاً وتشدداً وتعنتاً، نعم، وهم أشد على الإسلام من الكفر ونحن نرى أنهم يثبتون القواعد العسكرية الكبرى للأمريkan - العدو الأول لامة الإسلام -، حتى أن أموال الأعراب وخيرهم ذاهب كلهم للصليبيين والكافر، وهم يعملون بخلاف وصية النبي ﷺ: "أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِزِّوَا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُحِيَّهُمْ".⁽⁵⁾

(1) ينظر: تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ﷺ، الصالباني ص: 320.

(2) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب 6/ 875 - 876.

(3) أيسير التفاسير 2/ 418.

(4) التفسير القرآني للقرآن 6/ 875 - 876.

(5) صحيح البخاري 4/ 99، كتاب: الجزية، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب، حديث رقم: 3168.

المطلب السادس

حقيقة إيمان الأعراب

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُفْقَدُ فَرِبَتِي عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَتِ الرَّسُولُ الْأَكْبَرُ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيِّدُ الْجَهَنَّمَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبه: 99].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما بين الله تعالى أنه حصل في الأعراب من يتخذ إِنفاقه في سبيل الله مغراً، وربما ونقية، بين هنا أن فيهم قوماً مؤمنين صالحين مجاهدين يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر، ويتخذ إِنفاقه في سبيل الله تعالى مغناً، وليس مغراً.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

نزلت الآية الكريمة في بني مقرن من مزينة قاله مجاهد، وقال: "عبد الرحمن بن مغفل بن مقرن: كنا عشرة ولد مقرن فنزلت علينا: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾"⁽²⁾ يريد: السنة والسبعة الإخوة على الخلاف في عددهم.

قال الضحاك⁽³⁾: "نزلت في عبد الله ذي النجادين ورهطه".

قال الكلبي: في أسلم وغفار وجهينة.⁽⁴⁾

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : " لَأَسْلَمَ، وَغَفَارٌ، وَشَيْءٌ مِنْ مُزَينَةَ، وَجَهِينَةَ، أَفَ شَيْءٌ مِنْ جَهِينَةَ، وَمُزَينَةَ، خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ أَحْسِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ أَسَدٍ، وَغَطَّافَانَ، وَهَوَازِنَ، وَتَمَيِّمٍ ".⁽⁵⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/126، واللباب في علوم الكتاب 10/18، والكشف والبيان 5/82-83.

(2) الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني 5/187.

(3) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني: أبو محمد، صاحب التفسير، حدث عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأنس ابن مالك وسعيد بن جبير وعطاء وطاوس وغيرهم، وثقة أحمد بن حنبل وابن معين وضعفه يحيى القطان وغيره، واحتج به النسائي وغيره، روى له الأربعه، توفي سنة 105هـ. [ينظر: الواي بالوفيات، الصافي 16/207].

(4) ينظر: الكشف 5/83، واللباب في علوم الكتاب 10/183، والجواهر الحسان 3/208، ولباب التأويل 2/398، والمحرر الوجيز 3/74.

(5) صحيح مسلم 7/179، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضل غفار وأسلم ومزينة وجهينة، حديث رقم: 6530.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

مَائِنِفُ: فيها قولان:

- يتخذ ما ينفق في الجهاد.
- يتخذ ما ينفق في الصدقة.⁽¹⁾

الراجح: والذي نراه أن كلا القولين محتملان وصحيحاً وخير شاهد على ذلك سيرُ الرسول ﷺ في الغزو كانت تبني على نفقات الصحابة ﷺ والمؤمنين.

قُرْبَةٌ: "جمع قرية وهي المنزلة المحمودة"⁽²⁾، والمكانة كالقرب في المكان والقراة في الرحمة"⁽³⁾، وهو ما يدنى من رحمة الله، ورضاه ومحبته.⁽⁴⁾

عِنْدَ اللَّهِ: يحتمل وجهين:

- أن صرف النفقات "قربيه من طاعة الله ﷺ ورضاه.
- أن ثوابها مذكور لهم عند الله ﷺ فصارت قربات عند الله.⁽⁵⁾

وَصَلَوةُ الرَّسُولِ: الصلاة تأتي بمعنىين، هما:

- دعاء الرسول ﷺ لهم بالخير، والبركة.
- استغفار النبي ﷺ لهم.⁽⁶⁾

رَحْمَتُهُ: الرحمة هنا فيها قولان:

- قال ابن عباس ﷺ: في جنته، ورضوانه⁽⁷⁾، وسمى الله ﷺ جنته رحمة لما برحمته

(1) ينظر: زاد المسير / 291.

(2) أيسر التفاسير / 417.

(3) تفسير المراغي / 11.

(4) ينظر: جامع البيان / 432، والوسيط في تفسير القرآن المجيد / 519.

(5) النكت والعيون / 2.

(6) ينظر: فتح القيدير / 452، وجامع البيان / 432، والدر المنثور، جلال الدين السيوطي / 4، والوجيز، الواحدي التيسابوري ص: 478، وأيسر التفاسير / 417، والنكت والعيون / 2.

(7) ينظر: زاد المسير / 291، ومدارك التنزيل / 704، والتفسير الوسيط، الزحيلي / 1.

يدخلون، لا استجابة لهم منه بذلك، بل رحمة منه وفضلاً⁽¹⁾، لأنها نعيم مقيم وأعلى وأسمى درجة ورحمة يعلو الإنسان إليها.

ب. يراد بها الرحمة الشاملة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، لتشمل الجنة وغيرها ويكون المعنى أنهم باتخاذهم ما ينفقون والصلوات تحيط بهم رحمة الله تعالى لا يخرجون منها إلّا إليها.⁽²⁾

ترى الباحثة بأن الله تعالى يرحمهم بهدايتهم إلى صالح الأعمال مثل الإنفاق في سبيل الله تعالى، وتقديم الصدقات، وهذه كلها مؤدية إلى حسن الخاتم والمصير، و يجعلهم أهلاً لرضوان وفضل الله تعالى، وإحسانه ومدده، وإدخالهم جنته.

2. الإعراب:

قال تعالى: ﴿قُرُبَاتٍ﴾ مفعول ثانٍ ليتخد، والمعنى: أنّ ما ينفقه سبب لحصول القربات.⁽³⁾

قال تعالى: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في هذا الظرف ثلاثة أوجه:

أ. أنه متعلق بـ (يتخد).

ب. أنه ظرف لـ (قربات).

ج. أنه متعلق بمحذف، لأنّه صفة لـ (قربات).

الراجح: أن الوجه الأول هو أظهرها.⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ "معطوف على ﴿مَا يُنْفِقُ﴾ تقديره: (صلوات الرسول قربات).⁽⁵⁾

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ يحمل أن يعود الضمير في (إنما) إلى:

أولاً: صلوات الرسول ﷺ.

ثانياً: الإنفاق والتصدق في سبيل الله تعالى.

(1) ينظر: تأوييلات أهل السنة 459/5.

(2) ينظر: زهرة التفاسير 3426 / 7.

(3) ينظر: التبيان 2 / 656، والكشف 2 / 303، ومدارك التنزيل 1 / 704.

(4) ينظر: اللباب 10 / 183، والتبيان 2 / 656.

(5) التبيان 2 / 656.

من خلال الاحتمالين السابقين يتضح أنَّ كلاماً فيه قربة لهم عند الله عَزَّ وَجَلَّ.⁽¹⁾

3. الجوانب البلاغية:

قالَ تَعَالَى: ﴿سَيِّدُ الْجَنَّاتِ لَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ مَجاَزٌ مَرْسُلٌ أَيٌّ فِي جَنَّتِهِ، مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْحَالِ وَإِرَادَةِ الْمَحْلِ أَيٌّ مَحْلُ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ.﴾⁽²⁾

4. القراءات:

قالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ "قرأها ورش: بتحريك الراء بالضم فتكون قراءة غيره بـإسكانها".⁽³⁾

5. الناسخ والمنسوخ :

قيل بأنَّ قوله تَعَالَى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفَّارًا وَنَفَّاقًا﴾ هذه الآية والتي نثبَتَها، وهي قوله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرِبًا﴾ نسخهما الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿وَمِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى نهاية الآية والقول بأنَّ هذا جميع ما في السورة من المنسوخ.⁽⁴⁾

الراجح: هذا القول مما ينبغي ويجب على السامع والقارئ أن يتضامن عنه، ولا يسمع.⁽⁵⁾

وما تميل إليه الباحثة وترتفضيه بأنه لا يوجد آية نسخت الآيات التي قبلها في هذا الموضوع، وما يمكن القول به أنه كما كان يوجد في المدينة المنورة صاحبة خالصي الإيمان، ويوجد منافقون مثل عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وغيره، فإنَّ في الأعراب أيضاً من كان منافقاً يغدر بال المسلمين ويدبر لهم المكائد، ومنهم من كانوا مخلصين في إيمانهم، صادقين لوعدهم، ثابتين على الحق.

أيضاً ذكر القول في الكتب بصيغة التمريض - قيل -، وهذا دليل على ضعف الرواية بالنسخ.

(1) ينظر: لباب التأويل 2/398.

(2) ينظر: التفسير المنير 11/12، وصفوة القاسير 1/562.

(3) الوافي في شرح الشاطبية ص: 283.

(4) ينظر: الناسخ والمنسوخ، المقرى ص: 101، والناسخ والمنسوخ، ابن حزم ص: 40، والناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن، الزهري ص: 29.

(5) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي ص: 416.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

ذكر في المطلب السابق صفتين من صفات الأعراب المنافقين، وفي هذا المطلب صفة جديدة من صفات الأعراب، فبعض آخر من الأعراب يؤمنون إيماناً صحيحاً بالله عَزَّوَجَلَّ ، وذكر عَزَّوَجَلَّ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وهو الإيمان بوحدانيته، وأنه الخالق من غير شريك، والواحد في صفاته من غير مثيل، والمتفرد بال神性 والعبادة وحده عَزَّوَجَلَّ ، والإيمان بأن له رسلاً أرسلهم إلى خلقه وبيهودهم بمعجزات باهرة تدل على أنهم يتحدثون عن الله عَزَّوَجَلَّ ، وأنه أرسل محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدي ودين الحق بشيراً ونديراً داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فذكر الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ يقتضي الإيمان برسله عامة ورسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، قال تعالى: ﴿وَالْيَوْمُ الْآخِرُ﴾ هو يوم القيمة وما قبله من بعثة ونشر وحساب وثواب وعقاب، فكل ذلك إيمان بالاليوم الآخر، وهو إيمان بأن الإنسان لم يخلق عبثاً، وأنه محاسب على كل صغيرة وكبيرة، وأن الدنيا قنطرة الآخرة، وأنها ممر للحياة الآخرة.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنِفِّقُ فَرِيَّدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي نيتهم بالإنفاق ابتغاء سبيل الله عَزَّوَجَلَّ والقرية منه.⁽²⁾

قال تعالى: ﴿وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾ الصلوات هنا تأتي بمعنى الدعاء، وفيها توضيح بأن نفقاتهم وسيلة للتوصل والحصول على دعاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففي دعائه لهم خير في الآخرة حيث النجاة من النار، وخير الدنيا في أرزاقهم ومنح الله عَزَّوَجَلَّ لهم، لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أتاهم المؤمن بزكاته أو صدقته يدعوا له بالخير والبركة⁽³⁾، ومن الأدلة التي حدثت وتأكد ذلك ما ذكر في الصحيحين عن عبد الله بن أوفى رض قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتاهم قوماً بصدقتهم قال: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ" ، فَاتَّأْهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فقال: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوفَى"⁽⁴⁾، وصلوات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طمأنينة لهم وبراءة من النفاق؛ لأنه كان لا يدعوا لأهل الكفر والنفاق، فإذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان ذلك طمأنينة لقلوبهم، وشهادة لهم بالبراءة من النفاق؛ وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبية: 103]، أي: "تسكن قلوبهم بصلوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتطمئن بأنهم ليسوا من أهل النفاق، وأنهم براء من ذلك"⁽⁵⁾، ومن المعلوم أن الصلاة من الله عَزَّوَجَلَّ على عباده رحمة وخير

(1) ينظر: أيسر التفاسير 2/ 418، وال Kashaf 2/ 303، و Zahratul Tafsir 7/ 3425.

(2) ينظر: Zad Al-Masir 2/ 291.

(3) ينظر: أيسر التفاسير 2/ 418، وال Kashaf 2/ 303.

(4) صحيح البخاري 2/ 129، كتاب: الزكاة، باب: صلاة الإمام، ودعائه لصاحب الصدقة، حديث رقم: 1497.

(5) تأویلات أهل السنة 5/ 458.

ويركة، ومن النبي ﷺ والملائكة دعاء، ومن الناس عبادة.⁽¹⁾

ثم بين الله ﷺ بأن ما ينفقه هذا النوع من الأعراب تقرباً إليه مقبول وواقع على الوجه الذي أرادوه، وهذه شهادة منه ﷺ للمتصدق في سبيله بصحة ما اعتقد وهي رجاؤه في أن تكون نفقته قربات من الله ﷺ وصلوات من الرسول ﷺ⁽²⁾، فأخبر الله ﷺ بقبولها خبراً مؤكداً باسمية الجملة، وحرفي التنبية والتحقيق، وفي هذا من التطبيب لخواطركم، والتطمئن لقلوبهم ما لا يقدر قدره مع ما يتضمنه من النعي على من يتخذ ما ينفق مغراً، والتوبية له بأبلغ وجه.⁽³⁾

ذكر في هذه الآية ما يقابل ما ذكر في الآية السابقة، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَا بِصُرُّكُودَ الدَّوَّارِ عَيْتَهُمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبية: 98]، حيث إنه أخبر أن ما يتربصون به من الدوائر عائد عليهم، وأخبر هنا أن ما ينفق المؤمنون قربة لهم عند الله ﷺ.⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ اختتم الله ﷺ الآية الكريمة بهذا القول "لعل واحداً من يسمع هذا؛ يظن أن الجزاء والقربى والدخول في رحمة الله خاصٌّ بمن لم يذنب ذلك أبداً"⁽⁵⁾، ويؤكد الله ﷺ وعده لهم بإدخالهم في رحمته وهي الجنة فإنه يغفر ذنوبهم أولاً، ويدخلهم الجنة ثانياً، هذه سنته ﷺ في أوليائه، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره، وفيها اختتام بما يفتح التوبة للأعراب والعودة إلى الله ﷺ.⁽⁶⁾

يقول القشيري⁽⁷⁾: "الأعراب تتّعوا ف منهم من غشّ ولم يربح، ومنهم من نصح فلم يخسر، فأما الذين مدقوا [كذبوا] فهم في مهواه هوانهم، وأما الذين صدقوا ففي روح إحسانهم".⁽⁸⁾

(1) ينظر: تفسير القرطبي/235، والتفسير الوسيط، الزحيلي/1909، وتفسير السمعاني/2، 341، والمحرر الوجيز 3/74.

(2) ينظر: البحر المحيط 5/493، ومفاتيح الغيب 16/127، ومدارك التزيل 1/704.

(3) ينظر: الكشاف 2/303، ومفاتيح الغيب 16/127، وفتح البيان 5/381.

(4) ينظر: تأویلات أهل السنة 5/458.

(5) تفسير الشعراوي 9/5442.

(6) ينظر: أيسر التفاسير 2/418، وزهرة التفاسير 7/3427.

(7) عبد الكريم بن هوان بن عبد الملك القشيري : النيسابوري الصوفي الزاهد، شيخ خرسان، ولد سنة 376، وتوفي بنيسابور سنة 465 هـ، قرأ الأدب والعربية وسمع الفقه من محمد ابن بكر الطوسي، وبرز بين الشاعرة وصنف (التفسير الكبير) و(الرسالة المشهورة)، سمع الحديث ببغداد والحجاز، وكان يعظ وينبلي الحديث، وكان ذا قدر كبير وله شعر رقيق، [لينظر: تاريخ إربل، ابن المستوفى 2/360-361].

(8) لطائف الإشارات 2/57.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآية إلى تحقيق المقاصد الآتية:

﴿الأعراب ليس كلهم سواء﴾:

ليس الأعراب جميعاً على حال سواء، فإذا كانت الصحراء تبت الشوك والحسك، وتؤوي الوحش والحيّات، فإنها تخرج العرار (نبت طيب الريح) والريحان، وتتحلّ بالظباء والنعام، وإذا كان في أعراب الباية، الجفا، وأهل الوحشة والجهالة، فإن فيهم ذوى النفوس الرقيقة، والقلوب المتفتحة، وإن هؤلاء أشبه بالأنسams العليلة الرطبة، التي تهمس بها أنفاس الصحراء بين الحين والحين في آذان الأصائل والأشجار، فتبعد الروح والعافية في كيان الأحياء، التي كانت تهلك من لفحات الهجير، ووقدات السموم، فيوجد في أعراب الباية الشعراء، والحكماء، وأصحاب الفراسة والألمعية التي تلمح بذكائها الفطري ما لا تلمحه العين المبصرة وراء المجهر، وتكتشف بصدق حدسها وظلتها من خفايا النفوس، ما لا يكشفه عالم النفس بأدوات علمه، ومقاييس فنه.⁽¹⁾

﴿التقرب إلى الله يُعَذَّل بالإنفاق﴾:

فضل النفقة في سبيل الله يُعَذَّل والإخلاص فيها عظيم وجليل، وينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق مثل: الإنفاق بالصدقات والزكاة وغيرها، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغناً، ولا تكون مغراً، وأن لا تكون من أعمال الرياء، حتى لا يحيط ويبطل أجر النفقة إذا لم تتحسب عند الله يُعَذَّل، والبحث على استشعار الاحتساب فيها، واتخاذها قرية الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.⁽²⁾

﴿السكن وأثره في جبل الشخصية﴾:

ورد في الآية الكريمة الترغيب في سكن المدن لأنها محل العلم وسماع الوعظ، وفيها من يستعان بهم على الدين، وورد الترغيب أيضاً في سكن الباية والجبال والفار بالدين من الفتن، وخصوصاً في آخر الزمان، ولهذا اختار كثير من الصحابة والتابعين سكن البوادي كأبي ذر، وسلمة بن الأكوع، وغيرهما، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والمقاصد، فمن كان مراده تحقيق الشريعة، وتحرير مسائل العلم الظاهر، والقيام بوظائف الدين، ولم يجد في الباية من يعينه على ذلك فسكنى المدن أفضل له، ومن كان مراده تصفية قلبه واسراره بأنوار الحقيقة، فسكن الباية، أوفق له، إن وجد من يستعين بهم على ذلك، لأنه كما نعلم بأن شواغل المدن

(1) ينظر: التفسير القرآني للقرآن/6/878.

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص: 349، والنكت الدالة على البيان /1/ 572، وأيسر التفاسير /2/ 418.

كثيرة، وقد كثرت فيها الحظوظ والأهواء فلا تجد فيها إلا من هو مفتون بدنياً أو مبتلي بهوى، بخلاف أهل الbadia فقد قلَّ فيهم ذلك، وجُلَّ أهلها على الفطرة.⁽¹⁾

البيت أيضاً له أثر كبير في تربية الفرد وبناء شخصيته؛ فالبيت المسلم الذي يعمل على تربية الأبناء التربية الصالحة يؤدي ذلك لبناء مواطن صالح متمسك بالشرع والعقيدة الإسلامية، والقيم والأخلاق السامية، وما البيت إلا صورة مصغرة عن المجتمع الذي نعيش فيه، فإن صلح الفرد الذي في البيت صلحت الأسرة، وصلاحها يؤدي إلى صلاح المجتمع ونموه ورقمه.

» تميز الأعراب المؤمنين عن غيرهم:

إن الذين دخلوا الإسلام من هؤلاء الأعراب، من ذوى النظر، والحكمة، قد عرّفوا هذا الدين معرفة كاشفة، فازدادت به بصائرهم استضاءة وتألّف، واسترورحت منه قلوبهم روح الطمأنينة واليقين، فصحبوا هذا الدين صحبة المؤاخاة والمصالحة، وعايشوه معايشة الأمن والعافية، فإذا أنفق هؤلاء المؤمنون من الأعراب نفقة في سبيل الله يَعْلَمُ احتسبوها قربات يتقرّبون بها إلى الله يَعْلَمُ، ويبتغون بها مرضاته، ويلتمسون منها صلوات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبركات دعائه.⁽²⁾

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن هذا يوجد جلياً في عصرنا الحالي حيث إنه يوجد من أهل البوادي من ينفق ماله في سبيل الله ويدعم المقاومة والجهاد إما بنفسه أو بالتبرع بالأموال للمقاومين والمجاهدين على الثغور مع الأعداء من يهود وأمريكان، ومنهم من تركوا القصور والأموال وعاشوا بين الجبال وتحملوا شظف الحياة ومشقاتها ابتغاء مرضاه الله يَعْلَمُ ولكسب الفوز بالجنة، ونسأل الله يَعْلَمُ أن يكون عملهم خالصاً لوجهه وأن يتقبل منهم و يجعله في ميزان حسناتهم.

(1) ينظر: البحر المديد / 421.

(2) ينظر: التفسير القرآني للفرقان 878/6 - 879.

المبحث الثاني

المقصود والأهداف لسورة التوبه من الآية (100 – 106)

الفئات الإيمانية المختلفة في المدينة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الطبقات الإيمانية في المجتمع المدني.

المطلب الثاني: جزاء المنافقين في المدينة ومن حولها.

المطلب الثالث: ندم بعض من تخلف عن الغزوة.

المطلب الرابع: حكم أخذ الصدقة.

المطلب الخامس: قبول التوبه والأمر بالعمل الصالح.

المطلب السادس: الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

المطلب الأول

الطبقات الإيمانية في المجتمع المدنى

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا إِلَّا كَفُورٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبه: 100].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

عقب ذكر الله تعالى في الآيات السابقة الفرق المتلبسة بالنفائص على تفاوت بينها في ذلك بذكر القدوة الصالحة والمثل الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله تعالى ليحتذى متطلب الصلاح حذوهم، ولئلا يخلو تقسيم القبائل الساكنة بالمدينة وحولها وبواديها، عن ذكر أفضل الأقسام تنويعها به، ولذلك تم استقراء الفرق وأحوالها، وما أعد لهم من الثواب، وبين أن فوق منزلتهم منازل أعلى وأعظم منها، وهي منازل السابقين الأولين.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

المهاجرون: هم الذين فارقوا منازلهم وأوطانهم، في سبيل الله تعالى.⁽²⁾

والأنصار: الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه الذين كانوا في المدينة وأيدوا وأدوا أصحابه، وقد كانوا آمنوا قبل أن يهاجروا إليهم بحولين.⁽³⁾

وهم أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة، وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن.⁽⁴⁾

﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ فيها ستة أقوال، هي:

أ. أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب

ب. أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي الحديبية، وبaidu تحت الشجرة، قاله الشعبي.⁽⁵⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/127، والتحرير والتوير 11/17، وزهرة التفاسير 7/3427.

(2) ينظر: تفسير البغوي 2/382، والكشف والبيان 5/83.

(3) ينظر: الكشف والبيان 5/83، وتفسير البغوي 2/382.

(4) ينظر: أنوار التنزيل 3/95، والبحر المحيط 5/494.

(5) ينظر: بحر العلوم 2/83-84، وزاد المسير 2/291، وتفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم 6/1868.

قال الشعبي: "المهاجرون الأولون من كان قبل البيعة إلى البيعة، فهم المهاجرون الأولون، ومن كان بعد البيعة، فليس من المهاجرين الأولين".⁽¹⁾

ج. أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رياح.⁽²⁾

د. أنهم جميع أصحاب الرسول ﷺ، حصل لهم السبق بإدراكه وصحابته، ونصرته.⁽³⁾

ه. أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقو إلى ثواب الله ﷺ، ذكره الماوردي.

و. أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى⁽⁴⁾، قال السدي⁽⁵⁾: "كانت الهجرة قبل أن تفتح مكة، فلما فتحت مكة كان من أسلم بعده ولحق بالنبي ﷺ فهو تابع".⁽⁶⁾

عن مجاشع بن مسعود⁽⁷⁾، أنه أتى النبي ﷺ بابن أخيه يبأيه على الهجرة، فقال النبي ﷺ: "لَا بْنُ يُبَأِيْعَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَيَكُونُ مِنَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ".⁽⁸⁾

اختلف المفسرون في أول من آمن برسول الله ﷺ بعد امرأته خديجة بنت خويلد مع اتفاقهم أنها أول من آمن بالنبي ﷺ وصدقته، مع الاختلاف على من أسلم بعدها أبو بكر الصديق أم على وليس هذا موضع ذكر الاختلاف⁽⁹⁾، قوله تعالى: ﴿وَالسَّقُورُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ "صيغة جمع فلا بد من حمله على جماعة، فوجب أن يدخل فيه جميع الصحابة ﷺ".⁽¹⁰⁾

(1) جامع البيان /14 /435

(2) ينظر: الكشف والبيان /5/83، وزاد المسير /2/291، وتفصير ابن أبي حاتم /6/1868، والوسط في تفسير القرآن المجيد /2/520.

(3) ينظر: زاد المسير /2/291، وتفصير ابن أبي حاتم /6/1868، والوسط في تفسير القرآن المجيد /2/520.

(4) ينظر: البحر المحيط /5/494، وزاد المسير /2/292.

(5) السُّدِّيُّ: هو عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم العمري، المدائِيُّ، أخو أَسَامَةَ، وعَبْدُ اللهِ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صاحبَ قرآنٍ وتفصيرٍ، جَمَعَ تفاصيرًا في مجلدٍ، وكتاباً في النَّاسِخِ والنَّسُوكِ، وحَدَّثَ عَنْ: أَبِيهِ، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، رَوَى عَنْهُ أَصْبَحُ بْنُ الْفَرَّاجِ، وَقُبَيْلَةُ، وَهَشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، وَآخَرُونَ، تَوَفَّى سَنَةُ 182هـ. [ينظر: سير أعلام النبلاء /7/344].

(6) بحر العلوم /2/83.

(7) مجاشع بن مسعود: بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهة بن سليم بن مئصور السلمي نزل البصرة، وروى عنه أبو عثمان النهدي، وكليب بن شهاب، وعبد الملك بن عمير، وأسلم قبل أخيه مجال.

وقتل يوم الجمل بالبصرة مع عائشة قبل القتال الأكبر، وقيل أنه قتل يوم الجمل يوم الحرب التي حضرها: علي، وطلحة، والزبير. [أسد الغابة، ابن الأثير /5/55].

(8) مسند أحمد /25/176، مسند المكين، باب: حديث مجاشع بن مسعود، حديث رقم: 15847، [إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيوخين].

(9) ينظر: الكشف والبيان /5/83، وتفصير البغوي /2/381.

(10) مفاتيح الغيب /16/128.

أَتَّبَعُوهُمْ بِإِلْحَسْنِ : الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصرة إلى يوم القيمة.

وقال عطاء: هم الذين يذكرون المهاجرين بالوفاء والترحّم والدعاة.⁽¹⁾

وقيل هم بقية المهاجرين والأنصار سوى السابقين الأولين.⁽²⁾

وَالَّذِينَ أَتَّبَعُوهُمْ : فيها أقوال، كالتالي:

أ. السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ.

ب. المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدوا بهم في أفعالهم، ففضل أولئك بالسبق، وإن كانت الصحبة حاصلة للكل.

ج. اتباعهم إياهم بإحسان أي أنهم يذكرون محسناتهم ويترحمون عليهم.⁽³⁾

2. الإعراب:

الْأَوَّلُونَ ⁽⁴⁾ "صفة لـ (هم)".

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ⁽⁵⁾ "الجار وال مجرور متعلق بحال من المبتدأ (السابقون)".

وَالْأَنْصَارِ ⁽⁶⁾ "عطف على (المهاجرين) أي ومن الأنصار".

بِإِلْحَسْنِ ⁽⁷⁾ "متعلق بحال من فاعل (اتبعوهم)".

قوله تعالى: **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ⁽⁸⁾ "خبر المبتدأ والسابقون".

وَأَعَذَّهُمْ ⁽⁹⁾ "معطوف على (رضي)".

قوله تعالى: **خَالِدِينَ** ⁽¹⁰⁾ "حال من الضمير في (هم)، والجار (فيها) متعلق بـ (خالدين)".

(1) ينظر: الكشف والبيان 5/83، وتفسير البغوي 2/382.

(2) تفسير البغوي 2/382.

(3) ينظر: زاد المسير 2/292.

(4) مدارك التنزيل 1/705.

(5) ينظر: المجتبى، أحمد بن محمد الخراط 2/411.

(6) مفاتيح الغيب 16/130.

(7) المجتبى 2/411.

(8) مفاتيح الغيب 16/130، ومدارك التنزيل 1/705.

(9) مدارك التنزيل 1/705.

(10) المجتبى 2/411.

3. الجوانب البلاغية :

اختلف المفسرون في أن المدح الحاصل في هذه الآية هل يتناول جميع الصحابة أم يتناول بعضهم، على قولين، هما:

أ. يتناول الذين سبقو في الهجرة والنصرة، وعلى هذا فهو لا يتناول إلا قدماء الصحابة ﷺ، لأن كلمة (من) تقييد التبعيض.

ب. منهم من قال بل يتناول جميع الصحابة، لأن جملة الصحابة موصوفون بكونهم سابقين أولين بالنسبة إلى سائر المسلمين، وكلمة (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ليست للتبعيض، بل للتبيين، أي والسابقون الأولون الموصوفون بوصف كونهم مهاجرين وأنصارا كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ أَرْجَحُكُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحج: 30].⁽¹⁾

الراجح: ما تميل إليه الباحثة بأن الرأي الثاني هو الأنسب والأقرب إلى الصواب لأنه يشمل جميع صحابة رسول الله ﷺ.

4. القراءات:

أ. قال تعالى: ﴿وَالسَّمِيقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ اختلف القراء في (والأنصار)، كالتالي:

أولاً: قرأ يعقوب: (والأنصار) برفع الراء.

التوجيه: من قرأ بذلك قرأها على أنه مبتدأ، خبره قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

ثانياً: قرأ الباقيون (والأنصار) بخفض الراء.

التوجيه: الذين قرأوها بهذا الوجه قرأوها على أنها عطف على (المهاجرين) ومعناه: ومن المهاجرين ومن الأنصار.⁽²⁾

ب. قال تعالى: ﴿تَجْرِي مَتَّهَا أَلَانَهَرُ﴾ فيها قراءتان:

أولاً: قرأ المكي بزيادة من قبل تحتها، وجراها بها (من الأنهر) وهو كذلك في مصحف مكة.

ثانياً: قرأ الباقيون بحذف (من)، ونصب تحتها مفعول فيه، كما هو مذكر في هذا الموضع، وهو كذلك في مصاحفهم⁽³⁾، و"هما" قراءتان متواتران.⁽⁴⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/129.

(2) ينظر: الهدادي شرح طيبة النشر، محمد محمد محبس 2/284، وشرح طيبة النشر ص: 246.

(3) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد الصفافسي ص: 279، وشرح طيبة النشر ص: 246.

(4) نزول القرآن على سبعة أحرف،قطان ص: 62.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

تبين الآيات الصورة المضيئة، التي انبثقت من بين ظلام البداوة، وطلعت من مهاب سموها وهجيرها أولئك هم السابقون الأولون، هم الإنسانية الكريمة، ويتمثل فيهم كل ما يمكن أن تعطيه الإنسانية من ثمر طيب مبارك، فهم من الإنسانية بمنزلة هذه القلة من أعراب البداية، الذين خلصوا من كدر البداية، وسلموا من أدرانها، هؤلاء الذين سبقو إلى الإسلام، فكانوا الكوكبة الأولى التي تقدمت ركب الميمون، وكانوا الكواكب الدرية الذين حملوا أعباء الدعوة الإسلامية، واحتلوا في صبر ورضا مواجهة العاصفة التي هبّت عليهم، تحمل في كيانها جهالة الجاهلية، وسفاهاتها، وعنتها وضلالها، فكان لهم عند الله يعجلون هذا المكان الكريم، وتلك المنزلة التي أفردهم فيها.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ أي الذين اتبعوهم على دينهم بإحسانهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة⁽²⁾، ويريد بهم سائر الصحابة، ويدخل في هذا اللفظ أيضاً التابعون وسائر الأمة، لكن بشريطة الإحسان⁽³⁾، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بأعمالهم ولما أطاعوه وأجابوا نبيه محمداً ﷺ إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي رضوا عن الله يعجل بثوابه إياهم في الجنة وبما جازاهم به وأعطاهم إياه، وبما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم له، وإيمانهم به وبنبيه ﷺ⁽⁴⁾، "وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا نَالُوا مِنْ نِعْمَةِ الدِّينِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ"⁽⁵⁾.

الله يعجل لا ينسى عباده فكما يجازي المسيء ويعاقبه على أفعاله، فإن للمحسن ومن له السبق في الإسلام جزاء أيضاً قال تعالى: ﴿خَذِلِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلَكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ و"الخلود هو اللب والموت فيها ﴿أَبَدًا﴾ لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها⁽⁶⁾، ﴿ذَلَكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي الثواب الوافر.⁽⁷⁾

إن في هذه الآية دليل على أن الله يعجل أوجب للسابقين الجنة والرضوان في كتابه يعجل، ولجميع أصحاب النبي ﷺ، وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه عليهم، وهو أن يتبعوهم بإحسان، حيث إنهم يقتدون بأعمالهم الحسنة ولا يقتدون بهم في غير ذلك.⁽⁸⁾

(1) ينظر: التفسير القرآني للقرآن / 6 / 881.

(2) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد 2/ 521، وزاد المسير 2/ 292، وبحر العلوم 2/ 84.

(3) الجوادر الحسان 3 / 208.

(4) ينظر: جامع البيان 14 / 439، وبحر العلوم 2/ 84، والفسطاط 2/ 521، وتفسير العز بن عبد السلام 2/ 45.

(5) أنوار التزيل 3 / 95.

(6) جامع البيان 14 / 439.

(7) ينظر: بحر العلوم 2 / 84.

(8) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد 2/ 520، ومفاتيح الغيب 16 / 129.

بعدما بين الله ﷺ ما للأعراب المؤمنين المتصدقين، وما أعده لهم من النعيم، بين حال هؤلاء السابقين وما أعد لهم، وشتان ما بين الإعدادين والثناين، فالرغم من إيمان الأعراب ومكانتهم والأجر والثواب لهم، لكن ميز السابقين الأولين عنهم بعلو المنزلة لهم.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿فضل السابقين الأولين﴾:

هؤلاء هم الطبقة القوية الفولاذية الحديدية، هم المرتكز الأول، والشعلة التي تضيء وتنير لغيرهم، هم الذين اقتبسوا من نور رسول الله ﷺ، فأصبحوا مصابيح تنير لنا الوجود وساروا على الطريق التي مهدها لهم رسول الله محمد ﷺ، فهم الذين يضعون اللبنات الأولى والأسس لهذا المجتمع، فهم أول من ضحوا بأموالهم وأجسادهم فلهم الحوز والسبق بالمكانة الأولى والتميز عن غيرهم، فها نحن نرى في واقعنا الحالي كيف لمن سبق وضحى بنفسه وماله وأهله من أجل بلادنا الحبيب ما زالت مكانتهم محفورة في قلوبنا وعقولنا، فهم (السابقون الأولون) هم الذين يُحتذى على أثرهم، وهم من نحتسبهم شهداء عند الله ﷺ، وهم بذلك نالوا أسمى مكانة وأعلى درجة في الدنيا والآخرة.

﴿السبق والأولوية في كل ما هو خير﴾:

السبق لا يكون فيما ذكر سابقاً فحسب، بل يكون أيضاً في حفظ كتاب الله ﷺ وسنة نبينا وحبيبنا المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالسَّبِيقُونَ أَسْبَقُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمُفَرَّقُونَ﴾ [الواقعة: 10-11]،وها نحن في أرضنا المقدسة كنا وما زلنا قدوة لغيرنا - رغم حصارنا - بالتحرر من كيد وظلم الحكام، صحيح أن الأفضلية ليس لمن سبق، ولكنها لمن صدق فالذي يسبق ويكون ملخصاً يربح بذلك أجر السبق وأجر الاتباع واقتداء من بعده، ومناً العلماء العاملين والأولياء الصالحين والنجاء والأباء، فمن أراد الله ﷺ به خيراً فقهه في الدين وفي أمور الدنيا والآخرة.

من أراد أن يلحق بهذه النخبة ويضاف إليهم، فسبيله إلى ذلك أن يقفوا أثراً لهم، ويتابع سبيلهم، ويحسن في قوله وعمله كما أحسنوا، ويبلي بلاءً حسناً كما فعلوا، فذلك هو الثمن لمن يطلب رضا الله ﷺ، ويطمع في أن يكون مع أحبابه وأصفيائه، فيكون بهذا ممن تبعهم بإحسان.

(1) ينظر: البحر المحيط / 5 .494

المطلب الثاني

جزاء المنافقين في المدينة ومن حولها

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْتَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُنَّ هُنْ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْدِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبية: 101].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن شرح الله تعالى وبين أحوال منافقي المدينة، ذكر بعده أحوال منافقي الأعراب، ثم بين أن في الأعراب من هو مؤمن صالح مخلص، بعد ذلك بين أن رؤساء المؤمنين منهم السابقون المهاجرون والأنصار، وبعضهم مؤمنون صادقون يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر، ويتخذون ما ينفقون قربات وزلفى إلى الله تعالى، والرسول ﷺ دعا لهم بخير وبركة، فذكر في هذه الآية أن جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق، وإن كنتم لا تعلمون كونهم كذلك.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن المقصودين بالآية هم: مُرِيَّنة، وجُهِيَّنة، وأَسْلَم، وغِفار، وأشجع، وغيرهم من القبائل، كان فيهم منافقون، وكانت منازلهم حول المدينة.⁽²⁾

يقول أبو الطيب: "إن في هذه الآية إشكالاً لأن النبي ﷺ دعا لهؤلاء القبائل، فإن صح هذا النقل فتحمل الآية على القليل منهم، لأن لفظة (من) للتبعيض، ويحمل الدعاء لهم على الأكثر والأغلب، وبهذا يمكن الجمع بينهما".⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْتَّفَاقِ ﴾ قال ابن عباس "منهم عبد الله بن أبيه، وَجَّدَ بن قيس، والجلاس بن سويد، ومعن بن قشير، ووحْوح، وأبو عامر الراهن"⁽⁴⁾، قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ وهم من الأوس والخرج قوم منافقون.⁽⁵⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/130، والتفسير الواضح 2/9.

(2) ينظر: الكشاف 2/305، وزاد المسير 2/292، والمحرر الوجيز 3/75، والكشف والبيان 5/87.

(3) فتح البيان 5/384.

(4) ينظر: زاد المسير 2/292، والتفسير المنير 11/19.

(5) تفسير البغوي 2/382، وتفسير السمعاني 2/343.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

مَرَدُوا: تأتي بعده معانٍ هي:

أ. **مُرِنُوا** عليه، يقال: تمرد فلان على ربه، أي: عتا على معصيته إذا من وثبت عليها واعتدادها.

ب. **لَجَوا** فيه وأبوا غيره.

ج. **أَقَامُوا** عليه واعتدادوا عليه ولم يتوبوا.⁽¹⁾

د. "مرقوا وحذقوه وعثوا فيه حتى بلغوا الغاية القصوى فيه".⁽²⁾

من خلال ما سبق يتضح لنا أن جميع المعاني تدل على أن هؤلاء المنافقين اتصفوا بذلك عن سبق اصرار منهم وعند وجود.

سَنَعْلَمُهُمْ مَرَّتَيْنِ: لها عدة معانٍ:

أ. أن الله ﷺ فضحهم باطلاع النبي ﷺ، على ما يأتي بيته في المنافقين، وإقامة الحدود عليهم، وأن العذاب الثاني: عذاب القبر.⁽³⁾

ب. **القتل والسببي**، والثاني: **القتل والأسر**.⁽⁴⁾

ج. "أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار".⁽⁵⁾

د. الأمراض في الدنيا فإن من مرض من المؤمنين كفر الله عنه سيناته وغفر ذنبه، ومن مرض من المنافقين زاده الله بِهِمْ نفاقاً وإثماً وضعفاً.

ه. بلايا الدنيا وعذاب الآخرة ثم يردون إلى عذاب عظيم عذاب جهنم.⁽⁶⁾

الراجح: تعدد الآراء في كتب التفسير بالمقصود بقوله تعالى: **سَنَعْلَمُهُمْ مَرَّتَيْنِ** إلى أكثر من خمسة عشر قولًا، وما تم ذكره على سبيل الذكر لا للحصر، ولكن ما تراه الباحثة

(1) ينظر: جامع البيان 14/440، فتح البيان 5/385، وتفسير القرطبي 8/240، وتفسير البغوي 2/382، والمحرر الوجيز 3/75، والتفسير الوسيط 2/521.

(2) تأويلاً لأهل السنة 5/462.

(3) ينظر: تفسير القرطبي 8/241، والمعجم الأوسط 1/241، وزاد المسير 2/292، وتفسير البغوي 2/382.

(4) ينظر: النكت والعيون 2/397، وتفسير البغوي 2/382، وزاد المسير 2/293.

(5) فتح البيان 5/386، والنكت والعيون 2/397.

(6) ينظر: الكشف والبيان 5/88.

وترجحه هو ما ذكره أبو زهرة أن العذاب مرتين هو: "الفضيحة، ورد كيدهم في نحورهم، وفساد تدبيرهم، وغيظهم من أن المسلمين بقيادة النبي ﷺ يخرجون من كل تدبير دبروه سالمين، وأميل إلى الذين فسروا قوله تعالى: ﴿سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْن﴾ إلى أن مرتين كنایة عن كثرة العدد، وترادف المرة بعد المرة، مثل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنْجِعِ الْبَصَرُ كَيْنَيْنِ يَنْقُلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 4]، وقد عذبوا مرات، كل مرة تتلوها أختها، عذبوا بعد أحد، وبعد الخندق، ومن قبل وبعد بدر، وفي كل غزوة كانوا يتمنون فيها الخسارة للمؤمنين، ولقد قال تعالى فيهم: ﴿أُولَئِنَّ رَبَّنَّ أَنَّهُمْ يُفْسَدُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَدْكُرُونَ﴾ [التوبه: 126]⁽¹⁾، ويقول القرطبي: "إن الغرض من الآية اتباع العذاب، أو تضييف العذاب عليهم".⁽²⁾

ثم يرددونك إلى عذاب عظيم: فيها ثلاثة أوجه:

أ. "عذاب النار في الآخرة.

ب. إقامة الحدود في الدنيا".⁽³⁾

ج. "أنهم يردون بعد عذابهم في النار كسائر الكفار إلى الدرك الأسفل منها أو أنهم يعذبون في النار عذاباً خاصاً بهم دون سائر الكفار ثم يردون بعد ذلك إلى العذاب الشامل لهم ولسائر الكفار".⁽⁴⁾

الراجح: ما ترجحه الباحثة هو الرأي الثالث، لأنه الأشمل والأقرب للمعنى.

2. الإعراب:

﴿مُنَيَّقُونَ﴾: مبتدأ، وما قبله الخبر.

﴿مَرَدُوا﴾: فيها قولان، هما:

أ. أنها نعتاً للمنافقين.

ب. صفة لمبتدأ محذوف، تقديره: (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ مَرَدُوا).⁽⁵⁾

قوله تعالى: "﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾": خبر مبتدأ محذوف تقديره: (مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ كَذَّالِكَ).

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: صفة أخرى، مثل مَرَدُوا.

(1) زهرة التفاسير 7 / 3430-3432.

(2) نقسير القرطبي 8 / 241.

(3) النكت والعيون 2 / 398.

(4) فتح البيان 5 / 386.

(5) ينظر: إعراب القرآن 2 / 132، والتبيان 2 / 657، ونقسير القرطبي 8 / 240.

﴿نَعْلَمُهُمْ﴾: بمعنى نعرفهم، فهي تتعدي إلى مفعول واحد.⁽¹⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. ذكر السين في قوله تعالى: **﴿سَتَعْلَمُهُمْ﴾** لتأكيد وقوع العذاب المتكرر بهم، وهو عذاب نفسي وعذاب بدني كما وقع لقريطة، وعذاب مالي كما وقع لبني النضير وكل ذلك مع العذاب النفسي المستمر لغيرهم في كل الغزوات حتى غزوة تبوك.

ب. قال تعالى: **﴿مِمَّ يُرَدُونَ﴾** ثم ينقلبون إلى عذاب عظيم في نار جهنم، و(ثم) هنا في معناها من حيث الفروقات بين عذاب الدنيا وهو مكرر، وعذاب الآخرة الدائم الذي لا ينتهي، ويردون فيها معنى الدفع لهم عن الذي كانوا يحسبونه إلى عذاب عظيم، والتکير هنا لتكثیره وشدة آلامه، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسَقَلِ مِنَ الْأَنَارِ وَأَنَّ يَحْدَهُمْ نَصِيرًا﴾** [النساء: 145].⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

هذا هو الصنف الثاني من شملتهم الآيات الكريمة، وهم الذين شغلوا الكثير من الآيات الكريمة، وشغلوا أفكار المسلمين بتخلفهم المرة بعد الأخرى، واعتذارهم الكاذب في كل مرة ويحلفون بالله عَزَّلَهُ كاذبين مرتين الأثام بعد الأثام، ويكرر الله عَزَّلَهُ ذكرهم لأنهم آفة الجماعات، ودواؤها المудى، ولا تنهض جماعة إلا بإبعادهم عن بيئتها الفكرية⁽³⁾، ويتضح هنا صفة جديدة من صفات الأعراب المنافقين حيث قوله تعالى: **﴿وَمِنَ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَفِّقُونَ﴾** هم الذين كانوا يسكنون حول المدينة، ومنهم من كان يعيش في المدينة قوله تعالى: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾** ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، وهو عبد الله بن أبي وأصحابه، هؤلاء مرنوا على النفاق وأصبحوا متأصلين فيه، قد بلغوا غاية إتقانه، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿لَا تَعْلَمُهُمْ هُنَّ نَعْلَمُهُمْ﴾** يخبر الله عَزَّلَهُ نبيه محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عنهم أنك لا تعرفهم أنت مع بعد نظرك، ودقة فراستك، التي تنظر فيها بنور الله عَزَّلَهُ وذلك لأنهم أجادوا النفاق، وتجنبوا الشبهات، وانظر إلى نفي العلم عن ذواتهم لا عن نفاقهم، والله عَزَّلَهُ يعلمهم لأنه يعلم السر وأخفى⁽⁴⁾، ولو شاء الله عَزَّلَهُ لأطلعك عليهم كما أطلعك على غيرهم قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ أَنَّ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَنَهُمْ ۝ وَلَوْنَشَاءُ لَأَرْسَكَهُمْ ۝﴾**

(1) التبيان 2/657

(2) ينظر: زهرة التفاسير 7/3432

(3) زهرة التفاسير 7/3430

(4) ينظر: جامع البيان 14/440، والكشف 5/87، وبحر العلوم 2/84، والتفسير الواضح 2/10.

فَلَعْرَفَتْهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَعْرَفَتْهُمْ فِي لَهْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٢٩﴾ [محمد: 29-30]، إن هؤلاء الذين يتصرفون في النفاق، قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ "لا ينافي هذا قوله تعالى: (ولتعرفهم في لحن القول) لأن آية النفي نزلت قبل آية الإثبات، وهذه الجملة صفة المنافقين أو مستائفه"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿سَنَعْلَمُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ أي مرة في الدنيا بفضحتهم وهنك سترهم، وأن أعمالهم كسراب بقيعة لا تنفعهم بشيء، ومرة في الآخرة بالعذاب الشديد والجزاء المناسب لجرم عملهم وسوء صنيعهم.⁽²⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿كَشْفُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِصُورَةِ الْمُنَافِقِينَ﴾:

شاكل المخلص والمنافق في الصورة فلم يتميز بالمباني، وإن تنافيًا في الحقائق والمعاني وتقاصر علمهم عن العرفان، فهناك الله ﷺ لنبيه ﷺ أستارهم فعرفهم، وهم بإشرافه عليهم ومعرفته لهم جاهلون، وعلى الإقامة في أوطان نافقهم مصروفون، فلم ينفعهم طول إمهاله لهم.⁽³⁾

﴿بِيَانِ حَقِيقَةِ الْمُنَافِقِينَ﴾:

حضرنا الله ﷺ ورسوله محمد ﷺ من المنافقين والذين يتواجدون في التحولات السياسية المدفوعة الثمن والتي تفرق بين الأمة، ويكثر المنافقون مع التغييرات التاريخية، فنرى اليوم من نصّبوا أنفسهم دعاةً للإسلام وأمراءً إليه يتقولون بما لا يعرفون وينطقون بما لا يعتقدون ويفتون بما لا يوافق الشرع ولا الشريعة أكل هذا لأجل دراهم معدودة ؟؟ فما والله هؤلاء إلا المنافقون الحق الذين أخبرنا عنهم رسول الله ﷺ.

(1) فتح البيان / 5 / 385.

(2) ينظر: التفسير الواضح / 2 / 10.

(3) ينظر: لطائف الإشارات / 2 / 58.

المطلب الثالث

نَدَمَ بَعْضُهُمْ مِنْ تَخْلُفِهِمْ عَنِ الْفَزْوَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَخْرَجَهُمْ حَلْطُوا عَمَّا وَعَاهَرُوا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[التوبية: 102].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷺ الصنف الأول وهم فضائل قوم من الأعراب ينفقون تقرباً إلى الله ﷺ ومن أجل دعاء الرسول ﷺ لهم، أبان فضائل قوم أعلى منهم منزلة وأعظم، وهي منازل السابقين الأولين وهؤلاء ما تخلفوا عن غزوة غزاهما النبي ﷺ، ثم أتبعهم ببيان الصنف الثاني وهو حال طائفة من منافقي المدينة وما حولها، وإن كانوا غير معلومين بأعيانهم الذين تخلفوا عن غزوات الرسول ﷺ رغبةً عنها وتذكرياً وتشكيكاً، وكانوا يتمنون الهزيمة للمؤمنين، والصنف الثالث هم طائفة أخرى خلطوا صالح العمل بسيئه وهؤلاء يرجى قبول توبتهم، وهؤلاء تخلفوا من غير مقدرة، وتأخروا عن الجهاد كسلاً وميلأ إلى الراحة، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق ولم يدنسوا ألسنتهم بكذبهم، وأحسوا بكبر ما فعلوا فاعترفوا بذنبهم وأحسوا بوخز الإثم يحيك في صدورهم، وكبر أمرهم في أنفسهم عندما نزلت الآيات للمتخلفين.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الكريمة روايات متعددة، هي:

أ. إن هذه الآية نزلت في أبي لبابة وأصحابه، وكانوا قد تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما قفل رسول الله ﷺ من غزوه، وكان قريباً من المدينة ندموا على تخلفهم عن رسول الله ﷺ وقالوا: نكون في الظلل والأطعمة والنساء ونبي الله في الجهاد، والله لنوتقن أنفسنا بالسواري، ثم لا نطلقها حتى يكون النبي الله هو الذي يطلقنا، وأوثقوا أنفسهم، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم بالسواري فقدم الرسول ﷺ من غزوه فمر بالمسجد فأبصرهم فسأل عنهم، فقيل له: إنه أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا النبي الله، فصنعوا بأنفسهم ما ترى، وعاهدوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فقال ﷺ: لا أطلقهم حتى أؤمر بإطلاقهم، ولا أذرهم حتى يعذرهم الله، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين، فأنزل الله ﷺ الآية، فأطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم ، قاله ابن عباس.⁽²⁾

(1) ينظر: تفسير ابن كثير 4/206، والتفسيير المنير 11/20، وزهرة التفاسير 7/3432.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 8/242، والكشف 2/306-307، والنكت والعيون 2/398، وتوفيق الرحمن، النجدي 2/366، والكشف والبيان 5/88، تأويلات أهل السنة 5/463، وبحر العلوم 2/85.

الذين قالوا بهذا الرأي تعددت الروايات في عدد الذين نزلت فيهم الآية الكريمة منهم من قال عشرة ومنهم من قال سبعة وبعضهم قال ثلاثة.

ب. "أنه أبو لبابة وحده قال لبني قريظة حين أرادوا النزول على حكم النبي ﷺ إنه ذاكم إن نزلتم على حكمه، قاله مجاهد".⁽¹⁾

الراجح: ترجح الباحثة ماذكره أبو الطيب في تفسيره، وهو أن هذه الآية الكريمة عامة لجميع المسلمين بغض النظر عن الذي نزلت فيهم، والحمل على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصاً بمن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

قوله تعالى: ﴿وَإِخْرُونَ﴾ اختلف المفسرون في المقصود بهم، كالآتي:

أ. طائفة من المنافقين تابوا عن النفاق.

ب. طائفة من المسلمين ضعيفي الهم في أمر الدين، والذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا للكفر والنفاق، لكن للكلسل، ثم ندموا على ما فعلوا ثم تابوا".⁽³⁾

الراجح: احتج القائلون بالقول الأول بأن قوله: ﴿وَإِخْرُونَ﴾ عطف على قوله ﴿وَمَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾، والعطف يوهم التshireek إلا أن الله ﷺ وفهم حتى تابوا، فلما ذكر الفريق الأول بالمرود على النفاق والبالغة فيه وصف هذه الفرقة بالتوبية والإلقاء عن النفاق، وفي قوله إيجاز لأنه يدل على أنهم أذنباً واعترفوا بذنبهم ولم يكونوا منافقين لأن التعبير بالذنب بصيغة الجمع يقتضي أنها أعمال سيئة في حالة الإيمان، وكذلك التعبير عن ارتكاب الذنب بخلط العمل الصالح بالسيئ.⁽⁴⁾

أعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ: قال أهل اللغة: الاعتراف عبارة عن الإقرار بالشيء عن معرفة، ومعناه أنهم أفروا بذنبهم، كأنه قيل لم يعتذروا عن تخلفهم بالأعذار الباطلة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئسماً فعلوا وأظهروا الندامة وذموا أنفسهم على ذلك التخلف.⁽⁵⁾

(1) النكت والعيون 2 / 398.

(2) ينظر: فتح البيان 5 / 388.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب 16 / 132، وروح المعاني، الألوسي 6 / 12.

(4) ينظر: التحرير والتوير 11 / 21، ومفاتيح الغيب 16 / 132، والكشف والبيان 5 / 88.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب 16 / 132، وغرائب القرآن 3 / 525.

خَلَطُوا: "خلط الشيء بالشيء أي ضمه إليه ومزجهما يستعمل في الحسبيات والمعنويات، واحتلاط الشيء بالشيء، امترج أو مازجه"⁽¹⁾، و"الخلط الشريك يقال للواحد والجمع كما يجمع على خلطاء"⁽²⁾، ويقال: "خالطه الداء: خامره".⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَلِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ فيه ثلاثة أوجه، هي:

أ. أن الصالح: الجهاد، والسيء: التأخر عن الجهاد الذي بعده فيه المشقة ولأنه تخاذل في وقت الشدة ولأنه ايثار للراحة على الجهاد.

ب. أن السيئ: الذنب والصالح: التوبة، قاله بعض التابعين.⁽⁴⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ أَعْتَرُوا بِذُنُوبِهِم﴾ عطف حيث إنها عطفة على المنافقين أي: ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة قوم آخرون.

يجوز أن يكون ﴿وَآخَرُونَ﴾ مبتدأ وجملة اعترفوا بذنبهم صفتة، وجملة: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَلِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ خبره، والمعنى: أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن العزوة لغير عذر مسوغ للتخلف، ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب، ورجوا أن يتوب الله عز وجل عليهم.⁽⁵⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَلِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ إن القول بـ(الواو) لا يؤديه القول: خلط العمل الصالح بالسيء، كما تقول: خلط الماء باللبن؛ لأن هذا الضرب من الخلط يصير فيه المخلوط والمخلوط به شيئاً واحداً أو كالشيء الواحد فلا يقول صاحبه: عندي ماء فرات، ولا لبن محض.

أما المقصود والمراد من الآية هو أنه بقي فيه كل واحد من النوعين ممتازاً بنفسه، منفرداً عن الآخر، وخلطه مع الآخر عبارة عن الجمع بينهما، والواو العاطفة هي التي تؤدي هذا المعنى من الجمع، وهذا من دوائر بلاغة القرآن، ويقول أهل السنة فيه دليل على نفي القول بالمخالطة لأنه لو لم يبق المثلان لم يتصور احتلاطهما.⁽⁶⁾

(1) القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب ص: 119.

(2) معجم وتقسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل 2/ 55.

(3) القاموس الفقهي ص: 119.

(4) ينظر: التفسير المنير 11/ 19، وفتح البيان 5/ 387، والموسوعة القرآنية 10/ 38، وزاد المسير 2/ 293.

(5) ينظر: فتح القدير 2/ 454، وإعراب القرآن وبيانه 4/ 167.

(6) ينظر: غرائب القرآن 3/ 525، وتقسير المنار 11/ 17.

يجوز أن تكون (الواو) بمعنى (الباء) لأن الواو للجمع والباء للإلصاق في تناسيبان مثل على ذلك قوله: بعث شاة ودرهما أي شاة بدرهم، وذلك أن الواو للجمع والباء للإلصاق فهما متقاربان.⁽¹⁾ بـ. قوله تعالى: ﴿عَمَلًا صَلِحًا وَأَخْرَى سَيِّئًا﴾ بين الصالح والسيء طباق يوضح المعنى بالتضاد.⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

في هذه الآية بين الله تعالى حال طائفة جديدة من الذين كانوا في المدينة أو حولها، أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين فالاعتراف بالذنب كناء عن التوبة منه، ولا يعتبر توبة إلا إذا كان الإقرار بالذنب والندم على الماضي ويكون عند الندم والعزم على عدم العود إليه وتركه في المستقبل، ولا يتصور فيه الإفلاع الذي هو من أركان التوبة لأنه ذنب مضى، ولكن يشترط فيه العزم على أن لا يعود، وقد وقع منهم ما يفيد التوبة، أو أن مقدمة التوبة وهي الاعتراف قامت مقام التوبة.⁽³⁾

لا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهواء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم.⁽⁴⁾

بعدما ذكر في الآية الكريمة ما كان منهم من اعتذار على ما فعلوا للرسول ﷺ بعد تخلفهم عن غزوة تبوك ذكر موقف الله تعالى قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وعسى تأتي للترجي، أي عسى الله تعالى أن يقبل توبتهم، ويغسل حوبتهم، ويتجاوز عن خطاياهم، وعبر ﷺ بعسى للإشعار بأن ما يفعله تعالى ليس إلا على سبيل التفضل منه، حتى لا يتكل الشخص، بل يكون على خوف وحذر، وتردد لهم بين الطمع والإشفاق، وذلك يصد عن اللهو والإهمال، وقد قالوا إن كلمة عسى متى صدرت عن الله تعالى فهي متحققة الواقع، لأنها صادرة من كريم، والله تعالى أكرم من أن يطعم أحد في شيء ولا يعطيه إياه.⁽⁵⁾

يقول الطاهر ابن عاشور - رحمة الله -: "جملة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَنْهُو رَّحِيمٌ﴾ تذليل مناسب للمقام"⁽⁶⁾، "وتعليل لرجاء قبول توبتهم، إذ معناه، إن الله تعالى كثير المغفرة للثائبين، واسع

(1) ينظر: فتح القيدر 2/ 454، وغرائب القرآن 3/ 525، ومدارك التنزيل 1/ 706.

(2) ينظر: التفسير المنير 11/ 18، وصفوة التفاسير 1/ 562.

(3) ينظر: فتح القيدر 2/ 454، ومفاتيح الغيب 16/ 132، ومدارك التنزيل 1/ 706، والتحرير والتواتر 11/ 21.

(4) تيسير الكريم الرحمن ص: 350.

(5) ينظر: فتح القيدر 2/ 454، والتفسير الوسيط للفرقان الكريم 6/ 395، وزاد المسير 2/ 293.

(6) التحرير والتواتر 11/ 22.

الرحمة للمسنيين⁽¹⁾، "ويغفر الذنوب ويقتضى على عباده، وهذا يفيد إنجاز الوعد"⁽²⁾، ولم يذكر توبتهم لأنّه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ بِيَانِ رَحْمَةِ اللَّهِ بَعْدَهُمْ بِعِبَادَهُ ﴾

الذين تخلفوا واعتذروا عن المشاركة مع المسلمين يتوب الله تعالى عليهم إذا تابوا وهو الغفور الرحيم، وهذه تعتبر بشارة عظيمة لهؤلاء المخالفين.⁽³⁾

﴿ تَوْضِيْحٌ أَنَّ مَرْدَ الْمَقْصُرِيْنَ إِلَى اللَّهِ بَعْدَهُمْ ﴾

علم ما في القلوب إلى الله تعالى فلا يعلم أحد من الغيب إلا ما علّمه الله تعالى، ورجاء أهل التوحيد الذين خلطا عملاً صالحاً وأخر سيئاً أن يغفر الله تعالى لهم ويرحمهم.⁽⁴⁾

إنّ من العبرة في هذه الأقسام للMuslimين أنّ قسم الذين خلطا عملاً صالحاً وأخر سيئاً يوجد في كل زمان ومكان، وهذه الآية نزلت في بيان حال المذنبين الذين تأخرّوا عن jihad كسلّاً وميلّاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق، ولعلّ أسوأ سيئاتهم ترك jihad بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فيجب أن يسترشدوا بهذه الآية، فهذه الفتنة من الناس يقولون الحق، ولكنّهم يفعلون خلافه فهوّلوا أقرّوا بتقصيرهم واعترافهم بينهم وبين ربّهم، فهم تحت رحمة الله وعفوه وغفرانه، وهذه الآية لكل الخاطئين المتألّفين بذنوبهم بذنوبهم مع إقرارهم بالحق، والمقصود من هذه الذنوب هي الصغائر دون الكبائر التي تتعلق بحق الغير فكلّ حق للناس لا يغفره الله تعالى إلا بعد إرجاع الحقوق إلى أهلها حتى الشهيد على عظم درجاته إن كان هناك حقوق للعباد فيجب أن يقضيها عنه أهله، أما ما كان بين العبد وربّه من تقصير أو تخلف عن عمل صالح أو هفوة هنا أو هناك فكلّ هذا يزول بطلب المغفرة من الله تعالى، وكثرة الصلاة والصيام، وإخلاص النية لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبُادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْتَلُهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الظُّنُوبَ جِيْعَانًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]، ومع إسرافهم على أنفسهم والتقصير في جنّب الله تعالى، إلا أن المولى تعالى لم يتخلّ عنهم ونسبهم إليه، وقال عنهم يا عبادي فالله غفورٌ رحيم، وما علينا إلا الاستغفار وطلب الرحمة مع حسن النية.

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6/395، وتفسير المراغي 11/14.

(2) فتح البيان 5/388، ومدارك التنزيل 1/706.

(3) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت 9/528.

(4) ينظر: أيسر التفاسير 2/421.

المطلب الرابع

حكم أخذ الصدقة

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظَهِّرُهُمْ وَنَزِّكُهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكُنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبية: 103].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما كان من شروط التوبة تدارك ما يمكن تداركه مما فات وسبق فعله من آثام، وكان التخلف عن الغزو مشتملاً على أمرين هما عدم المشاركة في الجهاد مع الرسول ﷺ، وعدم إنفاق المال في الجهاد وفي سبيل الله ﷺ، جاء في هذه الآية الكريمة إرشاد لطريق تداركهم ما يمكن من ذلك وهو نفع المسلمين بالمال، فالإنفاق العظيم على غزوة تبوك استند المال المعد لنوائب المسلمين، فإذا أخذ من المخلفين عن الغزوة شيء من المال انجر به بعض النثم الذي حل بمال المسلمين. ⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

تعددت الروايات في سبب نزول الآية الكريمة، منها:

أ. أخرج ابن جرير الطبّري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا، فقالوا: يا رسول الله إن هذه أموالنا فتصدق بها عننا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله الآية الكريمة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾.

ب. أخرج عبد الرزاق عن قتادة أنها نزلت في سبعة: أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري، وهم أبو لبابة ومرداس وأوس بن خدام، وثعلبة بن وديعة.⁽²⁾

إن هذا النص وإن كان خاصاً بالرسول ﷺ وهذا سبب خاص، لكنه عام في الأخذ، يشمل خلفاء الرسول ﷺ ومن بعده ومن بعدهم من أئمة المسلمين وفي المأخذ منهم وهم المسلمون الموسرون، ولهذا السبب قاتل أبو بكر الصديق رض وسائر الصحابة مانعي الزكاة من أحياء العرب، حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، وقال: "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لا يأثّن لهم على منعه".⁽³⁾

(1) ينظر: التحرير والتنوير 11/22.

(2) أسباب النزول، السيوطي ص: 224.

(3) ينظر: التفسير المنير 11/27، وتفسير المراغي 11/16.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

صَدَقَةً: الصدقة مأخوذة من الصدق، إذ هي دليل على صدق مخرجها في إيمانه⁽¹⁾، وفيها قولان:

أ. أنها الصدقة التي بذلوها تطوعاً، وهو المال الذي يتقرب به إلى الله تعالى، وتمو بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين.⁽²⁾

ب. "الزكاة التي أوجبها الله تعالى في أموالهم فرضاً".⁽³⁾

طَهَرُهُمْ وَتَزَكَّهُمْ إِلَيْهَا: "أي تطهيرهم من ذنوبهم، وتركيزهم أنت إليها الرسول بدعائك لهم وثنائك عليهم".⁽⁴⁾

وَصَلَّى عَلَيْهِمْ: فيها قولان:

أ. "استغفر لهم".⁽⁵⁾

ب. "ادع لهم بالخير".⁽⁶⁾

سَكَنَ لَهُمْ: "والسكن: ما تسكن إليه النفس وترتاح وتطمئن به من أهل ومال ومتاع ودعاء وثناء"⁽⁷⁾ وفيه خمسة أقوال:

أ. "رحمة لهم".⁽⁸⁾

ب. طمأنينة لهم أن الله يعجل قد قيل منهم وفي ذلك تثبيت لقلوبهم.

ت. فُرْيَةٌ لهم.

ث. زيادة وقارٍ لهم.

(1) نيل المرام، أبو الطيب الفتوحي ص: 346.

(2) ينظر: زاد المسير / 295، وأيسر التفاسير / 421، والتفسير المنير / 11، والنكت والعيون / 398.

(3) زاد المسير / 295، والنكت والعيون / 398.

(4) أنوار التنزيل / 3 / 96، وأيسر التفاسير / 421.

(5) تفسير آيات الأحكام، السادس ص: 470، وزاد المسير / 295.

(6) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج / 2 / 467، وتبسيط الكريم الرحمن ص: 350.

(7) تفسير المراغي 15/11، ونيل المرام ص: 347، وتفسير آيات الأحكام، السادس ص: 470، والتفسير

المنير / 11 / 27، والتفسير الواضح / 2 / 11، وفي رحاب التفسير / 1601 / .

(8) توفيق الرحمن / 2 / 366، والكشف والبيان / 5 / 90، والنكت والعيون / 399.

ج. تركية لهم.⁽¹⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ يجوز أن تكون ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلقان بـخُذْ، وأن تكون حالاً من ﴿صَدَقَةً﴾.

﴿طَهَرُهُمْ﴾: في موضع نصب صفة لصدقة، ويجوز أن يكون مُسْتَأْنِفاً، وأن يكون ضمير تطهيرهم عائداً على ﴿صَدَقَةً﴾، أما إذا كانت التاء للخطاب؛ فتكون جملة تطهيرهم حال من فاعل ﴿خُذْ﴾.

﴿وَنُرْكِمْ﴾: التاء للخطاب لا غير لقوله: ﴿بِهَا﴾، ويجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿طَهَرُهُمْ وَنُرْكِمْ بِهَا﴾ في موضع نصب صفة لصدقة مع قولنا أن التاء فيها للخطاب؛ لأن قوله ﴿طَهَرُهُمْ﴾ تقديره بـهَا، ودلّ عليه ﴿بِهَا﴾ الثانية، وإذا كان فيهما ضمير الصدقة، جاز أن يكون صفة لها، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من ضمير الفاعل في ﴿خُذْ﴾.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ﴾ فيه تشبيه بليغ، حيث إنه شبه الصلاة ودعاة الرسول ﷺ لهم كالسكن، فحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه⁽³⁾، وإطلاق السكن على هذا الدعاء مجاز مرسل.⁽⁴⁾.

ب. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ قال المفسرون أن الرسول ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم وترك الثلثين لأن الله يعلم قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، ولم يقل: خُذ أموالهم، فذلك لم يأخذ كلها، و(من) هنا أنت للتبسيط.⁽⁵⁾

4. القراءات:

قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ اختلف القراء في ﴿صَلَوَاتَكَ﴾ على النحو الآتي:

أولاً: قرأ كل من: حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف ﴿صَلَوَاتَكَ﴾ بالتوحيد، ونصب التاء.

(1) ينظر: زاد المسير 2/295، والكشف والبيان 5/90، والنكت والعيون 2/399، والبحر المحيط 5/500.

(2) ينظر: التبيان 2/658، وإعراب القرآن 4/168، والبحر المحيط 5/499، والتفسير المنير 11/26.

(3) ينظر: التفسير المنير 11/26.

(4) التحرير والتنوير 11/23.

(5) ينظر: الكشف والبيان 5/89.

التجييه: من قرأوا بهذا الوجه أرادوا بها الجنس، وقيل: الصلاة معناها الدعاء، وهي مصدر، والمصدر يطلق على القليل والكثير بلفظه.

ثانياً: أما الباقيون قرأوا (صلواتك) بالجمع، وكسر التاء.

التجييه: الذين قرأوا بذلك على النصب بأن، ووجه ذلك أن الدعاء أنواعه مختلفة، فجمع ذلك.⁽¹⁾

5. الناسخ والمنسوخ:

قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ فيه جوابان:

أ. أنه منسوخ بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْبَى﴾ [التوبية: 84].

ب. أنه غير منسوخ وأن المعنى وادع لهم إذا جاعوك بالصدقات، وكذا كان النبي ﷺ يفعل.

الراجح: ترجح الباحثة ماذكر في كتاب إعراب القرآن، وهو أن العلماء على القول الثاني، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوةَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي إذا دعوت لهم حين يأتونك بصدقاتهم سكّن ذلك قلوبهم وفرحوا وBADRوا رغبة في دعاء النبي ﷺ، وحكي أهل اللغة جميعاً فيما علمناه أن الصلاة في كلام العرب الدعاء، ومنه الصلاة على الجنائز.⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

القد كانت الحساسية التي بعثت الندم والتوبية في قلوب المخالفين بعد الغزو، جديرة بالطمأنينة، حقيقة بالعطف الذي يسكن فيها الأمل، ويفتح لها أبواب الرجاء، وإن كان رسول الله ﷺ وهو يقود حركة، ويرسي أمة، وينشئ نظاماً، قد رأى الأخذ بالحزم في أمرهم حتى يأتيه أمر من ربه عز وجل في شأنهم، فكان جواب الرسول ﷺ أنه لا يأخذ من أموالهم شيئاً حتى يؤمر بذلك⁽³⁾، فوجه الله تعالى الخطاب للرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي خذ يا محمد من أموال هؤلاء المخالفين، وهذه الأموال تؤخذ تطهيراً لهم مما لحق بهم من آثام التخلف، ومن دنس البخل، وشح النفس ولؤم الطبع وقسوة القلب، وهو إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات ومقام التحلية بالفضائل والحسنات، وهذه تركيبة تتمى بها حسناتهم إلى مراتب المخلصين، وتنمو نفوسهم على حب الخير،

(1) ينظر: الهداي شرح طيبة النشر 2/285، وغيث النفع في القراءات السبع ص: 279، وشرح طيبة النشر، التويري ص: 246.

(2) إعراب القرآن، النحاس 2/133.

(3) في ظلال القرآن 3/1707 - 1708.

وتزرع في قلوبهم شجرة العطف على الفقير والضعيف المحتاج، بهذا تتمو النفس وترتفع إلى الدرجات العلا.⁽¹⁾

فِي الْآيَةِ حَتَّى لِلْمُؤْمِنِينَ عَامَةً، وَلِلْمُذْنِبِينَ خَاصَّةً عَلَى الْبَذْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّلَهُ،
فَإِنْ إِنْفَاقَ الْمَالِ فِي سَبِيلِهِ هُوَ عَدْلُ الْجَهَادِ بِالنَّفْسِ، وَتَطْهِيرٌ لِلْمُتَصْدِقِ، وَتَرْكِيَّةٌ لِهِ مِنَ الْآثَامِ الَّتِي
تَعْلُقُ بِهِ.⁽²⁾

وجه الله تعالى بخطاب آخر في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ واستغفر لهم أيها الرسول، واطلب الرحمة لهم فإن صلاتك ودعائك إقرار لنفوسهم المضطربة وطمأنينة لقلوبهم الحائرة، وإيدان بأن الله سيقبل توبتهم.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ أي والله تعالى عظيم السمع، محيط العلم فسمع اعتراف هؤلاء بذنبهم، وهو أيضاً سميع لدعائكم إذا دعوت لهم، ولغير ذلك من كلام خلقه، وعلم صدقهم في توبتهم، وعليم بما في ضمائركم من الندم والغم لما فرطتم منهم، فتاب عليهم وغاف عنهم.⁽⁴⁾

ذكر ابن عاشور: "أن ذكر العليم إيماء إلى أنه ما أمره بالدعاء لهم إلا لأن في دعائه لهم خيراً عظيماً وصلاحاً في الأمور"⁽⁵⁾، ويدل ذلك على عظم مكانة الرسول ﷺ عند الله تعالى.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

◀ الصلوات تمحو السيئات:

بَيَّنَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَوَائِدَ صَدَقَةِ الْأَمْوَالِ وَمَنَافِعُهَا، وَالْحَثُّ عَلَيْهَا وَعَلَى التَّوْبَةِ لِمَنْ قَصَرَ فِي
الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا لَهُ وَنَفْسِهِ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، وَفِي الْحَثِّ عَلَى
الْعَمَلِ، وَكُونِهِ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ، وَالصَّدَقَةُ تَكْفِرُ الذُّنُوبَ وَتُطَهِّرُ الْأَرْوَاحَ مِنْ رُذْلِقِ الشَّحِّ
وَالْبَخْلِ، وَتُرْكِيُّ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْذَّمِيمَةِ، وَتُتَمَّيِّزُ الْأَمْوَالُ وَالْحَسَنَاتُ، وَيُنْبَغِي لِلثَّائِبِ مِنَ
الذُّنُوبِ الْكَبِيرَ أَنْ يَكُثُرَ بَعْدَهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ كَالصَّدَقَاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَنَحْوُهَا، وَيُسْتَحْبِطَ لِمَنْ يَأْخُذُ

(1) ينظر: جامع البيان /14، 454، وفي رحاب التفسير/6 1601، والتفسير الوسيط، مجمع البحث /4 12، والتفسير الواضح /2 12. التحرير والتوكير 11/23.

(2) التفسير القرآني للقرآن 6/887.

(3) ينظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث 12/4.

⁽⁴⁾ ينظر: جامع البيان 14/454، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث 12/4، وفتح البيان 5/390.

5) التحرير والتتوير / 11 .23

صدقه أمرئ مسلم أن يدعوا لهذا الشخص، مثل: آجرك الله على ما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت.⁽¹⁾

﴿بركة دعاء النبي ﷺ للمتصدق﴾:

إن في صلاة النبي ﷺ على المتصدق، ودعائه له، مجازة عاجلة بالإحسان، يجد المتصدق أثرها في نفسه، ويردها على قلبه، فيشيع في كيانه الرضا، وتملاً قلبه السكينة، وبالتالي ينطبق على واقعنا، وهذا أدب ينبغي أن يتأنب المسلمين به، فيلقيون إحسان المحسن بالحمد والشكر، فإن ذلك أقل ما يجزى به، وبهذا تتفتح النفوس للخير، وتتسخى الأيدي بالإحسان.⁽²⁾

﴿فضيلة الخوف والرجاء﴾:

"الخوف يحمل الإنسان على ترك المعاصي والبعد عنها، أما الرجاء فيعمل على الإكثار من الصالحات، لذلك يجب على الإنسان أن يكون دائماً متعلقاً ما بين الخوف من الله عز وجل وبين الرجاء برحمته وكرمه على عباده".⁽³⁾

﴿الشكر على الإحسان﴾:

جدير بكلّ إنسان أن يحمد المحسن على فعله، سواء أصابه شيء من هذا الإحسان أم لم يصبه، فهو عمل طيب، وصنيع مبرور، وكما ينبغي على المؤمن أن ينكر المنكر لذاته، كذلك يجب عليه أن يحمد المعروف لذاته، وبهذا يشيع في الناس الخير، وتتكاثر أعداد المتعاملين به⁽⁴⁾، فيزداد المحسنون، وبالتالي يتكافل المجتمع ويتربّط مع بعضه البعض.

﴿أثر الصدقة على المجتمع﴾:

الصدقات تطهّر أنفس الأفراد من أرجاس البخل، والدّناءة والأثرة، والطمع والجشع، وتبعدهم عن أكل أموال الناس بالباطل من خيانة وسرقة وغصب وربا، فإن من يتبعون بذلك بعض ما في يده أو ما أودعه في خزانة في سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته ومغفرة ذنبه يكن أرفع نفساً من أن يأخذ مال غيره بغير حق، وإذا طهرت أنفس الأفراد وزكت بالعلم والقوى، وهما ثمرتا الإيمان طهرت جماعة المؤمنين من أرجاس الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والبغى والعدوان والفتنة والحراب، فإن الأموال قوام الحياة المعيشية للفرد والمجتمع، فهي مثار التنازع والتناحص، ومن ثم أوجب الدين على أصحاب الأموال من النفقات

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم/6397، وأيسر التفاسير 2/423، والتفسير القرآني للقرآن/6887.

(2) ينظر: التفسير القرآني للقرآن/6887.

(3) أيسر التفاسير 2/423.

(4) ينظر: التفسير القرآني للقرآن/6887.

والصدقات ما يجعل الثروات وسيلة للسلام لا إلى الخصم، وقد دعا الإسلام للعنابة بين الجوانب الروحية والجسدية للوصول إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة، فهو وسط بين اليهودية المفرطة في حب المال، والنصرانية الروحانية الزاهدة، فمن أهم مقاصده إصلاح المجتمع البشري وهدایة الناس إلى العدل في أمر المال ليبتعدوا عن شر طغيان الأغنياء على الفقراء، ونصوص الدين في هذا الباب هي الغاية التي لا يطمح مصلح في التطلع إلى ما بعدها، وهي هادمة للمزاعم الخاطئة على الإسلام من أرباب الجهل والمهوى.⁽¹⁾

إن الأمر الإلهي لسیدنا محمد ﷺ بأخذ الصدقة هو عائد علينا من نفع وتركيبة وطمأنينة وراحة نفس، وهذا فيه نفع لكيان الأمة الإسلامية عامة حيث إن الأخذ من مال الغني وإعطائه للفقير يُرّجح الموازين، ويقلل من الفروقات بين أغنياء المسلمين وفقرائهم، وهذا ما نلمسه في زمننا من فروقات كبيرة بين طبقات المجتمع الإسلامي من أغنياء وفقراء، ويرجع كل ذلك إلى التخلف عن إخراج الصدقات وهذا يؤدي إلى الكثير من الجرائم والمخالفات من قبل الفقراء لسد رمقهم ولكي يتغلبوا على صعوبة الحياة التي يعيشونها، وبالتأكيد هذا يجعلنا فريسة سهلة لنيل الأعداء مناً والتغلغل في وسطنا من هذه الثغرة، والتي يستهين بها الكثير من أصحاب رؤوس الأموال، ولو أنهم يتصدقون بالقليل لتكون خير معين على مثل هذه المشاكل التي تؤدي إلى انحلال المجتمع وتفكهه، وتكون عوناً لغيرهم للتغلب على مشاق هذه الحياة ومتاعها، ولا ريب أيضاً بأن إخراج الأغنياء من المسلمين للصدقة هو بمثابة تطهير لأموالهم وتزكيتها وتكثيرها، وذلك مصدق لقوله تعالى: ﴿يَمْكُحُ اللَّهُ الْبَرَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ﴾ [البقرة: 276]، فهذه الآية محفز وداع للMuslimين بالتصدق بأموالهم لأن القرآن حق لا جدال فيه.

إن صدقة المسلم تؤدي إلى طيب النفس وراحة القلب وينبع ذلك كله بأن المتصدق يؤدي حق الله يُعَجِّل في أمواله والتي شرعاً لأجل عباده، فلا يشغل باله وفكرة في عدتها وإحصائها وخوفاً عليها من نقصانها، ويقول الله يُعَجِّل في كتابه العزيز: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَةَ وَزِيَادَةً﴾ [يونس: 26] فالكل يرجو هذه الزيادة ويطمح إلى هذا الإحسان وبذلك ينال فيه مكسب في الحياة الدنيا، وفوز في الآخرة وهو الذي يسعى كل إنسان مسلم خالص الإيمان إليه.

(1) ينظر: تفسير المراغي 11/18.

المطلب الخامس

قبول التوبة والأمر بالعمل الصالح

قال تعالى: ﴿الَّتِي يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَنَّوَابُ الرَّاجِحِمِ ﴾١٠٤﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرِيَ اللَّهُ عَمِلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُّدُورُكُمْ إِلَى عَلِيِّ الْعَيْنِ وَالشَّهَادَةِ فَيُتَسْكُنُ إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾١٠٥﴾ [التوبه: 104 - 105].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

أخبر الله ﷺ أن قبول توبة الذين تخلفوا عن الغزوة، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها، ليس إلى النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو وترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله ﷺ عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل هذا لأن ذلك لم يكن إليه ﷺ، وإنما كان إلى الله ﷺ، وما يفعله الرسول ﷺ من ترك وإطلاق وأخذ صدقة وغيرها من أفعال بأمر الله ﷺ، وأن الله ﷺ هو الذي يقبل توبة من تاب، وأخذ صدقة من تصدق من عباده أو يردها. ⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

" جاء في الرواية أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الآية الكريمة". ⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ: أي من عباده، تقول: أخذته منه، وأخذته عنك". ⁽³⁾

وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ: يقبلها، ويثبتب عليها. ⁽⁴⁾

وَسَرُّدُورُكُمْ: "وسترجعون". ⁽⁵⁾

(1) ينظر: جامع البيان /14/ 458-459

(2) مدارك التنزيل /1/ 707

(3) زاد المسير /2/ 295

(4) ينظر: التفسير الوسيط /4/ 13، وزاد المسير /2/ 295

(5) التفسير الوسيط /4/ 13.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ﴾ (أن) جاءت هنا مفتوحة لأنها فاصلة، وقد تأتي مبتدأة.⁽¹⁾

والمصدر المؤول ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ﴾ في محل نصب سد مفعولي يعلموا، والمصدر المؤول الثاني ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ﴾ في محل نصب معطوف على المصدر المؤول الأول ومؤكّد لمعناه.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ الجملة في محل رفع معطوفة على جملة: (يقبل التوبية).
جملة: ﴿أَعْمَلُوا﴾ في محل نصب مقول القول.

قوله تعالى: ﴿فَسَيِّرِي اللَّهُ عَمَلَكُ﴾ لا محل لها من الإعراب، وهي تعليلية.⁽²⁾

قوله تعالى: ﴿فَسَيِّرِي اللَّهُ عَمَلَكُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ كلمة (سيري) يراد بها رؤية العين لا غير ذلك؛ لأنّه لم يتعد إلا إلى مفعول واحد.⁽³⁾

وجملة: ﴿وَسَرِّدُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿فَسَيِّرِي﴾.⁽⁴⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ فيه (الهمزة) للاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، و(لَمْ) للنفي، ونفي النفي إثبات، فيكون المعنى تأكيد علمهم بأن الله يقبل قبل التوبة عن عباده، ويأخذ الصدقات التي يريدون بها تكفير سيناتهم، والله يقبل هو المتصرف بأنه التواب الرحيم، الذي يكثر قبوله للتوبة رحمة بهم؛ لأنّه الرحيم الغفور الودود، وفيها حث على التوبة والصدقة⁽⁵⁾، ويأتي الاستفهام فيها للتقرير والتحضيض.⁽⁶⁾

ب. قال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ "فيها استعارة مكنية: أي يقبلها قبول من يأخذ شيئاً ليؤدي بدلها، فالأخذ هنا استعارة للقبول".⁽⁷⁾

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 2/133.

(2) ينظر: الجدول 11/28-29.

(3) إعراب القرآن للنحاس 2/133.

(4) المحتوى 2/413.

(5) ينظر: زهرة التفاسير 7/3436، والتفسير المنير 11/26، وفتح البيان 5/390.

(6) ينظر: لباب التأويل 2/404، وفتح البيان 5/390.

(7) الجدول/ محمود صافي 11/28.

ويجوز أن يكون أسناد الأخذ إلى الله تعالى مجازاً مرسلاً عن قوله لها.⁽¹⁾

ج. قوله تعالى: ﴿وَسَرِدُوكَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ﴾ "السين لتأكيد وقوع ما بعدها في المستقبل، أي ستعودون إليه ﷺ، وتعرض عليه أعمالكم لا تخفي منها خافية، فإن كانت خيراً، أو شراً تبتم منه وأحسنتم التوبة، فإن الجزاء يكون خيراً، وإلا فالعاقبة السوء".⁽²⁾

د. قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ﴾ "فيها تقديم الغيب على الشهادة وهذا لتحقق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة، على أبلغ وجه وآكده، أو للإذان بأن رتبة السر متقدمة على رتبة العلن، إذ ما من شيء يعلن إلا وهو، أو مبادئه القريبة، أو البعيدة، مضمر قبل ذلك في القلب، فتعلق علمه ﷺ به في حالته الأولى، متقدم على تعلقه به في حالته الثانية".⁽³⁾

هـ. قال تعالى: ﴿فَيَتَكَبَّرُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيه مجاز والإنباء مجاز عن المجازاة أو كنایة، أي يجازيكم حسب ذلك إن خيراً فخير وإن شرًا فشر، ففي الآية وعد ووعيد".⁽⁴⁾

4. القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَلَّذِي يَعْلَمُونَ﴾ فيها قراءتان:

أولاً: قرأت بالياء التحتية (يعلموا)، وهذه قراءة الجمهور.

التوجيه: تكون الآية الكريمة في شأن العصاة الذين تابوا وربطوا أنفسهم بالسواري، والذين لم يتوبوا من المختلفين، وترجى توبتهم، فهي دعوة لمن لم يتتب ألا يبأس من روح الله تعالى، ويعود إلى الله ورسوله والمؤمنين، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين.⁽⁵⁾

ثانياً: قراءة أخرى بالناء الفوقية (تعلموا) على الخطاب وهي قراءة الحسن، وكذا في مصحف أبي.⁽⁶⁾

التوجيه: تكون القراءة بهذا الوجه خطاباً للمؤمنين، وتقريراً لحقيقة دينية يجب الإيمان بها، وأن يعلموا أن الله تعالى لا يترك المذنب في ذنبه، بل إنه ﷺ يفتح له الباب لتطهير نفسه من الذنوب

(1) ينظر: التفسير المنير 11/26، وال Kashaf 2/308، والجدول 11/28، ومحاسن التأويل 5/496.

(2) زهرة التفاسير 7/3438.

(3) محاسن التأويل 5/498.

(4) الجدول 11/29.

(5) ينظر: تفسير القرطبي 8/250، وزهرة التفاسير 7/3436، وفتح القدير 2/455.

(6) ينظر: زاد المسير 2/295، وال Kashaf 2/308، والموسوعة القرآنية 5/296.

وتخلصها منها، والله يَعْلَمُ منه قريب يستجيب دعوته إذا دعا، ويغفر له إذا استغفره بقلب سليم
لم يركس، ولم يستغلق بباب التوبه.⁽¹⁾

5. استنباطات فقهية:

يقول الماتريدي في تفسيره: "إن الكافر إذا أسلم وتاب لم يلزم مع التوبه كفارة أخرى سوى التوبه، وإن كان ارتكب مساوى فواحش سوى الشرك والكفر، والمسلم إذا ارتكب مساوى لزمه التوبه والكفارة جمیعاً؛ وذلك لأن المسلم لما أسلم اعتقاد حفظ ما لزمه من الشرائع، فإذا ارتكب ما ذكرنا خرج عن شرائعه وأدخل نقصاناً فيما اعتقاد حفظه، فإذا ترك حفظه وأدخل فيه النقصان، لزمه الكفارة يجبر بها النقصان الذي أدخل فيه، وأما الكافر فليس عليه شيء من الشرائع، إنما عليه أن يتوب عن الشرك ويأتي بالإيمان؛ لذلك افترقا".⁽²⁾

رابعاً: المعنى الاجمالي:

يؤكد الله يَعْلَمُ قبوله للتوبه عباده حتى لا يُسرف العصاة على أنفسهم، ولو كانوا منافقين وغير مخلصي الإيمان، ويظنون أنه لا رجعة إلى الله يَعْلَمُ وإلى الدين الحق، فإن اليأس يولد النفرة، والنفرة تولد الكفر، والرجاء في الله يَعْلَمُ يكون معه الرجوع إليه، والرجوع يؤدي إلى الإيمان⁽³⁾، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ كُوْنُ أَلَمْ يَعْلَمُ أُولَئِكَ النَّاثِبُونَ أَنَّ اللَّهَ كُوْنُ هُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبَادِهِ، وَيَتَجَازِّ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَقْبِلُ الصَّدَقَاتِ وَيَضَعِّفُ أَجْرَهَا، وَفِي إِسْنَادِ الْأَخْذِ إِلَيْهِ سَبَّحَهُ بَعْدَ أَمْرِهِ لِرَسُولِهِ كُوْنُ أَلَمْ يَعْلِمْ بِأَخْذِهِ تَشْرِيفَ عَظِيمٍ لِهَذِهِ الطَّاعَةِ وَلِمَنْ فَعَلَهَا، وَفِي ذِكْرِ لَفْظِ الْأَخْذِ تَرْغِيبٌ فِي بَذْلِ الصَّدَقَةِ وَإِعْطَائِهَا الْفَقَرَاءِ⁽⁴⁾، إِذَا صَدَرَتْ عَنْ خَلُوصِ النِّيَّةِ، وَأَلَمْ يَعْلَمُوا أَيْضًاً أَنَّ اللَّهَ كُوْنُ هُوَ التَّوَابُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ قَبْوِلُ تَوْبَةِ النَّاثِبِينَ وَالتَّفَضُّلِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ النَّاثِبِينَ بِتَبَثِّيْتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمِ الصَّالِحةِ، وَالْتَّوْبَةُ تَفِيدُ فِي تَجَدِّدِ هَمَةِ النَّفْسِ وَالْعَهْدِ وَمَحْوِ الذَّنْبِ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْ أَوْزَارِ الْمَاضِيِّ وَالشَّعُورُ بِالْأَرْتِيَاحِ مِنْ تَعْذِيبِ الْضَّمِيرِ وَمَسَاوِيِّ الذَّنْبِ.⁽⁵⁾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَّوَابُ الْرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُسْرِ أَسْبَابَ التَّوْبَةِ لِعِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ، وَيُسْوِقُ إِلَيْهِمْ مِنْ تَبَيِّهَاتِهِ، وَمَا يَطْلَعُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحْذِيرَاتِهِ، حَتَّى إِذَا أَطْلَعُوا وَعْرَفُوا كُبَائِرَ الذَّنْبِ، اسْتَشْعَرُوا الْخُوفَ بِتَخْوِيفِهِ، فَرَجَعُوا إِلَى التَّوْبَةِ، فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ

(1) ينظر: زهرة التفاسير / 7، 3436، وفتح القدير / 2 / 455.

(2) تأویلات أهل السنة / 5 / 471.

(3) ينظر: زهرة التفاسير / 7 / 3436.

(4) ينظر: بحر العلوم / 2 / 86، وفتح البيان / 5 / 391.

(5) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي / 1 / 914.

فضل الله عَزَّلَ التواب بالقبول، المتفضل عليهم بجود إحسانه وهو المتجاوز لمن تاب، الرَّحِيمُ بالمؤمنين.⁽¹⁾

يقول الماتريدي في كتابه: " قال البعض الآية في المنافقين؛ يقول: اعملوا فيما تستأنفون؛ فإنَّ اللَّهَ يطلع رسوله والمؤمنين على نفاقكم فتفتضحون، حيث يطلعون على سرائركم ".⁽²⁾

"الخلاصة في ذكر أنَّ اللَّهَ يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات، أنَّ ذلك تهبيج للحث على المسارعة بالتوبة والصدقات، فكلناهما خير يتلقاه اللَّه عَزَّلَ بالقبول ".⁽³⁾

بعد ذلك يوجه الله عَزَّلَ الخطاب لنبيه محمد ﷺ ويقول لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنبهم من المتخلفين عن الجهاد معك، والخروج في الغزوة كسلاً لا نفاقاً أن يعملا اللَّه عَزَّلَ بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه مدعماً ذلك⁽⁴⁾، بقوله تعالى لهم: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَلَّمُكُوْرَوْسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ﴾ "فيها وعيد لهم وتحذير وترغيب"⁽⁵⁾، أي أنَّ اللَّه عَزَّلَ سيرى عملكم إن عملتم، وبأنَّ رسوله سيراقب سلوككم باستمرار ورؤيه الرسول ﷺ تكون بإعلام الله عَزَّلَ إياه، وأنَّ فراسة المؤمنين ستلاحقكم في كل مكان، فما أطلعهم الله عَزَّلَ عليه من خير أحبوه، أو شر أبغضوه، إذ الأعمال نفسها ليست إلا علامات تكشف عن حقيقة النيات، وأمارات تدل على صميم المعتقدات ومن أسر سريرة ألسنة الله عَزَّلَ رداءها، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر⁽⁶⁾، فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوْجَّح نفسه، ثم جاء سبحانه بوعيد شديد وبلغتهم الله عَزَّلَ بأنهم سيرجعون إليه بقوله تعالى: ﴿وَسَرَّدُوْنَ﴾ أي يوم القيمة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، وما يغيب عن الناس فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها، وقال تعالى: ﴿فَيُتَشَكَّرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾ فيخبركم بما كنتم تعملون، وما يكون منه خالصاً أو رباءً أو طاعةً أو معصية، فيجازيكم على أعمالكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته⁽⁷⁾، وقد خسر من لا يمنعه الحياة، ولا يردعه الاحتشام، وسقط من عين الله عَزَّلَ من هنك جباب الحياة، كما قال الشاعر صالح بن عبد القدوس⁽⁸⁾:

(1) ينظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري 1/ 280، ويحرر العلوم 2/ 86.

(2) تأويلات أهل السنة 5/ 472.

(3) زهرة التفاسير 7/ 3437.

(4) جامع البيان 14/ 463.

(5) الموسوعة القرآنية 10/ 39.

(6) ينظر: التيسير في أحاديث التفسير محمد الناصري 3/ 17، وفتح القدير 2/ 455، ولباب التأويل 2/ 405.

(7) ينظر: جامع البيان 14/ 463، ويحرر العلوم 2/ 87.

(8) صالح بن عبد القدوس: بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، مولاه، أبو الفضل: شاعر حكيم، كان متكلماً، يعظ الناس في البصرة. له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزنقة، فقتله بغداد، وعمي في آخر عمره، توفي سنة (160 هـ - 777 م)، [ينظر: الأعلام 3/ 192].

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاةُ ** * ** ولا خير في وجه إذا قلّ ماءٌ
من لم يمنعه الحياة عن المكرهات في العاجل سيلقى غبّ ذلك، وخسارته عن قريب في
(1). الآجل.

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات لتحقيق المقاصد والأهداف التالية:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ تَوَابٌ رَّحِيمٌ﴾

خطاب الله ﷺ لكل عاص في كل زمان ومكان على مر العصور، وكل من يغلق عليه الشيطان أبواب التوبه يناديه الرحمن أن باب التوبه مفتوح لا يغلق وأن الله ﷺ يبسط يده للمسين، ويقبل التوبه عن عباده كما جاء في الحديث، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدٍ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحْلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَأَةٍ، فَانْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحْلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ﴾⁽²⁾، فالواجب على كل مسيء أن يعود ويتوب إلى الله ﷺ وأن لا يقطع من رحمة الله ﷺ لأن بابه مفتوح دائمًا لعباده مالم تشرق الشمس من مغربها.

﴿حَثَ الْمُسْلِمَ عَلَى الْعَمَلِ﴾:

المنهج الإسلامي منهج عقيدة وعمل، فمحك الصدق في التوبه هو العمل الظاهر، يراه الله ﷺ ورسوله ﷺ والمؤمنون، والإيمان ليس بالتمني، ولا التوبه باللسان فقط بل بما وقر في القلب وصدق العمل، فالعمل هو المهم، وهو المعول عليه⁽³⁾، وعلى الرغم من اختلاف الأعمال في نوعيتها من شخص لآخر فالذى يعنينا هو كيفية أداء هذه الأعمال؟! هل هي على وجه الإنقان والإحسان أم على وجه التقصير والإهمال؟! إن شريعتنا الإسلامية من ضمن ما ثأمنا به، ثأمنا بإتقان العمل، وهي في حديثها عنه لا تجعله أمراً دنيوياً تبتغى منه منفعة عاجلة فحسب، بل تجعله أيضاً أمراً تعبدياً يتقرب به إلى الله ﷺ، ومن المؤسف أننا نجد بعض المسلمين يهملون العمل بهذه الوصية، مستهينين بمعناها وأثرها في رقي المجتمع وسعادته، حجتهم في ذلك الربط بين إتقان العمل والمقابل المادي، يغتمنون فرصة غياب الرقابة الإدارية

(1) لطائف الإشارات 2/ 61.

(2) صحيح مسلم 4/ 2104، كتاب: التوبه، باب: في الحض على التوبه، والفرح بها، حديث رقم: 2747.

(3) ينظر: في ظلال القرآن 3/ 1708، والتفسير الواضح 2/ 13.

لإباء التقصير والتهاون في أداء الواجبات، متناسين الرقابة الإلهية، ويجب علينا أن نوّظف الضمير المسلم؛ ليكون حيًّا يمارس دور الحكم الداخلي على النفس، وهو الرقيب والواعظ أثناء العمل؛ لأن إتقان العمل في الإسلام ليس هدفًا سلوكياً قاصرًا على الفرد فقط، بل هو سمة حضاريةٌ تقدميةٌ للمجتمع المسلم تمحي بعض السلوكيات السلبية التي تؤثر على رقي وتقدير المجتمعات.

المطلب السادس

الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا حَرُوفٌ مُرْجَوْنٌ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يَعْدُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبية: 106].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أنْ قسّمَ الله تعالى المخلفين عن الغزوة إلى ثلاثة أقسام: منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق، وهم أكثرهم، والذين المعترفون بذنبهم تابوا وزكوا توبتهم بالصدقة، وطلب دعاء الرسول ﷺ واستغفاره لهم، ذكر في هذه الآية الصنف الثالث وهو القسم الأخير ألا وهم الذين ظلّ أمرهم موقوفاً إلى الله تعالى.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذُكِرَ في سبب نزول هذه الآية قولان هما:

أ. نزلت في الثلاثة الذين خلفوا وربطوا أنفسهم بالسواري ولم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقهم الرسول ﷺ خمسين ليلة، ونهى الناس عن مكالمةهم ومخالطتهم وأمر نسائهم باعتزالهم، حتى شقّهم القلق وتهلكم الحزن وضاقت عليهم الأرض برحبها، وكانوا من أهل بدر، وهم: هلال بن أمية، ومرارة بن رعيي - الربع -، وكمب بن مالك، من الأوس والخرج، فجعل أنس يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مرجئين لأمر الله.⁽²⁾

ب. قيل: إنها نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معروضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار.⁽³⁾

الراجح: ما تميل إليه الباحثة وترتضيه هو القول الأول، وأن الآية الكريمة نزلت في الثلاثة المؤمنين الذين تخلفوا عن الغزوة وذلك لأن سياق الآيات السابقة كانت تتحدث عن المؤمنين الذين تخلفوا عن الغزوة.

أيضاً الروايات التي نقلت في القول الثاني نقلت بلفظ (قيل) وهذا يدل على التضعيف، ومعظم كتب التفسير ذكرت القول الأول والقليل منها ذكرت القول الثاني.

(1) ينظر: غرائب القرآن 3/ 527، وتفسير المنار 11/ 29، وأيسر التفاسير 2/ 423، ولباب التأويل 2/ 405.

(2) ينظر: أسباب النزول ص: 258، وجامع البيان 14 / 466، والكشف 2 / 309، وبحر العلوم 2 / 87، والكشف والبيان 5 / 91، والتفسير الوسيط 2 / 523، وتفسير البغوي 2 / 386.

(3) المحرر الوجيز 3 / 80.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

مُرْجَوْنَ: مُرجئون لأمر الله تعالى وقضائه، يقال منه: "أرجأته أرجئه إرجاء وهو مرجأ"، بالهمز وترك الهمز، وهم لغتان معناهما واحد.⁽¹⁾

تأتي أيضاً بمعنى: موفقون لأمر الله تعالى، مؤخرن على أمر الله تعالى، ويقال: متزكون لأمر الله تعالى لهم، ويقال مؤخر أمرهم من التأخير⁽²⁾، ويقال فيها بأنها تأتي بمعنى محبوسون وهي من أرجيته: أي حبسته.⁽³⁾

الراجح: ما توصلت إليه الباحثة من خلال المعاني المختلفة لكلمة (مرجون) أن هؤلاء القوم أمرهم وكلّ وأسند وترك لحكم الله تعالى فيهم، وأنه تأخر ولم ينزل حكمه فيهم كما نزل الحكم فيمن تخلف معهم وقدموا أذارهم للرسول ﷺ.

يُعَذِّبُهُمْ: فيها وجهان، هما:

أ. يميتهم على حالهم.

ب. "يأمر بعذابهم إذا لم يعلم صحة توبتهم".⁽⁴⁾

تستدل الباحثة من خلال المعنيين السابقين أن كليهما يدلان على شدة الموقف والذل الذي كانوا فيه، وهذا بسبب تخلفهم عن غزوة الرسول ﷺ ومساندة المؤمنين، وذلك حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

يُؤْثِبُ عَلَيْهِمْ: تحمل وجهين، هما:

أ. أن يعلم صدق توبتهم فيطهر ما فيهم.

ب. أن يغفو عنهم ويصفح عن ذنوبهم.⁽⁵⁾

ترى الباحثة أن كلا المعنيين يدلان على رأفة الله تعالى ورحمته بعباده، من قبول توبتهم، ومغفرة ذنوبهم، وتطهيرهم منها.

(1) ينظر: جامع البيان /14/ 464.

(2) ينظر: بحر العلوم /2/ 87، وتقسيم البعوي /2/ 386، والبحر المديد /2/ 426، الجوادر الحسان /3/ 212، وأيسر التفاسير /2/ 422، والتفسير الواضح /2/ 13.

(3) ينظر: تأويلات أهل السنة /5/ 475.

(4) النكت والعيون /2/ 400.

(5) ينظر: المرجع السابق /2/ 400.

2. الإعراب:

اختلف في إعراب قوله تعالى: ﴿وَآخْرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ على ماذا تعطف، والأقوال فيها على النحو الآتي:

أ. أن الجملة لا محل لها من الإعراب، وهي معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿وَآخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَّا صَلِحَّا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبية: 102]، أي عطف نسق على ما تقدم أي آخرون اعترفوا و﴿مُرْجَوْنَ﴾ صفتة لأمر الله تعالى متعلقان بمرجون يعني آخرون من المختلفين موقف أمرهم.⁽¹⁾

ب. أن الجملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوَّلَ كُوْتَبَ الْأَعْرَابِ مُنَفِّقُونَ﴾ [التوبية: 101]، والمعنى: من أهل المدينة منافقون ومنهم آخرون مُرْجَوْنَ.⁽²⁾

جملة: ﴿يُعَذِّبُهُم﴾ في محل رفع خبر المبتدأ (آخرون).

جملة: ﴿يَتُوبُ عَلَيْهِم﴾ في محل رفع معطوفة على جملة يعذّبهم.

جملة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لا محل لها من الإعراب وهي جملة استثنافية.⁽³⁾

3. الجوانب البلاغية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِم﴾ هنا للشك والتردد، والشك بالنسبة للمخاطب- المخلوقين-، وإنما للإبهام بالنسبة إلى الله تعالى بمعنى أنه تعالى أبهم على المخاطبين، وجعلهم في تردد بالنظر لاعتقادنا فيهم، وإن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، ويعلم الحركات والسكن، فيعلم ما سيثول إليه أمرهم من غير إخبارهم، وعلمه محظون بأعمالهم وإرادتهم.⁽⁴⁾

4. القراءات:

قوله تعالى: ﴿مُرْجَوْنَ﴾ فيها قراءتان، هما:

(1) ينظر: التبيان 2/ 659، وإعراب القرآن، النحاس 2/ 133، والجدول 11/ 30، وإعراب القرآن وبيانه 4/ 173، وجامع البيان 14/ 464.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/ 467.

(3) ينظر: الجدول 11/ 30.

(4) ينظر: فتح البيان 5/ 393، نقشير القرطبي 8/ 252، والتفسير الواضح 2/ 14، والتبيان 2/ 659.

أ. بغير همز: **﴿مُرْجُونَ﴾** من أرجى، وهي قراءة الحسن، وطلحة، وأبى جعفر، وابن ناصح، والأعرج، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص.

ب. بالهمز: (مرجون) من أرجأ يرجىء، وهي قراءة باقي السبعة.⁽¹⁾

5. الناسخ والمنسوخ:

يقول الشوكاني: "الآية تم نسخها في موضع آخر من سورة التوبية، وهو قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الْذَّلِيلَاتِ الَّذِينَ خَلَقْنَا هَذَيْهِ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ﴾** [التوبية: 118]."⁽²⁾

ما تميل إليه الباحثة أن هذه الآية غير منسوبة بالآية الأخرى التي ذكرت في نفس السورة، وإنما الآية نزلت في البداية لبيان كيف كان حال من تخلف عن الغزوة ولم يكن له سبب في التخلف، ولم يقدم عذر للرسول ﷺ، فبيّنت الآية وصورت لنا حالة الخوف والقلق التي كانت عندهم، وبعد ذلك نزلت فيهم توبه الله يعجل عليهم في موضع آخر من السورة الكريمة.

رابعاً: المعنى الاجمالي:

يتضح في هذه الآية صنف آخر من الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين تخلفوا عن الغزوة ولم يكونوا منافقين وأيضاً لم يقدموا عذراً للرسول ﷺ كما فعل أبو لبابة وغيره من الصحابة فنزل فيهم قوله تعالى: **﴿وَمَا خَرُونَ مُرْجُونَ﴾** أي أن أمرهم راجع الله يعجل ليقضي فيهم ما هو قاض، ولم يبيّن شيء، **﴿إِنَّمَا يُعَذَّبُهُمْ﴾** بتأخرهم إن بقوا على ما هم عليه ولم يتوبوا، **﴿وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾** ويتجاوز عنهم إن تابوا توبة صحيحة وأخلصوا إخلاصاً، ولم يصرّح بقبول توبتهم، ولم يُبَيِّنُ لهم من غفرانه، فوقفوا على قدم الخجل، وتردد حالهم بين الأمرين الرهبة والرغبة، وبين الخوف والرجاء، وفيها إخبار من الله يعجل أنه إن عذبهم فلا اعتراض يتوجه عليه، وإن رحّمهم فلا سبييل لأحد إليه، والله يعجل عالم بما يصير إليه أمرهم إلا أنه خاطب العباد بما يعلمون.

قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾** بما يقول إليه حالهم وبمن يهدى إلى الرشد، وحَكِيمٌ فيما ينفذه من تتعيم من شاء، وتعذيب من يشاء، لا رب غيره ولا معبد سواه، فالآية على هذا فيها ترج لهم واستدعاء إلى الإيمان والتوبية⁽³⁾، وإن الحكمة من إبهام الأمر إثارة الغم والحزن في قلوبهم لتصحّ توبتهم، وحكمة إبهامه على الرسول ﷺ والمؤمنين تركهم مكالمتهم ومخالطتهم، تربية وتهذيباً

(1) ينظر: المحرر الوجيز 3/80، وزاد المسير 2/296، وبحر العلوم 2/87، وتفسير البغوي 2/386، والموسوعة القرآنية 5/296، والتحرير والتتوير 11/28.

(2) فتح القدير 2/458.

(3) ينظر: فتح البيان 5/393، وبحر العلوم 2/87، ولطائف الإشارات 2/61، والمحرر الوجيز 3/80.

للفريقين على ما يجب أن يعامل به أمثالهم من يؤثرون الراحة ونعمة العيش، وبيان جرم التخلف عن طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والجهاد لإعلاء كلمة الحق، ودفع عدون أهل الباطل.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿الحكمة من تلاوة الآية الكريمة﴾:

تكرار تلاوة هذه الآيات القرآنية في مختلف الأوقات وعلى مر الأزمان يوقع في قلوب المؤمنين الرهبة والخوف ويزيدهم عزة وتهذيباً، فيجعل ملخصي الإيمان على يقظة تامة في جميع أقوالهم وأفعالهم، و يجعلهم في رجاء دائم وطمأنة في القرب من طاعة الله تعالى والخوف من عذابه.

﴿عبرة ودرس للحركة الإسلامية﴾:

لا بد للحركة الإسلامية حين تطلق أن تكتشف لها أرض المعركة، وما عليها من مهام يجب القيام بها، ومن عليها وغير مناصر لها، فهذا التكشف ضروري لكل خطوة حتى يعرف أصحاب الحركة مواضع أقدامهم في كل خطوة في الطريق.⁽²⁾

هذا ينطبق على واقعنا الذي نعيش فيه حيث الصراع الدائم بيننا وبين اليهود، المغتصبين لأرضنا، فيجب معرفة مصدر قوتنا، ونحدد بالضبط متى يمكننا التحرك لمحاربتهم، واحتدام الحرب مع الأعداء، ومعرفة كوامن القوة لدينا من عدة بشرية، وأسلحة وإلى غير ذلك من عوامل تكمن وراء النصر والتغلب عليهم، من إيمان وثقة بالله تعالى.

﴿الرجاء والأمل برحمه الله تعالى﴾:

إن هذا يضيء شعلة التفاؤل، ويبقى المؤمن على اعتاب الحضرة الإلهية لائذاً ومستجيراً، غير يائس وقانت من رحمة الله تعالى، واستحضار مثل ذلك في قلب المسلم يجعله دائماً واثقاً برحمه الله تعالى بعياده.

﴿تفاوت تقييم الخلق للمفاهيم﴾:

بتفاوت تقييم الناس لبعض المفاهيم، وهذه خلقة ريانية من الله تعالى حيث تتفاوت بحسب المنظار الذي ينظرون إليها من خلاله، وكذلك هو الأمر بالنسبة للمؤمن فقد يعرض قلبه لنسمات

(1) ينظر: تفسير المراغي 22 / 11، والتفسير الواضح 2 / 14.

(2) ينظر: في ظلال القرآن 3 / 1702.

الإيمان فتتحرّك كوامن الخير في نفسه، ويتجلّى له العمل الصالح فيتعهّد، وهو مدرك بأنه يفعل ما فيه الخير والفائدة من العمل، وقد تأخذه الدنيا بمشاغلها ولهوها فتفوته تلك النسمات، فيتقاعس عن الخير، ويبعد عن الحق، أو قد يرتكب ذنباً دون أن يدرك أنه يسيء إلى نفسه أو إلى محیطه الذي يعيش فيه، فقيامه بصالح العمل لا يعني أنه لا يخطئ ولا يزد، وارتكابه لمعصية ما؛ لا يعني بأنه انحطّ إلى درك الفسق والشر والكفر والخروج عن الإسلام؛ بل إن ذنبه يثقل كاهله، وتضيق به نفسه، فيستغفر الله تعالى وكله أمل بأن يتوب عليه، يحدوه إلى ذلك أمله بعظيم مغفرة الله تعالى⁽¹⁾، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ هُلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَتَى رَاهِبًا ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةً، فُقْتَلَ الرَّاهِبُ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الْطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَأَخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشَبْرٍ، فَجَعَلَ مِنْ أَهْلِهَا"⁽²⁾، وذلك يدل أن رحمة الله تعالى⁽³⁾ أوسع من أن يدركها عقل بشر، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ، مَا قَطَّ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ".

﴿موقف المسلم من نصوص الوعيد﴾

"يقال بموجب نصوص الوعيد على الإطلاق والعموم دون أن يعين الشخص، فيقال: من فعل هذا فهو متوعّد بكتابه، ولا يعين الشخص فيقال مثلاً: هذا في النار، أو هذا ملعون، أو هذا مغضوب عليه، إلى غير ذلك من الألفاظ"⁽⁴⁾، وللأسف هذا مما ينطبق على واقعنا فنرى الكثير من الناس من يتجرأ ويحكم على غيره هذا مؤمن بذلك كافر وهذا في الجنة وذلك في النار، ويسبق لسانه فعله، فيجب علينا الحذر من ذلك والتوقف عن إصدار مثل هذه الأحكام وهذا ما يقع فيه عامة الناس، سائلين المولى أن يجنبنا مثل هذه الأقوال، وذلك لإمكان أن يتوب المذنب فيتوب الله تعالى عليه، أو يستغفر الله تعالى فيغفر الله له، أو تكون له حسناً تمحو سيئاته، أو

(1) ينظر: القرآن منهاج حياة، غازي صحي ص: 306-307.

(2) صحيح مسلم 8/104، كتاب: التوبية، باب: قبول توبية القاتل، حديث رقم: 7109.

(3) صحيح مسلم 8/97، كتاب: التوبية، باب: في سعة رحمة الله تعالى، حديث رقم: 7079.

(4) موسوعة الفقه الإسلامي، التوجيحي 4/623.

تقبل فيه شفاعة مسلم، أو يُبَتَّلَ بما يَكْفُرُ عنه سبئاته، أو يتجاوز الله عَنْكَ عنده، فلا نلعن المعين ما دام حيًّا، سواء كان مسلماً أو كافراً؛ لاحتمال تخلف شرط الوعيد.

﴿ حب المسلم لأخيه المسلم الخير: ﴾

وهذا يتجلّى واضحًا فيما وقع من الصحابة ﷺ حيث إنهم كانوا يرجون أن ينزل الله عَنْكَ في المختلفين آية قرآنية يغفر الله عَنْكَ لهم من خلالها خطأهم الذي وقعوا فيه ويتجلى ذلك واضحًا في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾، وهذا من عوامل قوة المجتمع ونجاحه وتقديمه وتطوره في جميع مجالات وجوانب الحياة التي نعيشها، لذلك ينبغي على المؤمن أن يشعر بشعور الآخرين من الجيران والأصحاب.

المبحث الثالث
المقصود والأهداف لسورة التوبه من الآية
(107 - 110)
مسجد الضّرار ومسجد التقوى وموقف
الرسول ﷺ منهما

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مسجد الضّرار (المنافقين).

المطلب الثاني: مسجد التقوى (قباء).

المطلب الثالث: موقف الرسول ﷺ من مسجد
الضّرار، ورد فعل المنافقين.

المطلب الأول

مسجد الضرار (المنافقين)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفُرًا وَقَرِيبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلٍ وَيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [التوبية: 107].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

ذكر الله تعالى أن المنافقين في المدينة المنورة الذين مردوا على النفاق لم يكتفوا بالقعود عن الجهاد، وتنبيط المؤمنين عنه، وما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا إلى الله تعالى أو يهلكوا وهم كافرون، وهنا ذكر صنفاً آخر من المنافقين الذين تعدوا وأرادوا التقرير بين المؤمنين، فأنشأوا مسجداً لا ليقيموا فيه الصلوات، بل ليكون وكرًا لهم، وليجرروا فيه خياناتهم، واتصالاتهم بأعداء الإسلام من الرومان، وليفرقوا بين المؤمنين.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذكر أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتواهم فصلى فيهم، فحسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلّي فيه كما صلّى في مسجد إخواننا، وليصلّي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتتصرّر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنفية، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة عاداه، وهو الذي حزب الأحزاب وجمعهم لقتال رسول الله ﷺ فلما خذله الله تعالى، خرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً فلما ذهب إلى قيصر فاتي بجند الروم، وأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا له مسجداً إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً، وهم: خدام بن خالد، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الأزرع وعبد بن حنيف وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ونبيل بن حارث وبحرج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يأتي إليهم فيصلّي في مسجدهم، ليتحجّوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، فقالوا: إننا قد بنينا مسجداً لذي العلة وال الحاجة ولليلة المطيرة ولليلة الشاتية، وإننا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فدعوا بقمصه ليلبسه فيأتّهم، فنزلت الآية، وأخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما همّوا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخش و معن بن عدي و عامر بن السكن و وحشياً قاتل حمزة، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهمموه وأحرقوه، فخرجوا وانطلقوا مالك وأخذ عسفاً من النخل فأشعل فيه ناراً،

(1) ينظر: فتح البيان 5/394، وأيسر التفاسير 2/424، وخاتم النبيين ﷺ، أبي زهرة 3/1060.

ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنهم أهله، وأمر النبي ﷺ أن يتخذ ذلك كنasaة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة، ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً.⁽¹⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

ضراراً: مصدر ضار مبالغة في ضر، أي ضرراً لأهل الإسلام، وداعية لأجل الإضرار بين الجماعتين، والذي ليس لك فيه منفعة وعلى غيرك المضرة.⁽²⁾

وإرصاداً: يقال رصد، وأرصد: راقب، ورصد تكون للخير والشر، وأرصد لا تكون إلا للشر، والإرصاد الانتظار لسوء يتوقع، والإعداد له، والترقب مع العداوة، وتأتي أيضاً بمعنى التهيئة.⁽³⁾

الحسن: يحمل ثلاثة أوجه:

أ. طاعة الله تعالى.

ب. الجنة.⁽⁴⁾

ج. فعل التي هي أحسن، والإرادة الحسنة وهو الخير من إقامة الدين والجماعة والصلة.⁽⁵⁾

الراجح: ما ترتضيه الباحثة أن جميع الأوجه لكلمة الحسن تعني في البداية الإرادة والفعل الحسن، وبذلك يكون قد أطاع الله تعالى فيدخل الجنة.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذَّابُونَ : يحمل فيها وجهان:

أ. "والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم خائنون في إيمانهم.

ب. والله يعلمك أنهم لكاذبون خائنون، فصار إعلامه له كالشهادة منه عليهم".⁽⁶⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 468 - 469، وتفسير ابن كثير 4 / 211-210، وتفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل البلاخي 5 / 137، وغرائب القرآن 3 / 529، أسباب النزول ص: 259 - 260،

(2) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي 2 / 582، والجواهر الحسان 3 / 214.

(3) ينظر: لباب التأويل 2 / 406، وأحكام القرآن، ابن العربي 2 / 582، وزهرة التفاسير 7 / 3442، والتحرير والتتوير 30/11.

(4) ينظر: النكت والعيون 2 / 401.

(5) ينظر: أيسر التفاسير 2 / 424، والموسوعة القرآنية 10 / 40، والنكت والعيون 2 / 401.

(6) النكت والعيون 2 / 402.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَنْخَذُوا﴾ الكلمة فيها وجهان:

أ. النصب على الاختصاص بالذم.

ب. الرفع على الابتداء والخبر محذوف معناه فيمن وصفنا الذين اتخذوا.⁽¹⁾

الواو: استثنافية على كل حال وجملة ﴿أَنْخَذُوا﴾ صلة.

قوله تعالى: ﴿وَكُفَّارًا وَنَفَّرِبًا﴾ عطف على ضرارا.⁽²⁾

قوله تعالى: ﴿ضَرَارًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿أَنْخَذُوا﴾، وكذلك ما بعده، وهذه المصادر كلها واقعة موضع اسم الفاعل؛ أي: مضرأً ومتفرقأً، وجائز أن تكون مفعولاً له.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ "إِرْصَادًا" عطف أيضاً، ولمن حارب الله متعلقان بإِرْصَادًا⁽⁴⁾، وجملة حارب الله صلة الموصول، واللام واقعة في جواب القسم.⁽⁵⁾

قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرَدَنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ "جواب القسم، ومعترضة، أو في موضع الحال".⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَتَهَدُّدُ إِنَّهُمْ لَكَبِيرُونَ﴾ "جملة يشهد خبر وإن وما في حيزها مفعول يشهد وإن واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها".⁽⁷⁾

3. القراءات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَنْخَذُوا﴾ فيها قراءتان، تفصيلها كالتالي:

أولاً: من قرأ ﴿وَالَّذِينَ﴾ بواو، وهي قراءة جمهور القراء، وفيه وجهان:

أ. معطوف على قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ﴾؛ أي: ومنهم الذين اتخذوا.

ب. مبتدأ، والخبر: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ مُتْكَنْهُ﴾؛ أي: منهم، فحذف العائد للعلم به.

(1) ينظر: التفسير المنير 11/38، وتفسير القرطبي 8/253، والجدول 11/30، وإعراب القرآن وبيانه 4/173.

(2) ينظر: الجدول 11/30، وإعراب القرآن وبيانه 4/173، والمجتبى 2/414.

(3) ينظر: التبيان 2/659-660، والتفسير المنير 11/38، ومعاني القرآن وإعرابه 2/468.

(4) إعراب القرآن، النحاس 2/134، والجدول 11/30.

(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/173، والمجتبى 2/414.

(6) التحرير والتتوير 11/30.

(7) الجدول 11/30، وإعراب القرآن وبيانه 4/174.

ثانياً: من قرأ **﴿الذين﴾** بغير واو، وهي قراءة نافع، وأبى جعفر، وشيبة، وابن عامر - مصحف المدينة والشام -، فيه وجه واحد هو أن يكون الذين مبتدأ، والخبر **﴿أَفَمَنْ أَسَسَ﴾** على ما تقدم، وهي جملة مسأفة، ونكتة الاستئناف هنا التبيه على الاختلاف بين حال المراد بها وبين حال المراد بالجملة التي قبلها وهم المرجون لأمر الله.⁽¹⁾

4. استنباطات فقهية:

قال تعالى: **﴿وَتَقْرِيبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** هذا يدل على أن المقصود الأكثر والغرض الأظاهر من وضع الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وعقد الذمam والحرمة بفعل الديانة، حتى يقع الأنس بالمخالطة؛ وتصفو القلوب من وضر الأحقاد والحسد.

لهذا المعنى تفطن مالك **ﷺ** حين قال: "إنه لا تصلني جماعتان في مسجد واحد، ولا بإمامين، ولا بإمام واحد"، وهذا خلافاً لسائر العلماء، وقد روي عن الشافعي المنع حيث كان ذلك تشتيتاً للكلمة، وإبطالاً لهذه الحكمة، وذرية إلى أن نقول: من أراد الانفراد عن الجماعة كان له عذر، فيقيم جماعته، ويقيم إمامته؛ فيقع الخلاف، ويبطل النظام، وخفى ذلك عليهم، وهذا كان شأنه معهم، وهو أثبت قدماً منهم في الحكمة، وأعلم بمقاطع الشريعة.⁽²⁾

استدل العلماء من خلال هذه الآية على النهي عن الصلاة فيمن بنى المساجد مباهاة أو رباء، أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله **ﷻ**، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار، فهذه المقامات أولى بالهدم والحرق لأنها لا تقصد إلا لوجه الشيطان.⁽³⁾

رابعاً: المعنى الاجمالي:

الآية توضح لنا مكائد المنافقين وكيف بنوا مسجداً لأجل الاضرار بال المسلمين حتى يأتيه أهل المنطقة، ولأجل الكفر بالله **ﷻ** ورسوله **ﷺ**، وتسميتها مسجد الضرار؛ لأنها أنشئ للضرار، فأخذ اسمه من مقصده⁽⁴⁾، وأخبر الله **ﷻ** وبين البواعث والأغراض التي جعلت المنافقين يقومون ببناء هذا المسجد، وهي أمور أربعة:

- أ. اتخاذه لمضمار المؤمنين، وهم أهل مسجد قباء، ومحاولة إيقاع الضرر بهم.
- ب. تقوية الكفر وتسهيل أعماله، والمباهاة لأهل الإسلام لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.

(1) ينظر: فريدة الدهر 2/ 852، وتفسير القرطبي 8/ 253، والموسوعة القرآنية 5/ 296، والتبيان 2/ 659 - 660، وزهرة التفاسير 7/ 3442، والمحرر الوجيز 3/ 80، وزاد المسير 2/ 296، والتحرير والتتوير 11/ 29.

(2) ينظر: أحكام القرآن، ابن العربي 2/ 582.

(3) ينظر: الكشاف 2/ 309، وموسوعة الألباني في العقيدة، الأشقروري الألباني 2/ 516.

(4) ينظر: زهرة التفاسير 7/ 3442.

ج. التفريق بين المؤمنين، لأنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء فأرادوا أن لا يحضروا مسجدهم فقل جماعة المسلمين، وفيه من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

د. الإرصاد لمن حارب الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل اتخاذ هذا المسجد.⁽¹⁾

كل ما ذكر من أهداف بناء المسجد يوضح لنا أعظم خصال النفاق العمليّ، وهي أن يعلم الإنسان عملاً، ويُظْهِرُ أنَّه قصد به الخير، وإنَّما عمله ليتوصلَ به إلى غرضٍ له سُيُّ، ويتوصَّلُ بهذه الخديعة إلى غرضِه، ويفرحُ بمكره وكذبه وحمَدَ النَّاسَ له على ما أَنْظَهَهُ، وتوصَّلُ به إلى غرضِه الذي أَبْطَنَه.⁽²⁾

ولكي يتم تصديقهم والاطمئنان لأفعالهم اكدوا ذلك بالحلف والأيمان، في قوله تعالى: **﴿وَيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ﴾**، وهذا إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ مؤكِّد بالقسم أنهم سيرسلون إنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخصلة أو الخطة التي توقق غيرها في الحسن؛ وهي الرفق بال المسلمين وتيسير صلاة الجماعة على أولي العجز والضعف ومن يحبسهم المطر منهم، ليصدقهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويصلِّي لهم فيه والله عَزَّ وَجَلَّ يعلم إنهم لكاذبون في إيمانهم لأنهم ما بنوه إلا للسوء، وأنهم حانثون بيمينهم.⁽³⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿تَشَابَهَ الْأَزْمَنَةُ﴾:

ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه اليوم بالأمس، وما أكثر مساجد الضرار في هذه الأيام، فإن عمل منافقين اليوم ضرار بالإيمان والمؤمنين بوجه أشد نكارة وأدَى للإسلام والمسلمين⁽⁴⁾، ونحن قد نجد بعض الحكام قد اتخذوا من بيوت الله عَزَّ وَجَلَّ أداة لأعمال الجاهلية من تصفيق وهتفات لهم ولجاهلية، وهذا يجب تصحيح الهدف من إقامة المساجد، وبيان أهميتها، وتوضيح دروها.

﴿الصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

كل عمل يراد به تفريح الناس أمر محرم شرعاً يؤدي إلى الكفر، ومثل هذه الأعمال لا تتطبق على المساجد فقط بل تشمل جميع جوانب الحياة التي نعيشها، فكل ما أنسى على باطل يجب الابتعاد عنه ولو ظن الإنسان أن فيه خير.

(1) ينظر: فتح البيان 5/394، ومفاتيح الغيب 16/146، الكشاف 2/309، وتقسيم المنار 11/31-32، وتهذيب اقتضاء الصراط المستقيم ص: 253، وخاتم النبىين 3/969.

(2) ينظر: روائع التفسير، زين الدين 1/529.

(3) ينظر: فتح البيان 5/395، وتقسيم المنار 11/31-32، وتقسيم المراغي 11/26.

(4) ينظر: الإبطال لنظرية الخلط، بكر بن عبد الله ص: 99.

﴿ تحرير اتخاذ الدين كعبادة للتستر لنيل المصالح: ﴾

"إنَّ أَكْبَرَ خَطَرٍ كَانَ وَمَا يَزَالْ يَهْدِي بُنْيَةَ الْمُجَتَمِعِ هُوَ ظَهُورُ مَنْ يَنْتَظَاهُرُ بِحَمْلِ رَأْيِ الدِّينِ وَرَفْعِ شَعَارَاتِهِ، فِي سَبِيلِ تَجْمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَسْطَاءِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ حَوْلَهُ، بَغْيَةِ اسْتِخْدَامِهِمْ كَعَامِلٍ تَخْرِيبٍ وَهَدْمٍ لِسَائِرِ نَشَاطَاتِ الْمُجَتَمِعِ الْآمِنِ الْمُسَالِمِ، وَقَدْ نَجَحَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْفَنَاتِ الْبَاغِيَةِ الْمُضَلِّلَةِ فِي تَتْفِيرِ النَّاسِ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ أَظَهَرُوا الدِّينَ عَلَى هَيْئَةِ أَدَاءٍ لِلتَّعَصُّبِ وَالْتَّكِيلِ وَالْتَّفْرِيقِ".⁽¹⁾

﴿ الْهَدْفُ مِنْ إِعْمَارِ بَيْوَتِ اللَّهِ عَجَلَ: ﴾

إِنَّ بَيْتَ اللَّهِ عَجَلَ، هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي حَوَى الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ طَاهِرَ الْقَلْبَ صَافِيَ النَّوَايَا، وَالَّذِي تَكُونُ حَيَاتُهُ وَعَمَلُهُ وَإِنْتَاجُهُ سَلَامًا، وَهُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْوَرِعُ، الَّذِي يُرِيطُ الْقُلُوبَ وَيُوَحِّدُهَا بِكَلَامِهِ وَتَصْرِفَاتِهِ، مَمَّا يُعْطِي مَا يَبْيَنِيهِ صَفَةُ الْدِيَمُومَةِ وَالْأَفْضَلِيَّةِ، وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي يَجْمَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُوَحِّدُ صَفَوْفَهُمْ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ، وَيَقْوِي عَصَبَتِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِلوقوفِ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ، وَمُحَارِبَتِهِمْ، وَهَذِهِ إِحْدَى عِوَالِ النَّصْرِ وَالنَّهْوِ بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

﴿ جَزَاءُ مَنْ يَنْتَهِي حِرْمَاتُ بَيْتِ اللَّهِ عَجَلَ: ﴾

مَنْ يَنْتَهِي حِرْمَةُ بَيْتِ اللَّهِ عَجَلَ وَيَتَخَذُ مِنْهُ مَجْلِسًا لِلنَّفَاقِ وَإِثَارَةِ الْخُوفِ وَبِثَّ الذَّعْرِ فِي صَفَوْفِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَقُولُ بِعَمَلِ مَتَصَدِّعِ الْأَرْكَانِ، سُرْعَانُ مَا يَنْهَارُ أَمَامَ قُوَّةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، وَمَصِيرُهُ الْخَرَقُ فِي الْحَيَاةِ الْدُنْيَا بِأَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَجَلَ مِنْ يَكْشِفُ نَوَايَاهُ السَّيِّئَةِ، وَالْعَذَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهَذِهِ هُوَ مَصِيرُ الظَّالِمِينَ.

﴿ كَلْمَةُ حَقٍّ أُرِيدُ بِهَا بَاطِلًا: ﴾

حِيثُ إِنَّ الْمُعْتَدِرَ فِي الشَّيْءِ هُوَ أَصْلُ تَأْسِيسِهِ، فَالْمَسْجَدُ الَّذِي أَنْشَئَ عَلَى بَاطِلٍ يَبْقَى مُنْشَأً عَلَى بَاطِلٍ، وَمَا أَنْشَئَ عَلَى حَقٍّ يَبْقَى مُنْشَأً عَلَى حَقٍّ، نَجَدَ الْيَوْمَ بَعْضُ الْقَوْنَاتِ التَّلَفِيَّوِيَّةِ وَكِيفِيَّةِ تَضْلِيلِهِمْ بِإِعْلَامِهِمُ الْمُزِيفِ، وَيُسْحِرُونَ النَّاسَ وَيُحَلِّفُونَ أَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا إِلَّا الإِصْلَاحَ وَيُسْتَعِينُونَ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ بِعِلَمَاءِ السَّلَطَانِيِّينَ الْفَاسِدِينَ الْمُضَلِّلِينَ الَّذِينَ يُسْتَخْدِمُونَ كَأْبُوَاقَ فَتَنَةِ وَضَلَالٍ، وَهَذَا حَدَثَ قَدِيمًا، وَيَحْدُثُ الْيَوْمَ فِي ظُلُمِ الْأَنْظَمَةِ وَالْحُكُومَاتِ الْهَارِبَةِ عَنْ دِينِ اللَّهِ عَجَلَ.

(1) يُنَظَّرُ: القرآن منهاج حياة ص: 668.

﴿الحزب والتفرق﴾:

نرى في يومنا المعاصر كيف تكثر الأحزاب والملل والنحل والطوائف المفرقة بين جماعة المؤمنين، فنحن نلمس جلياً كيف تخرج كل يوم جماعات وفئات جديدة، تحمل شعارات مختلفة، والهدف الحقيقي منها ليس للإسلام ولا لإعلاء كلمة الحق، إنما الهدف الأساس والنوايا الخفية منها هي تفريق المسلمين وتشتيت كلمتهم، وهذا كله من الدوافع التي تعمل على تعجيل هزيمتهم أمام أعدائهم، وذلك مخالف تماماً للأسباب التي أنشئت عليها.

المطلب الثاني

مسجد التقوى (قباء)

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا نَقْمَدُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أَسْسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أُولَئِيَّوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظَهُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبية: 108].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين الله تعالى للرسول محمد ﷺ الأهداف التي من أجلها بُني مسجد الضرار، والذي قام ببنائه المنافقون جاء في هذه الآية ليؤكد له عدم الصلاة فيه أبداً، والأمة تبع له في ذلك، ثم بين الله تعالى أي المسجدين أحق بالقيام فيه فتح النبي ﷺ على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني فيه على التقوى.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

نزلت الآية الكريمة في أهل قباء كانوا يستجرون بالماء⁽²⁾، ورد حديث عن أبي هريرة رض، عن النبي ﷺ، قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء ففيه رجال يحبون أن ينطهروا والله يحب المطهرين".⁽³⁾

موقف الرسول ﷺ عند نزول الآية الكريمة أنه ذهب لأهل قباء فقال: إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في التطهير مما تصنعون؟ قالوا: يا رسول الله إنما رأينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستجاء بالماء ففعلنا ذلك، فلما جاء الإسلام لم ندعه.⁽⁴⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

لَا نَقْمَدُ فِيهِ: لأن المنافقين سألوا الرسول ﷺ أن يصلى ويتبعده فيه، وقيل لا تأته، ولا تدخله.⁽⁵⁾

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه / 469، وتفسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الوهاب ص: 159.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير / 4، 213، والمحرر في أسباب نزول القرآن، خالد بن سليمان المزني / 1، 604.

(3) سنن الترمذى / 5، 280، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبية، حديث رقم: 3100، [حكم الألبانى: صحيح].

(4) ينظر: تفسير القرطبي / 8، 259-260، والجواهر الحسان / 3، 215، والبحر المديد / 2، 429، وأنوار التنزيل / 3، 98، والبحر المحيط / 5، 505، والكشف والبيان / 5، 94.

(5) ينظر: تأویلات أهل السنة / 5، 479، والجديد في شرح كتاب التوحيد، القرعاوى ص: 111، وبحر العلوم / 2، 88، التحرير والتؤير / 11، 30.

أَسِسَ : التأسيس هو وضع الأساس للبناء ليقوم عليه ويرفع.⁽¹⁾

لَمْسِجِدُ أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى : فيه قولان، هما:

أ. "مسجد قباء، أسسه رسول الله ﷺ أيام مقامه بقباء".⁽²⁾

ب. "مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة".⁽³⁾

الراجح: أن المسجد المقصود في الآية هو مسجد قباء، وذلك لما ورد في تفسير الشوكاني حيث إنه قال في كتابه: "اختلف العلماء في المسجد الذي أسس على التقوى، فقالت طائفة: هو مسجد قباء كما روي عن ابن عباس والضحاك والحسن والشعبي وغيرهم، وذهب آخرون إلى أنه مسجد النبي ﷺ، والأول أرجح".⁽⁴⁾

هذا الرأي ما تميل إليه الباحثة وترتضيه؛ لأن سياق الآية السابقة تتحدث عن ذكر مسجد ضرار، والذي بني بسبب تواجد المسلمين في مسجد قباء، ولتفريق وحدة المسلمين فأثني الله تعالى في سياق هذه الآية الكريمة ومدح مسجد قباء وأهله.

يَنْظَهُمُوا: فيها أربعة أقوال، هي:

أ. المقصود بالتطهر الإيمان، والتوحيد، والصلة فيه.

ب. أن فيه رجال يؤثرون التطهر بالتقى والأعمال الصالحة على غيرها من الأعمال التي تجسهم.⁽⁵⁾

ج. يحتمل التطهير من الأقدار والأنجاس؛ كأنه قال: فيه رجال يؤثرون الإبلاغ في التطهر من الأقدار والأنجاس التي تصيبهم، وهو عام في التطهر من النجاسات كلها.⁽⁶⁾

د. أن الطهارة التي ذكرها الله تعالى المقصود بها هو طهارتهم سرًا وعلانية والطاعة له.⁽⁷⁾

(1) ينظر: التفسير الوسيط 6/404، والتفسير الواضح 2/15.

(2) جامع البيان 11/681، ومعاني القرآن وإعرابه 2/469، والتفسير الوسيط 6/404، والموسوعة القرآنية 10/40.

(3) تأويالت أهل السنة 5/479-480، والموسوعة القرآنية 10/40.

(4) فتح القدير 2/459.

(5) ينظر: تأويالت أهل السنة 5/482.

(6) ينظر: الكشاف 2/311، ومعاني القرآن وإعرابه 2/469، والتفسير الوسيط 6/404.

(7) ينظر: تفسير التستري، أبو محمد التستري ص: 74.

الراجح: ما تميل إليه الباحثة وترتضيه أن **يَنْطَهِرُوا** تعني يتنزهون من الأحداث والأنجاس الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث، والمعنوية كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة.⁽¹⁾

2. الإعراب:

جملة قوله تعالى: **لَا نَفِقَّمُ فِيهِ أَبَدًا** خبر عن اسم الموصول الدين.⁽²⁾

لَمْسِيْجِدُ: اللام لابتداء ومسجد مبتدأ.

جملة **أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى** "صفة لـ (مسجد)".⁽³⁾

فِيهِ رِجَالٌ: فيه ثلاثة أوجه:

أ. صفة لمسجد جاءت بعد الخبر.

ب. أن الجملة حال من الهاء في **فِيهِ** الأولى، والعامل فيه (تقوم).⁽⁴⁾

ج. هي مستأنفة.⁽⁵⁾

جملة: **لَمْسِيْجِدُ أَسِسَ** لا محل لها من الإعراب، وهي جملة تعليقية.

جملة: **يُحِبُّونَ** "في محل رفع صفة لرجال".⁽⁶⁾

جملة: **أَنْ يَنْطَهِرُوا** أن وما في حيزها مفعول يحبون أي يحبون الطهارة من الذنوب والحوبات والمعاصي وقيل من الذنوب طهارة الباطن ومن الأحداث طهارة الظاهر.⁽⁷⁾

وجملة: **يُحِبُّ** "في محل رفع خبر المبتدأ (الله)".⁽⁸⁾

3. الجوانب البلاغية:

قال تعالى: **لَا حُقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ** فيها فن الترويد، وفن الترويد هو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعینها، ويعلّقها بمعنى آخر، وكل من المعنّيين مناسبة

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6 / 404، تيسير الكريم الرحمن ص: 352.

(2) ينظر: التحرير والتقوير 11 / 30.

(3) إعراب القرآن وبيانه 4 / 174، والتبيان 2 / 660، والجدول 11 / 34.

(4) ينظر: البحر المحيط 5 / 505.

(5) التبيان 2 / 660، والبحر المحيط 5 / 505.

(6) الجدول 11 / 34، وإعراب القرآن وبيانه 4 / 174.

(7) إعراب القرآن وبيانه 4 / 174.

(8) إعراب القرآن الدعايس 2 / 8.

اقتضت ذلك المعنى، قوله الذي نحن بصدده، فإنَّ **﴿فيه﴾** الأولى متعلقة بـ **﴿تَقْوَمَ﴾**، و**﴿فيه﴾** الثانية خبر مقدم، وكل منها معنى.⁽¹⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

نهى الله **ﷺ** نبيه محمدًا **ﷺ** في هذه الآية عن الصلاة في مسجد الضرار الذي أسس أول ما أسس على المقاصد الخبيثة السيئة، من تفريق بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله **ﷺ** ورسوله **ﷺ**، ثم أمر الله **ﷺ** الرسول **ﷺ** بالصلاحة في المسجد الذي أسس وبنى من أول يوم على طاعة الله **ﷻ** **ﷺ** ورسوله وأقيم على التوحيد والذي قام ببنائه المتقون، ثم أثني **ﷺ** على أهل هذا المسجد، وذكر أنهم يحرصون على الطهارة والنظافة من المعاصي وهذه سمة العابدين، ويتطهرون عن الشهوات والأمانى وتلك صفة الزاهدين، ويتطهرون عن محبة المخلوقين، ثم عن شهود أنفسهم بما يتصرفون وتلك صفة العارفين، ثم بين **ﷺ** أنه يحب المتطهرين من القاذرات والنجاسات، والمتزهدين عن أوضار الشرك وأرجاسه، ومعنى محبة الله **ﷻ** إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه.⁽²⁾

تكمن مكانة مسجد قباء عند المسلمين ما ذكر في الحديث النبوى الشريف عن **أبي عبد الله** **رض** **طهير الأنصارى**، و**كان من أصحاب النبي ﷺ**، يُحَدِّثُ عن النبي **ﷺ**، **أنَّه قال: "صَلَةٌ فِي مَسْجِدٍ قُبَّاءٍ كَعْمَرَةٍ"**.⁽³⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ بَيَانُ أَنَّ الْمَسْجِدَ مِنْ أَهْمَ الرَّكَائِزِ فِي بَنَاءِ الْمَجَمِعِ ﴾

إقامة المساجد من أهم الركائز في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك، بالالتزام نظام الإسلام وعقيدته وأدابه، وينبع ذلك من روح المسجد ووحيه، ولا يضاره أحد، ما دام حافظاً لقادسته ومؤدياً حق حرمته، وهو قد أنشئ ليكون جامعة للعلوم والمعارف الكونية والعلقانية والتزيلية، التي حث القرآن الكريم على النظر فيها، ولن يكون مدرسة يتدارس فيها المؤمنون أفكارهم وثمرات عقولهم، وليجد فيه الغريب مأوى،

(1) ينظر: الجدول 35/11.

(2) ينظر: جامع البيان 11/681، والكتاف 2/311، ولطائف الإشارات 2/62، والجديد في شرح كتاب التوحيد ص: 111-112، ومدارك التنزيل 1/710.

(3) سنن ابن ماجه 1/453، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، حديث رقم: 1411، [حكم الألباني: صحيح]

وابن السبيل مستقرًا لا تقدره منة أحد عليه فينهل من رفده ويعب من هدایته ما أطاق استعداده النفسي والعقلي، لا يصده أحد عن علم أو معرفة أو لون من ألوان الهدایة، فكم من قائد تخرج فيه، وبرزت بطولته بين جرائه، وكم من عالم استبحر علمه في رحابه، ثم خرج به على الناس يروي ظمأهم للمعرفة، وكم من داعٍ إلى الله يَعْلَمُ تلقى في ساحاته دروس الدعوة إلى الله فكان أسوة الدعوة، وقدوة الهدایة، وريحانة جذب القلوب شذاها فأخذت عنها الهدایة لستضيء بأنوارها، وهي قلعة لاجتماع المجاهدين إذا استقرروا، تعقد فيه ألوية الجهاد، والدعوة إلى الله وتتحقق فيه فوق رؤوس الرايات للتوجه إلى موقع الأحداث.⁽¹⁾

﴿ توضيح أثر المسجد على المجتمع: ﴾

الحقيقة أنه ما من مكان في الأرض يستطيع تحقيق ما يحققه المسجد من توحيد في الكلمة والجهود والقضاء على العصبيات إذا وجد من يحسن الاستفادة منه من الناحية الإعلامية، التربوية، الجهادية، والتعليمية، والحرص على عدم ريادة المساجد التي هدفها نشر الفتن والتفرق بين شباب المسلمين، وأيضاً عدم متابعة قنوات الفسق والفن، التي تهدف إلى تدمير عقلية الشباب المسلم، والقنوات الإعلامية التي تنشر الأخبار والأكاذيب لتضليل المسلمين.

﴿ بيان خطر المنافقين: ﴾

يجب علينا كمتعلمين التوضيح والبيان للعامة من الناس أفعال بعض المنافقين والذين ينادون بألفاظ برأفة لخداع الناس والأمة الإسلامية ووجوب الحذر منهم، والعدو الصهيوني نراه اليوم يقوم باستغلال اختلاف العرب فيما بينهم لزيادة الحقد في قلوبهم والتفرقة بينهم، وهذا حال اليهود أنهم يدخلون من الثغرات للنيل من المسلمين والعرب كافة وليس فلسطين فقط.

﴿ حرص الإسلام على النظافة: ﴾

اعتنى ديننا الإسلامي الحنيف بنظافة الإنسان وصحة جسمه، وحرص أشد الحرص على النظافة بشكل عام وبين فضليها، وهذا ما نجده في السنة النبوية؛ والقرآن الكريم، والله يَعْلَمُ يحب من كانت النظافة صفةً له، ولا توجد أمة أشد حرصاً على نظافتها من أمة سيدنا محمد ﷺ، فالإسلام حض أتباعه على النظافة وأمر بها بشكل عام، والمساجد هي البيوت المعدّة لأداء الصلاة، والمعدّة لقاء المسلمين، فيها يُتلى كتاب الله ﷺ، ويُدرس حديث الرسول ﷺ، وفيها يُنفَّذ بالدين، لذلك كانت العناية بالمساجد مؤكّدةً أكثر من غيرها، فكما أن على الإنسان أن ينفّذ بيته، فيجب أن يحرص على طهارة بيت الله ﷺ من أن يصيّبه أذى، أو أن يلحق به شيء خاصّة الأمراض التي يمكن أن تجتمع في الأماكن العامة، من أجل ذلك نجد كثيراً من

(1) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصَّلَابِي ص: 306 – 307.

الوصايا النبوية التي تحرص على نظافة المسجد بشكل عام، فالعنابة بالمساجد مما أمر به النبي ﷺ حتى أنه نهانا عن أمر قد يعده بعض الناس يسيراً، ألا وهو البصاق في المسجد، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: "البصاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَارَتُهَا دَفْنُهَا".⁽¹⁾

إن الإسلام هو دين النظافة بأوسع معانيها، نظافة العقيدة من الخرافات، والأخلاق من الرذائل والمنكرات، نظافة اللسان من الفحش والكفر والشتم، نظافة الجسد والثياب من الأوساخ، نظافة المسجد والطريق والبيت، نظافة سائر الجوانب التي يستخدمها الإنسان في حياته؛ حتى يبدو المسلم كأنه رمز بين الناس، فالنظافة والتطهير والتجمل أنس لا بد منها لكل مسلم.

(1) سنن النسائي 2/ 50، كتاب: المساجد، باب: البصاق في المسجد، حديث رقم: 723، [حكم الألباني: صحيح].

المطلب الثالث

موقف الرسول ﷺ من مسجد الضرار، ورد فعل المنافقين

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ كَالَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَى شَفَّا جُرْفٍ هَارِ فَأَنْهَارَ بِهِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ أَلْظَلَمِينَ﴾ [التوبه: 109-110].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

ضرب الله ﷺ المثل للمنافقين وأعمالهم والهدف الذي بني لأجله مسجد الضرار، وبعد ذلك وضح مكانة المؤمنين وأعمالهم المؤسسة على الأساس المكين بطريق الإيجاز المحكم، مكانة مسجد قباء واضح، وقارن الله ﷺ في هذه الآية بين الأهداف ببناء المسجدين.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

شَفَّا: الطرف الدقيق وراء الهاوية أو الحافة.

جُرْفٌ: المكان المرتفع الرخو من تأكل السيول، وهو جانب الوادي أو البئر، والذي لا يثبت عليه البناء لرخاوته، وأكل الماء له، أو الرياح.

هَارِ: الضعيف المتتصدع المائل والمشرف على السقوط والانهيار.⁽²⁾

فَأَنْهَارَ بِهِ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ: تأتي بمعنىين، هما:

أ. "خسف الله ﷺ مسجدهم في نار جهنم.

ب. لأنه خر من قواعده في نار جهنم، وقال ابن مسعود: حفرت فيه بقعة فرؤى منها دخان

سطع".⁽³⁾

(1) ينظر: التفسير الواضح 2/18، والتفسير المنير 11/46.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/171 - 172، والتفسير الحديث 9/532، والتفسير المنير 11/40، ولباب التأویل 2/408، وخصائص التعبير القرآني، المطعني 1/470، وتأویلات أهل السنة 5/484.

(3) تأویلات أهل السنة 5/484.

رِبَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ : أي شك وحيرة وغبطة في نفوسهم⁽¹⁾، والريبة فيها عدة وجوه، هي:

أ. أن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار، فلما أمر الرسول ﷺ بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتياهم في نبوته.

ب. أن الرسول ﷺ لما أمر بتخريب ذلك المسجد ظنوا أنه إنما أمر بتخريبه لأجل الحسد، فارتفع أمانهم عنه وعظم خوفهم منه في كل الأوقات، وصاروا مرتابين في أنه هل يتركهم على ما هم فيه أو يأمر بقتلهم ويأخذ أموالهم؟

ج. أنهم اعتقدوا أنهم كانوا محسنين في بناء ذلك المسجد، فلما أمر الرسول ﷺ بتخريبه بقوا شاكين مرتابين في أنه لأي سبب أمر بتخريبه؟

د. بقوا شاكين مرتابين في أن الله ﷺ هل سيعذر لهم بسبب سعيهم في بناء مسجد الضرار.⁽²⁾

الراجح: هو القول الأول وذلك لأنه ينطبق على حالهم الذي كانوا فيه، وأنهم ازدادت مكائدتهم لل المسلمين بسبب أمر الرسول ﷺ بهدم مسجدهم.

إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ : فيها ثلاثة أوجه:

أ. تُفصل من صدورهم وتتفرق قلوبهم أجزاء فيموتوا.⁽³⁾

ب. قال بعضهم: إلا أن يتوبوا توبة تقطع بها قلوبهم ندماً وأسفًا على تقريرهم.⁽⁴⁾

ج. إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم.⁽⁵⁾

2. الإعراب:

جملة قوله تعالى: **﴿عَلَى تَقْوَى﴾** يجوز أن تكون في موضع الحال من الضمير (أسس)؛ أي: على قصد النقوى؛ والتقدير: قاصداً ببنيانه النقوى، ويجوز أن يكون مفعولاً لأسس.

﴿فَأَنْهَارَ بِهِ﴾ به هنا حال؛ أي: فانهار وهو معه.⁽⁶⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14/495-497، والتفسير الواضح 2/15، والتفسير الحديث 9/532، وأيضاً القاسير 2/424، والتفسير المنير 11/40، وتأويلات أهل السنة 5/484.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب 16/149.

(3) ينظر: جامع البيان 14/495-497، والتفسير الحديث 9/532، وأيضاً التفسير 2/424، والتفسير المنير 11/40، والنكت والعيون 2/405، وتأويلات أهل السنة 5/484.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/471، والنكت والعيون 2/405.

(5) النكت والعيون 2/405.

(6) ينظر: التبيان 2/661، إعراب القرآن، النحاس 2/135.

جملة قوله تعالى: **وَاللَّهُ لَا يَهِي أَقْوَمُ الظَّالِمِينَ** في محل رفع خبر المبتدأ (الله).⁽¹⁾

قال تعالى: **إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ** "استثناء من أعم الأزمنة فالمستثنى منه على هذا محفوظ أي لا يزال بنائهم ريبة في كل وقت من الأوقات إلا وقت تقطيع قلوبهم وأن مصدرية وتقطع أصلها تقطع منصوب بها، و**قُلُوبُهُمْ** فاعل (الله) مبتدأ و**عَلِيمٌ حَكِيمٌ** خبره".⁽²⁾

قوله تعالى: **وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** لا محل لها من الإعراب، وهي جملة استثنافية.⁽³⁾

3. الجواب البلاعية:

أ. قال تعالى: **أَفَمَنْ أَسَسَ بُيْكَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ** فيها استعارة مكنية حيث شبهت فيه التقوى والرضوان بأرض صلبة، وبقواعد البناء، تشبيهاً مضمراً في النفس، ثم حذف المشبه به ودل عليه ما هو من لوازمه، وهو التأسيس والبنيان، والاستفهام معناه التقرير.⁽⁴⁾

ب. قال تعالى: **فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ** استعارة تمثيلية في انهيار البناء القائم على شفا جرف هار، حيث إنه شبه عدم القيام بأمور الدين بمن بنى بنائه على شفا جرف فهو يسقط به فالمشبه به البناء على محل آيل للسقوط والمشبه هو ترتيب أحكام الدين وأعماله على الكفر والنفاق.⁽⁵⁾

ج. قوله تعالى: **شَفَّا مُجْرُفٍ** وضع في مقابلة قوله تعالى: **تَقْوَىٰ** وجعل مجازاً عما ينافي التقوى، حيث إنه لما **جُعِلَ الْجُرْفُ الْهَائِرُ مجازاً** عن الباطل قال تعالى: **فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ** على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم، إلا أنه رشح المجاز، فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليسور أن الباطل كأنه أسس بنائه على شفا جرف هار من أودية جهنم فهو به ذلك **الْجُرْفُ** فهو في مقرها⁽⁶⁾، والمجازان يثيران في العقل أروع الفكر، لمن يتذمّر قول الله تعالى، ويحاول أن يتعرف بعض أسرار الذكر الحكيم.⁽⁷⁾

د. قوله تعالى: **هَارِ فَأَنْهَارَ** بينهما جناس ناقص.⁽⁸⁾

(1) ينظر: الجدول 11/36، إعراب القرآن، الدعاش 2/8، إعراب القرآن وبيانه 4/175.

(2) إعراب القرآن وبيانه 4/175.

(3) ينظر: الجدول 11/38.

(4) ينظر: التفسير المنير 11/39، والجدول 11/37، والتحرير والتوير 11/34، وزهرة التفاسير 7/3448.

(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/176، والتفسير المنير 11/40، والتحرير والتوير 11/34.

(6) ينظر: خصائص التعبير القرآني 1/470.

(7) زهرة التفاسير 7/3448.

(8) ينظر: التفسير المنير 11/39، وصفوة التفاسير 1/563.

4. القراءات:

أ. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنَيْكَنَهُ﴾ اختلف القراء فيها على النحو الآتي:

أولاً: قرأ نافع وابن عامر الشامي، بضم الهمزة، وكسر العين على البناء للمفعول، و﴿بُنَيْكَنَهُ﴾ بالرفع نائب فاعل.

ثانياً: قرأت عامة قراء الحجاز، والعرق بفتح الهمزة والسين فيما على البناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود على (من)، و﴿بُنَيْكَنَهُ﴾ بالنصب مفعول به.

وهما قراءتان متفقتان في المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب.⁽¹⁾

ب. قوله تعالى: ﴿جُرْفٌ﴾ فيها قراءتان، وهما:

أولاً: قرأ جماعة، منهم: حمزة، وابن عامر، وأبو بكر، بإسكان الراء (جُرف).

ثانياً: قرأ باقي السبعة بضم الراء.⁽²⁾

ج. قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبَهُمْ﴾ تقطع: قرئت بستة أوجه، وسأكتفي بذكر المشهور:

أولاً: بفتح التاء، "على أن الفعل للقلوب، بمعنى: إلا أن تقطع قلوبهم، ثم حذفت إحدى التاءين، وهذا يدل على أنهم يموتون على النفاق، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من الكفر، وهي قراءة ابن عامر، وحمزة، ومحض، وحفص".⁽³⁾

ثانياً: بضم التاء، مضارع (قطع)، مبنياً للمفعول، على أنه لم يسمَّ فاعله، وبمعنى: إلا أن يقطع الله قلوبهم، وهي قراءة باقي السبعة.⁽⁴⁾

قال أبو جعفر: "والقول عندي في ذلك أن الفتح في التاء والضم متقارباً المعنى، لأن القلوب لا تقطع إلا تقطعت، إلا بقطع الله إياها، ولا يقطعها الله إلا وهي مقطعة، وهو قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب الصواب في

(1) ينظر: معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محسن 1/152، وجامع البيان 14/490-491، والكشف 2/312، والبحر المحيط 5/505، والكشف والبيان 5/95.

(2) ينظر: الكشف والبيان 5/95، ومفاتيح الغيب 16/149، والموسوعة القرآنية 5/297، وتفسير البغوي 2/390، الكشف 2/312، والتحرير والتتوير 11/35.

(3) وجامع البيان 14/497، والموسوعة القرآنية 5/297.

(4) ينظر: الكشف 2/312، الموسوعة القرآنية 5/298، والكشف والبيان 5/96، أنوار التنزيل 3/98.

قراءته، وأما قراءة ذلك: (إِلَى أَنْ تَقْطُعَ)، فقراءة لمحات المسلمين مخالفٌ، ولا أرى القراءة بخلاف ما في مصاحفهم جائزةً.⁽¹⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

ابتدأت الآيات بالإستفهام التقريري من الله عَزَّلَ لعيده أي هذين الفريقين خير؟ وأي هذين البناءين أثبت؟ ثم وضح أن بين الفريقين بوناً كبيراً، والآية تعرض المسجدين، مسجد قباء، ومسجد الضرار، في وضع يواجه فيه أحدهما الآخر، فيكشف ذلك عن مدى ما بينهما من تفاوت، هذا عذب فرات سائع شرابه، وهذا ملح أجاج، هذا طيب، أطيب الطيب، وهذا خبيث، أحبث الخبث، والضد إذا قرن بضدّه، زاد كل منهما في الصفة الغالبة عليه زيادة لا ترى إلا حيث ي مقابل مع ضده، فيزداد الحسن حسناً وروعة، ويزداد القبيح شناعة وقبحاً، وبالضد تتميز الأشياء.

يبين الله عَزَّلَ أنَّ من ابتدأ أساس بنائه على الخير وارضاه الله عَزَّلَ وطاعته وتوحيده، وعلم منه يكون بناؤه الله عَزَّلَ طاعة، والله عَزَّلَ به راضٍ، وهي القاعدة القوية المحكمة، وهي الحق وهذه الفرقة خَيْرٌ من الذين أقاموا أساسهم وبنائهم على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهي النفاق والضلال، وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه، فهو لا يدرى متى يتبيّن له خطأ فعله وعظيم ذنبه، فيهدهم، كما يأتي البناء على جرف ركيٌّ لا حابس لماء السيول عنها ولغierre من المياه، ثُرٌّ التراب متاثرة لا ثُلٌّ السيول أن تهدمه وتترثه؟ ويقول الله عَزَّلَ انتشر الجرف الهاري ببنائه في نار جهنم، وإن الله عَزَّلَ لا يوفق للرشاد في أفعاله، من كان بانياً بناءه في غير حقه وموضعه، ومن كان منافقاً مخالفًا بفعله أمر الله عَزَّلَ وأمر رسوله ﷺ، ولا يرشدهم إلى دينه، وهم الذين كفروا في السر، ولا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وشكراً ونفاقاً في قلوبهم، بل زاد على شکهم ونفاقهم، ولا يزول وسمه ولا يض محل عن قلوبهم إلا أنْ تقطع قلوبُهم وتتصدع، وتتفرق أجزاءً، فيموتوا والله عَزَّلَ عليهم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار، من شکهم في دينهم، وما قصدوا في بنائه وأرادوه، وما إليه صائر أمرهم في الآخرة، وفي الحياة ما عاشوا، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم.

ختم الله عَزَّلَ الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي يعلم كل شيء ما خفي وما ظهر، ما أسرته القلوب، وما جهرت به الألسنة، والله حكيم في تدبیره إِيَّاهُ، وتدبیر جميع خلقه، وحكيم بهدم مسجدهم، وحكيم بوضع الأمور في مواضعها، ويقدر فيكم تقدیره.⁽²⁾

(1) جامع البيان /14/ 498.

(2) ينظر: جامع البيان /14/ 492-495، والتفسير القرآني للقرآن /6/ 897، وبحر العلوم /2/ 89، والكشف والبيان /5/ 95-96، والكتاف /2/ 312-313، ومفاتيح الغيب /16/ 149، وفتح القدير /2/ 459.

يقول ابن عطية في تفسيره : "إن هذه الآية أمر يعم الغيط والحقن ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام، فمقصد الكلام لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يبقي في قلوبهم حزارة وأنثر سوء".⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآية إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ تأسيس البنيان على التقوى: ﴾

بيان الأسس على التقوى يشتمل على:

1. النشأة الطيبة والإسلامية للأسرة: إن الأسر التي تقوم على تربية أبنائها على مخافة الله عَزَّلَهُ، وعلى الهدي بسنة الحبيب محمد ﷺ، وعلى الدين الإسلامي تحظى بالأمن والسلام.
2. سلامة المناهج التربوية القائمة على أسس إسلامية صحيحة هادفة تسعى إلى خلق مواطن صالح يرتقي بالمجتمع، وبعض من المناهج التي تدرس اليوم من في مدارسنا بعيدة كل البعد عن الإسلام وتعاليمه، وخير دليل على ذلك مادة حقوق الإنسان التي تطالب بالحقوق الدنيا المادية، ولا تشبع الحاجات الروحانية والدينية للطلاب، فهذا يؤثر على نشأة الطلاب ومعتقداتهم، والذين قاموا بفرض مثل هذا المنهاج هدفهم الأساس تضليل الجيل الناشئ والذي يعتبر الركيزة الأساسية لأنهم الجيل الصاعد والواحد.
3. القوانين الوضعية والدساتير الأرضية القائمة على الظلم والجور والمحاباة والطبقات الاجتماعية التي تؤدي إلى الفساد الاجتماعي المجتماعي، فهي تكتب وتوضع لمصالح شخصية، ولا تراعي جميع طبقات المجتمع، وهذا بخلاف القوانين الإلهية التي وضعت لتناسب جميع الفئات والأعمار دون تمييز أو تفريق، ولذلك يجب أن يكون الدستور والقوانين على أساس الشريعة والمرجعية الإسلامية.
4. الانحطاط الأخلاقي عند الغرب ونظام الحرية المطلقة وانتشار الفاحشة والرذيلة الذي يؤدي إلى فساد المجتمعات وتخالط الأنساب وكثرة الأمراض والأوبئة، وكثرة الجرائم من قتل وسرقة وغيرها، مما ينشر عدم الأمن والاستقرار في المجتمع؛ لأنه لا يوجد حاضنة كالمسجد يرعى ويربي الأجيال على القيم والأخلاق الفضيلة.

(1) المحرر الوجيز / 3 .86

5. المؤسسات الإعلامية الموجهة توجيهًا تربويًا اجتماعيًّا هدفًا يجب على المسلمين دعمها ومساعدتها ونشر ما أمكن فيها من برامج لوعية المسلمين، ودحض الشبهات والمطاعن التي يقوم بدسها أعداء الإسلام من حين إلى آخر لتشويه سمعة المسلمين.

﴿بيان سنة الله عَزَّلَكَ في الأمَّ﴾

الله عَزَّلَكَ يقضي على الفساد ويقطعه من جذوره، وهذا لم يقتصر على القصص السابقة من الأمم الماضية بل شمل ما حصل في زمن الرسول ﷺ، وأيضاً ما يحدث اليوم فكل ظالم نهاية، قال تعالى: ﴿وَتِلَكَ الْقَرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 59]، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحْلُّ فِي بَأْمَنِ دَارِهِمْ حَسَنَ يَأْتِي وَعَدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِيَادَ﴾ [الرعد: 31]، ومن حكمته سبحانه جعل المصائب والكوارث سبباً للاتعاظ والتنكر والرجوع إليه، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21]، فمن الناس من يرجع إلى الله عَزَّلَكَ بسبب هذه الأزمة، وكثير حُقْ عليه العذاب بسبب طغيانه وفساده، لا يتوب ولا يُؤوب.

﴿استحباب الصلاة في المساجد﴾

تلك المساجد التي أسست من أول بنائها على عبادة الله عَزَّلَكَ وحده لا شريك له، واستحباب الصلاة مع الجماعة الصالحة، والعباد العاملين المحافظين الصالحين⁽¹⁾، وفي ذلك بيان لمكانة مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس، لأنها من الأماكن التي يجب شد الرحال إليها، مصداقاً لقول أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لَا تُشَدُ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدٍ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى" ⁽²⁾، وهذا مما يجب على المسلمين الانتباه إليه والعمل بجد للمحافظة على تلك المدن لما لها من القدسية في نفوس المسلمين وعقيدتهم.

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم 6/408.

(2) صحيح البخاري 2/60، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: 1189.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي

والعشرين في سورة التوبة، الآيات (111-129)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف من الآية (111-119).

الولاء والبراء

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف من الآية (120-123).

الجهاد في سبيل الله

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف من الآية (124-129).

نزول القرآن على أمين الأنام

المبحث الأول

المقصود والأهداف لسورة التوبه من الآية

(111-119) الولاء والبراء

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صفات المؤمنين الصادقين.

المطلب الثاني: الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين.

المطلب الثالث: شروط المؤاخذة (العقاب) على الذنب.

المطلب الرابع: التوبه العامة وشروطها.

المطلب الخامس: التوبه الخاصة على الثلاثة الذين خالفوا
عن غزوة تبوك.

المطلب الأول

صفات المؤمنين الصادقين

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفَسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَيْنَهُ حَقًّا فِي الْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْتَبِّهُرُوا بِيَبْعِيْكُمُ الَّذِي بَأَيَّعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾١١١﴿ الْمُتَّبِّهُونَ الْمُكَبِّدُونَ الْمُحْمَدُونَ الْمُتَّهِّرُونَ الْرَّكِعُونَ الْمُسَجِّدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَأْمُونُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمَحْفُظُونَ الْمُدُودُوُاللَّهُوَشِرِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾١١٢﴾ [التوبية: 111-112].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن وضَّحَ الله تعالى فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، والمتبطئين عن الجهاد، وبينَ أصناف المقصرين من المؤمنين، فلما تَمَّ ذلك الشرح والبيان وذَكَرَ أقسامهم، وذَكَرَ ما كان لائقاً بكلِّ قسم، ووضَّحَ حال المؤمنين الصادقين، والمجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى. ⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذَكَرَ محمد بن كعب القرظي في سبب نزول الآية : لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة - العقبة الكبُرَى - وهم سبعون نفساً، وكان أصغرهم سناً عقبة بن عمرو، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: "اشترط لربِّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم"، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: "الجنة". قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت هذه الآية". ⁽²⁾

• موقف بعض الصحابة والتابعين بعد نزول الآية الكريمة:

- "عَنْ عَمْرٍو قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَأَيَّعَكَ وَجَعَلَ الصَّفَقَتَيْنِ لَكَ".
- عَنْ بَعْضِ النَّابِعِينَ: مَجَاهِدُ الْحَسْنِ وَمَقَاوِلُهُمْ قَالُوا: ثَمَنٌ فَأَغْلَى فِي التَّمَنِ، وَبَأَيَّعَ فَأَغْلَى فِي الْعِوَضِ، عَنْ الْحَسْنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاكَ الدُّنْيَا فَاشْتَرِ الْجَنَّةَ بِعَضْهَا مِنَ اللَّهِ. ⁽³⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب/16/ 150، وفتح البيان/5/ 403، وفتح القدير/2/ 463، وغرائب القرآن/3/ 533 والتقسير المنير/11/ 52، وزهرة التفاسير/7/ 3450، والتحرير والتوير/11/ 37، وصفوة التفاسير/1/ 563.

(2) ينظر: أسباب النزول ص: 260، وجامع البيان/14/ 499، وتقسير القرطبي/8/ 267، ومفاتيح الغيب/16/ 150، وتقسير ابن كثير/4/ 218، والكشاف/2/ 313، ونظارات في كتاب الله ص: 332.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب/16/ 150، وتقسير السمعاني/2/ 351، وغرائب القرآن/3/ 533 – 534.

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنْ نَزَّلَتِ فِي حَادِثَةِ خَاصَّةٍ وَلَكِنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَعْلَمُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالْعُبْرَةُ بِعُمُومِ الْفَظْلِ لَا بِخُصُوصِ السَّبْبِ.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

أَشَرَّئِي مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفَسَهُمْ: المقصود بالاشتاء هو الجهاد.⁽¹⁾

وَأَمْوَالَهُمْ: يحتمل وجهين:

أ. تفقاتهم في الجهاد.

ب. صدقاتهم على الفقراء.⁽²⁾

الْكَافِرُونَ: يعني المؤمنين المذكورين، التائبين من الشرك والنفاق والمعاصي.

الْعَكِيدُونَ: الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة، والمطيعون لله يعْلَمُونَ في تذلل وخشوع مع حبهم لله يعْلَمُونَ وتعظيمهم له.

السَّتِّيحُونَ: فيها أقوال:

أ. أنهم الصائمون، قال سفيان بن عيينة: سمي الصائم سائحاً؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ الْمَطْعَمَ وَالْمَشْرَبَ والمنكح.

ب. أنهم المجاهدون في سبيل الله يعْلَمُونَ، عن أبي أمامة، أن رجلاً قال: يا رسول الله، أئذن لي في السياحة، قال النبي ﷺ: "إِنَّ سِيَاحَةَ أَمْتِي الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى".⁽³⁾

ج. أن السائرين: هم طلبة العلم.⁽⁴⁾

الراجح: ترجح الباحثة ما ذكر في بعض الكتب، وهو أن المقصود بالسائرين هم (المجاهدين)، وذلك بسبب أنك لو حملت هذا الوصف على الصيام فهو تجرد عن المادة لعدوته

(1) ينظر: زاد المسير /2 302

(2) النكت والعيون /2 406

(3) سنن أبي داود /3 5، كتاب: الجهاد، باب: في النهي عن السياحة، رقم الحديث 2486، [حكم الألباني: حسن]

(4) ينظر: جامع البيان /14 500، ومفاتيح الغيب /16 154، وأيسر التفاسير /2 428، والموسوعة القرآنية /10 41، والتفسير الحديث /9 537، وتبصير الكريم الرحمن ص: 353، والكشف والبيان /5 98، وتفسير البغوي .392/2

متعة الروح، ولأنه يعوق عن الشهوات واللذات، وإذا حملت على السياحة فهو تفكير في مظاهر الكون أنتج الشعور بجمال المكون وعظيم نعمته، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملائكة، وكلاهما حمد عميق وشكر فائق، ونعمات الله عزّل بعد ذلك أجزل.⁽¹⁾

وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ: وَتَأْتِي بِمَعْنَيَيْنِ، هَمَا:

أ. فرائض الله عزّل التي فرضها على عباده.

ب. سنن الله عزّل، ولكن حافظين لجميع أحكام الله عزّل، لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرون فيها.⁽²⁾

الراجح: ما تميل إليه الباحثة وترتضيه أنَّ من يكون حريصاً على تطبيق السنن فمن باب أولى بأنه يطبق الفرائض.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفَسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ﴾: جملة مستأنفة مسوقة لترغيب المؤمنين بالجهاد وذلك ببيان فضيلته وما يترتب على الاستشهاد في سبيل الله عزّل، وإن واسمها وجملة: ﴿أَشَرَّى﴾ خبرها.⁽³⁾

جملة ﴿يُقَنِّلُونَ﴾: حال من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بياناً للشراء، أو استئنافاً لبيان ما لأجله الشراء.⁽⁴⁾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ﴾ مصدر مؤكّد أي وعدهم بذلك وعداً، ﴿حَتَّا﴾ صفتة أخبر أن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت، وقوله: ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ حال من وعداً، والظرفية ظرفية الكتاب المكتوب، أي مكتوباً في التوراة والإنجيل والقرآن، وقد نأتي في التوراة متعلقان بمحذف صفة وعداً، ﴿وَالْإِنجِيلِ﴾ معطوف على التوراة ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ معطوف على ما قبله.⁽⁵⁾

(1) ينظر: نظرات في كتاب الله ص: 335، والنفسير المنير 11 / 54.

(2) ينظر: أيسر التفاسير 2 / 428، والنفسير المنير 11 / 52، وتأويلاً لأهل السنة 5 / 489 - 491.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4 / 178، والجدول 11 / 39-40، وإعراب القرآن، للدعاس 2 / 8.

(4) ينظر: البحر المدید 2 / 430، وإعراب القرآن وبيانه 4 / 178.

(5) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 2 / 135، والتبيان 2 / 661، والمجتبى 2 / 415، والتحرير والتوكير 11 / 39.

جملة: ﴿فَاسْتَبِشُرُوا﴾ في محل جزم جواب شرط مقدر أي إن بايعلم الله تعالى على الجنة فاستبشروا ببیعكم.⁽¹⁾

﴿الثَّبِيْرُونَ﴾: يصلح أن يكون رفعه على وجوه:

أ. أن يكون للمدح كأنه قال: هؤلاء التائدون، أو هم التائدون.

ب. أن يكون بدل من واو **فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ**، المعنى: يقاتل التائدون، وهذا مذهب أهل اللغة.

ج. خبر لمبتدأ محذف تقديره: هم التائدون، وما بعده من باب تعدد الخبر.

د. مبتدأ، والخبر: الامرون بالمعروف.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. الاستعارة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْتِي لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ فيها استعارة مكنية تبعية حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله وإثابته إياهم بمقابلتها بالجنة، ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن الذي هو الوسيلة في الصفة الجنة.⁽³⁾

ب. الالتفات: في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِشُرُوا﴾ التفات إلى الخطاب، تشريفاً لهم على تشريف، وزيادة لسرورهم على سرور، والاستبشار إظهار السرور، والسين فيه ليست للطلب كاستوفد وأوقد، والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور، وأفروا غاية الفرح، بما فرتم به من الجنة.⁽⁴⁾

ج. التذليل: وهو أن يذيل المتكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقق ما قبلها، وقد جاء في هذه الآية الكريمة الضريان، وهما:

• قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا عَيْتَهُ حَقًا﴾ فإن الكلام قد تم وكم قبل ذلك ثم أنت جملة التذليل لتحقق ما قبلها وتؤكده.

• قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ مخرجاً ذلك مخرج المثل فسيحان المتكلم بمثل هذا الكلام.⁽⁵⁾

(1) الجدول 41/11.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه 2/471، إعراب القرآن وبيانه 4/179، إعراب القرآن، للنحاس 2/136، التبيان 2/662، والمجتبى 2/416، والتفسير المنير 11/51، ومدارك التنزيل 1/712، والبحر المديد 2/432.

(3) ينظر: فتح البيان 5/403، والتفسير المنير 11/51، وإعراب القرآن وبيانه 4/180، والجدول 11/41.

(4) ينظر: التفسير المنير 11/51، وإعراب القرآن وبيانه 4/180، والجدول 11/41.

(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/180، والجدول في إعراب القرآن 11/41-42.

- د. الجناس: قوله تعالى: **﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** بينهما جناس ناقص، لاختلافهما في الشكل.
- هـ. المجاز: قوله تعالى: **﴿أَلَرَّكَعُونَ أَلَسَجِدُونَ﴾** أي المصلون، فيه مجاز مرسى، من إطلاق الجزء وإرادة الكل، وخاص الركوع والسجود بالذكر لشرفهما.
- وـ. قوله تعالى: **﴿وَيَسِّرْ أَمْوَانِنَ﴾** فيها إظهار في موضع الإضمار أي بشرهم للتكريم والاعتناء بهم، وللتبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من اتصف بذلك ⁽¹⁾ الصفات.

4. القراءات:

- قوله تعالى: **﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** فيه قراءتان، هما:
- أولاً: قرئ على البناء للمفعول والثاني على البناء للفاعل، **(فيقتلون)** بضم الياء وفتح التاء، **(ويقتلون)** بفتح الياء وضم التاء، وهي قراءة حمزة، الكسائي، وخلف.
- التوجيه:** أنهم يقتل بعضهم ويقتل الباقيون، ويقتلون العدو ويقتلهم العدو.
- ثانياً: قرئ على البناء للفاعل، والثاني على البناء للمفعول، **(فيقتلون)** بفتح الياء وضم التاء، **(ويقتلون)** بضم الياء وفتح التاء على تقديم، وهي قراءة الباقيين .
- التوجيه:** أنهم يقتلون الكفار أولاً ثم يستشهدون، هذا الوجه أظهر القراءة به أكثر. ⁽²⁾
- نستدل من خلال القراءة الأولى على جواز العمليات الاستشهادية في الأعداء، وهذا نص صريح في شرعية العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون فهم يقتلون ثم يقتلون أعداءهم. ⁽³⁾

رابعاً: المعنى الاجمالي:

تدل الآيات الكريمة على شراء الله **يَعْلَمُ** أنفس المؤمنين من شهوات الدنيا وملذاتها، وما يوجب الاشتغال عن ذكره، حتى تكون أنفسهم وأموالهم خالصة له، فمن لم يبع الله حياته الفانية وشهوته الزائلة، كيف يعيش مع الله **يَعْلَمُ**؟ وكيف يحيا حياة طيبة؟ فـ**فَيُرْغَبُ اللَّهُ يَعْلَمُ** الناس في الجهاد،

(1) ينظر: التفسير المنير 11/51-52، وصفوة النفاسير 1/570.

(2) ينظر: الكشاف 2/314، وتقسیر القرطبي 8/268، وتقسیر البغوي 2/391، والمحرر الوجيز 3/87، وزاد المسير 2/302، والكشف والبيان 5/97، والتحریر والتنویر 11/39، وأضواء البيان 8/114.

(3) مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص ص: 41.

ويخبرهم بأنه سيعرض المؤمنين بالجنة عن بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله، لتكون كلمته هي العليا، ولإحقاق الحق، وإقامة العدل في الأرض، فهم حين يجاهدون يقتلون أعداءهم، ويقتلون هم، وفي كلا الحالين هم مثابون على ذلك، وقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بهذا الجزاء الحق، وجعله حقا، وقد أثبته في كتبه المنزلة التوراة والإنجيل وكذلك أثبته في القرآن، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله، والتنصيص على التوراة والإنجيل والقرآن في هذا السياق إنما هو تخصيص بالذكر لأن شهر الكتب المنزلة التي تضمنت هذا الوعد الإلهي الكريم.

ثم يدعو الله تعالى من التزم من المؤمنين للاستبشار بذلك الفوز العظيم، والنعيم المقيم، لأنه ليس هناك من هو أكثر من الله تعالى وفاء بالعهد، ولا أكثر منه التزاماً بالوعد الذي يقطعه على نفسه الكريمة، ولأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم حاجتهم، فكيف بالغنى الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ، وليس هناك ربح أكبر من الربح الذي يتحقق المؤمنون في هذه الصفقة، فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبعون فانياً بباقةٍ.

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يقول الله تعالى "ليس هناك ثمن لأبدانكم إلا الجنة فلا تبعوها إلا بها"، وانقل كتاب الله تعالى إلى وصف المؤمنين الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم، والذين أعدتهم الأقدار ليكونوا جند الله تعالى وحزبه في كل جيل، فقال تعالى في وصفهم تمييزاً لهم عن غيرهم، وهم: التائبون من الذنوب كلها، التاركون للفواحش، القائمون بعبادة ربهم، والمحافظون عليها، والحامدون لله تعالى على نعمه وأفضاله، الشاكرون له على فضله ومنته، المثنون عليه عند شهود جلاله وجماله، السائحون في الأرض، للاعتبار والاستبصار بما خلق الله تعالى من العبر والآيات، والمصلون، والساجدون لله تعالى في الظاهر بنفسهم على بساط العبودية، وفي الباطن بقلوبهم عند شهود الريوبوبية، وهم مع ذلك كله يسعون في نفع خلق الله تعالى، وإرشادهم إلى طاعته، بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله، وما يجب تركه طاعة لله تعالى، ويبشر الله تعالى المؤمنين المصدقين بما وعدهم الله إذا هم وفوا الله بعهده والمتصنفين بهذه الصفات الكريمة أنه موف لهم بما وعدهم بخيري الدنيا والآخرة.

ختم الآية الكريمة بقوله: **﴿وَسَرِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** لأن الإيمان يشمل هذا كل، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به، ووضع المؤمنين في هذا الموضع للتتبیه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك، وحذف المبشر به للتعظيم، كأنه قيل: وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام.⁽¹⁾

(1) ينظر: جامع البيان/14 498 - 508، والكشاف/2 314، وتفسير ابن كثير/4 219، وصدق الله العظيم ص: 63 - 64، وبحر العلوم/2 90-89، ولطائف الإشارات/2 66 - 68، وتفسير التستري ص: 74، ومدارك التنزيل/1 712، والبحر المديد/2 433-430، والتيسير في أحاديث التفسير/3 22-24.

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

جواز العمليات الاستشهادية الجهادية:

هذه العمليات التي يقوم بها المجاهد في سبيل الله بجسده الطاهر في الدول المغتصبة وخاصة في فلسطين أصبح لها أهمية كبيرة خاصة في هذا الوقت الذي تخاذل فيه المسلمين عن الدفاع عن الأراضي المسلمة المحتلة، وعن القدس، فأصبح القيام بالعمليات الاستشهادية وبذل النفس في سبيل الخالق خير وسيلة لزرع الرعب في قلوب الذين كفروا، ونقوية قلوب المسلمين وتكسر قلوب الأعداء، وتنكيل وتوهين أعداء المسلمين.

ويبلغ القائم بهذه العمليات مراتب الشهداء؛ لأنَّه قد مات في سبيل الله عَزَّلَهُ، وإعلاء كلمة الحق، فنسأل الله عَزَّلَهُ أن لا يخيب رجاءً هو باعثه، ولا ينكس لواءً فيه يرتفع.

﴿مكافأة المحسنين والصالحين في العمل﴾

1. الحزاء من جنس العمل:

إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ أَوْدَعَ فِي هَذَا الْكَوْنِ سَنَنًا ثَابِتَةً لَا تَتَغَيِّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، يُنْسِجُ عَلَى مُنْوَالِهَا نَسَمَةً هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَالْعَاقِلُ الْلَّبِيبُ مِنْ يَسَايرُ سَنَنَ اللَّهِ يُعَذِّبُ وَلَا يَصَادِمُهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالسَّنَنِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ، فَجَزَاءُ الْعَامِلِ مِنْ جَنْسِ عَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِلَحْسَنِ إِلَّا الْإِلْحَسْنُ ﴾ [الرَّحْمَن: 60]، وَلَوْ وَضَعْنَا هَذِهِ الْقَاعِدَةَ نَصْبًا أَعْيَنَا لَدْفَعْتَنَا وَأَبْعَدْتَنَا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَرْوَرِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَالْعِلْمُ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ هُوَ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ دَافِعٌ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحةِ، وَنَاهٍ عَنِ الظُّلْمِ، وَزَاجِرٌ لِلظَّالِمِينَ، وَمَوَاسِيٌّ لِلْمُظْلَومِينَ.

2. تكريم المتفوقين:

الحوافز والمكافآت لها أثر كبير على الأعمال فالحوافز سواء كانت مادية - كهدية بغض النظر عن ثمنها - أو معنوية - كالكلمة الطيبة والشكر والثناء - لها عظيم الأثر في تحسين أداء العاملين، وكذلك على أداء وتحصيل الطلاب في المراحل المختلفة من التعليم، حيث إن عدم وجود مثل هذه الحوافز والمشجعات قد يؤثر سلباً على أدائهم ويسهم في تراجع مستواهم، وهذا يعود إلى النفس البشرية التي جبلوا عليها.

◀ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنه حصن الإسلام الحصين، والدرع الواقي من الشرور والفتنة، والسياج من المعاصي والمحن، يحمي أهل الإسلام من نزوات الشياطين، ودعوات المبطلين، إنه الوثاق المتن الذي تتماسك به

عرى الدين، وتحفظ به حرمات المسلمين، بارتفاع رأية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعلو أهل الحق والإيمان، ويندحر أهل الباطل والفجور والعصيان، يورث القوة والعزة في المؤمنين، وينزل أهل المعاصي والأهواء والمخالفين، وبالامر بالمعروف يشد المسلمين بعضهم البعض، والنهي عن المنكر يرغم أئف المنافق والكفار وال fasقين، وبالامر بالمعروف يعرف الحال من الحرام، ويدرك الناس الواجب والمباح والمكرور، والجهل بمثل هذه الأمور يؤدي إلى نشر المعاصي والمحرمات، وينشأ جيل لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً - إلّا من رحم الله -، ولا يكون ضياع الأمة، إلّا حين يترك للأفراد العيش كما يشتهون، ويفعلون ما يريدون، يتجاوزون حدود الله عَزَّلَ، ويعبعثون بالأخلاق، ويقعون في الأعراض، وينتهكون الحرمات من غير وازع أو ضابط، ومن غير رادع لهم، وإن إفشاء المنكرات يؤدي إلى سلب نور القلب، وبعدم الدفاع عن حرمات الله عَزَّلَ تسود الفوضى، وتستحل الجريمة، ويسلب القلب نور التمييز وقوة الإنكار؛ لأن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها وتكرر في العين شهودها، ذهبت من القلوب وحشتها فاعتادتها النفوس، ونجد المجتمعات التي تطبق الفضيلة كالمجتمعات الإسلامية مجتمعات ثابتة مستقرة خالية من الجرائم والأمراض مقارنة بالمجتمعات الفاجرة، قال تعالى: ﴿وَلَحِفْظُهُنَّ لِحِدُودِ اللَّهِ وَشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إن الحافظين لحدود ما أنزل الله عَزَّلَ على رسوله محمد ﷺ، وجميع ما فرضه من حدود يحافظون عليه محافظة كاملة شاملة، كما يحافظون على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، ومن ضمن المحافظة على حدود الله عَزَّلَ، حفظ الرأس من سماع الحرام مثل: الغيبة، وسماع الأغاني، وكذلك حفظ البصر ويدخل فيه الحرص على تجنب النظر إلى ما حرم الله عَزَّلَ علينا، وحفظ اللسان من النميمة والكذب، ومن السب والشتم، وكذلك من نشر الإشاعات، وما يحدث في مجتمعنا اليوم أكبر آفة من آفات اللسان وهو نشر الكثير من الإشاعات التي تعمل على تثبيط هم أبناء الوطن، والتي بدورها تؤدي للخوف والذعر بين أفراده.

وحفظ البطن ويدخل فيه تجنب أكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل حقوق الناس، فيجب أن نحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وحفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله عَزَّلَ، وثمرة حفظ الإنسان لهذه الأمور جميعاً يحمي المجتمع من التفكك واختلاط الأنساب والأمراض، وكذلك ينال رضى الله عَزَّلَ، وهذا مبتغى ومقصد كل مسلم.

هذه بعض صفات المؤمنين، الذين أسأل الله عَزَّلَ أن يجعلنا منهم، ويحشرنا معهم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

المطلب الثاني

الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرُونٍ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَتْ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَنَّمِ﴾ (١) وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيْهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِلَيَّاهُ فَلَمَّا نَبَّأَنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْهُ حَلِيمٌ﴾ [التوبية: 113-114].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما بينَ الله تعالى من أول هذه السورة إلى هذا الموضع وجوب إظهار البراءة من الكفار والمنافقين من جميع الوجوه، ذكر في هذه الآية أنه لا يجوز الاستغفار لمن مات على الكفر، وإن كانوا أهل قرى، كقرابة الدم والنسب، كما أوجبت الآية البراءة من أحياهم الذين أصروا على الكفر، والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

تعددت الأقوال في سبب نزول هذه الآية إلى أربعة أقوال، ولكن سأكتفي بذكر الصحيح منها والذي ذكر في الصحيحين، وما اتفق عليه جمهور المفسرين هو: عن سعيد بن المسيب رض، عن أبيه أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبِ الْوَفَاءَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِأَبِي طَالِبٍ: "يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهُدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ؟ فَلَمْ يَرِدْ رَسُولُ اللَّهِ ص يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعْوَدُهُ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، وَأَبِي أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: "أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهِ عَنْكَ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التوبية: 113].⁽²⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16/157، وفتح القدير 2/467، وفي ظلال القرآن 3/1714، وغرائب القرآن 3/538.

(2) صحيح البخاري 2/95، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث رقم:

1360، وصحيح مسلم 1/40، كتاب: الإيمان، باب: دعوة الكافر إلى الإسلام، حديث رقم: 41، وأسباب

النَّزُول ص: 261.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

عن مَوْعِدَةٍ: واختلف في ذلك إلى عدة أقوال، هي

أ. أنه كان لأجل وعد تقدم من إبراهيم عليه السلام لأبيه بالاستغفار له⁽¹⁾، وذلك قوله تعالى:

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّ إِنَّمَا كَانَ بِحَفِيْتَ﴾ [مريم: 47].

ب. موعدة من والد إبراهيم عليه السلام له في أنه سيؤمن، فقوى طمعه، فحمله ذلك على الاستغفار له حتى ثُبِّيَ عنه، وتبيّنه أنه عَدُوُّ لِلَّهِ.⁽²⁾

الراجح: يقول ابن عاشور: "والوعد صدر من أبي إبراهيم لا محالة، كما يدل عليه الاعتذار لإبراهيم عليه السلام لأنه لو كان إبراهيم عليه السلام هو الذي وعد أباه بالاستغفار وكان استغفاره له للوفاء بوعده لكن يتوجه من السؤال على الوعد بذلك وعلى الوفاء به ما اتجه على وقوع الاستغفار له، فالتفسير الصحيح أن أبو إبراهيم وعد إبراهيم بالإيمان، فكان بمنزلة المؤلفة قلوبهم بالاستغفار له لأنه ظنه متربداً في عبادة الأصنام لما قال له: ﴿وَأَهْمَّرْتِ مَلِيْتَ﴾ [مريم: 46]، فسأل الله تعالى له المغفرة لعله يرفض عبادة الأصنام كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَمَّا نَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.⁽³⁾

لَوْهَةٌ: لها عدة معاني، هي:

أ. كثير الدعاء، والشكوى إلى الله تعالى، وعلى ذلك روي عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن الأواه؟ فقال: الدعاء الخاشع المتضرع.⁽⁴⁾

ب. المؤمن بلغة الحبشة.

ج. الفقيه، الموقن.

د. المتأوه حزناً وخوفاً، وشفقةً ورفقاً ولزوماً لطاعة الله تعالى.⁽⁵⁾

(1) ينظر: فتح القدير / 2467، والجواهر الحسان / 3222

(2) ينظر: الجواهر الحسان / 3222، التحرير والتتوير / 11/45.

(3) التحرير والتتوير / 11/45.

(4) ينظر: تفسير ابن كثير / 4225، وأيسر التفاسير / 431، وتأویلات أهل السنة / 5494، والتفسير الحديث / 9، وغرائب القرآن / 3539، والجواهر الحسان / 3222.

(5) ينظر: فتح القدير / 2467، والبحر المديد / 435، ومعاني القرآن وإعرابه / 473، وتأویلات أهل السنة / 494، والتفسير الحديث / 9، وتأویلات المراغي / 11/35، والبحر المحيط / 5514.

هـ. المسبح.⁽¹⁾

ترى الباحثة أن المعاني تقارب من بعضها، لأن الحزين المتضرر إلى ربه، الخاشع له بقلبه، ينوبه ذلك عند مسأله ربه، ودعائه إياه في حاجاته.⁽²⁾

حَلِيمٌ: قيل: الحليم ضد السفيه، وقيل: العليم، والحليم: هو الذي لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه، وهو الصابر المحتمل، عظيم العقل، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه.⁽³⁾

2. الإعراب:

جملة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَنْعَلُهُ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.⁽⁴⁾

المصدر المُؤَول ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا﴾ في محل رفع اسم كان، والجار ﴿لِلنَّبِيِّ﴾ متعلق بالخبر، والواو في ﴿وَلَو﴾ حالية، وهي للعطف على حال مذكورة؛ أي: ما كانوا أن يستغفروا في كل حال، ولو في هذه الحال؛ وهذا لاستقصاء الأحوال، وجواب الشرط مذوق دلّ عليه ما قبله، والجملة حالية من ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾، وجواب لو مذوق دلّ عليه الكلام المتقدم أي لو كانوا، فما كان لهم أن يستغفروا، وجملة: ﴿كَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَةَ﴾ في محل نصب حال من المشركين.⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿لَأَوَّلَهُ﴾ اللام المزاحفة وأواه خبر ﴿حَلِيمٌ﴾ خبر ثان والجملة مستأنفة.⁽⁷⁾

3. الجوانب البلاغية:

أـ. الجناس: قوله تعالى: ﴿مَوْعِدَةٌ وَعَدَهَا﴾ بينهما جناس اشتقاء.⁽⁸⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14/524-536، وزاد المسير 2/30، وتأويلات أهل السنة 5/494، والبحر المحيط 5/514.

(2) ينظر: جامع البيان 14/536.

(3) ينظر: أيسير التفاسير 2/431، تأويلات أهل السنة 5/494، وغرائب القرآن 3/539، والجواهر الحسان 3/222، ونيسير الكريم الرحمن ص: 353.

(4) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/183.

(5) ينظر: المحتوى 2/416، وإعراب القرآن، للداعس 2/9، وإعراب القرآن وبيانه 4/183، والجدول 11/43.

(6) الجدول 11/44.

(7) ينظر: إعراب القرآن، الداعس 2/10، وإعراب القرآن وبيانه 4/184.

(8) ينظر: التفسير المنير 11/57، وصفوة التفاسير 1/570.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ "هذا نفي بمعنى النهي، فهو أبلغ من النهي المجرد، وهذا التعبير فيه يسمى نفي الشأن، وهو أبلغ في نفي الشيء نفسه، لأن نفي معلم بالسبب المقتضي له".⁽¹⁾

رابعاً: المعنى الاجمالي:

توضح الآيات الكريمة بأنه ما صح ولا ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين في حكم الله عَزَّلَ وحكمته، ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَةً﴾ أي ولو كان لهم حق البر وصلة الرحم، وكانت عاطفة القرابة تقتضي الحدب والإشفاق عليهم، فهو لاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تتفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين، وعندما قال بعض الأفراد من المؤمنين إن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك قال ﷺ جواباً: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِبَاهُ﴾ وهي قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيْأَ﴾ [مريم: 47]، لكنه ﷺ لما تبين له من جهة الوحي أن أباه عدو الله عَزَّلَ أي مات على الشرك تبرأ منه ولم يستغفر له، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوْهَ حَلِيمٌ﴾ تعليل لمواعدة إبراهيم أباه بالاستغفار له؛ لأن إبراهيم كان كثير الدعاء والتضرع والتأسف والتحسر فلذا واعد أباه، بالاستغفار له.⁽²⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿الولاء والبراء﴾:

ولاء المؤمن الصادق يجب أن يتضمن الإخلاص لله عَزَّلَ ودينه، وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، والذي عقد معه الصفة، وعلى أساس هذا الولاء الموحد تقوم كل رابطة، وهذا بيان من الله عَزَّلَ للمؤمنين يحسم كل شبهة ويعصم من كل ضلاله، وحسب المؤمنين ولاده الله عَزَّلَ لهم ونصرته فهم بها في غنى عن كل ما عاده، وهو مالك الملك ولا قدرة لأحد سواه⁽³⁾، والبراء، يكون من كل طاغوت عبد من دون الله عَزَّلَ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْظَّلْعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَكَذِّبَ

(1) تفسير المنار / 11 / 46.

(2) ينظر: جامع البيان / 14، 509، وتفسير ابن كثير / 4، 224-225، وفتح القدير / 2، 467، وأيسر التفاسير / 2-432، ومحاسن التأويل / 5، 515، وتيسير الكريم الرحمن ص: 353، ومدارك التنزيل / 1، 713-714، ولطائف الإشارات / 2، 68-69.

(3) ينظر: في ظلال القرآن / 3، 1714، صدق الله العظيم وكذب النبوءات ص: 65.

أَسْتَمْسَكَ بِالْعَرْقَةِ الْوَنِقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهُ وَاللَّهُ سَيِّعُ عَلَيْهِ [البقرة: 256]، وَقَالَ قَعَانِي: هُوَ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكْوُنُونَ سَوَاءٌ فَلَا تَنْتَخِذُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَهُنَّ حَقَّ يَهَا جُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدُّهُمْ وَلَا تَنْتَخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء: 89].

◀ التحذير من التعصب:

لا يصلح التعصب لدين الآباء والأجداد إذا كان يخالف ما جاءت به الرسل، فإن الذي حمل أبا طالب على الموت على غير دين محمد هو التعصب لدين آبائه وأجداده، فهو سبب لسوء الخاتمة - أعادنا الله واياكم -، فيجب علينا الحذر من هذا، والواجب على المسلم أن يقبل الحق ولو خالف ما عليه آباؤه وأجداده، أما إذا كان آباؤه وأجداده على حق، فاتباعهم في هذه الحالة حق، عن البراء بن عازب⁽¹⁾، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: "أي عرى الإسلام أوثق؟" قالوا: الصلاة، قال: "حسنة، وما هي بها؟" قالوا: الزكاة، قال: "حسنة، وما هي بها؟" قالوا: صيام رمضان، قال: "حسن، وما هو به؟" قالوا: الحج، قال: "حسن، وما هو به؟" قالوا: الجهاد، قال: "حسن، وما هو به؟" قال: "إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله"⁽²⁾، وهذا بيان للازم البعض وهو المعاذة في الله عزّل، أي إظهار العداوة بالفعل والجهاد لأعداء الله عزّل، والبراءة منهم، وبعد عنهم باطنًا وظاهرًا إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه، وعدم الضعف أمام الأصحاب والأهل بالعاطفة، لأن الذي يحدد العلاقات هو الإسلام لا غيره، وهذا من جهة علاقة الأمة بعضها ببعض، والذي يحددها واجب الولاء.

◀ عدم الركون للكفار أو المنافقين، وال fasidin:

يندرج تحت ذلك مشاركة اليهود أو النصارى دياناتهم، حتى أننا نرى اليوم كيف يُهني الحكم المسلمين - إلا من رحم ربِّي - النصارى في أعيادهم المبتدعة التي لم تكن في دينهم، وأيضاً الإجازات التي تقوم بها بعض المؤسسات في أعيادهم ومناسباتهم التي يحتفلون بها، وفعل ذلك ولو كان مُحَاجَّلة أو تَوَدَّدًا أو حياءً أو لغير ذلك من الأسباب فهو من عوامل تقوية نفوس الكفار وفخرهم بِدينهم، ويحدد هذه العلاقات بين المجتمعات واجب البراء، فقد أوجب الله عزّل على الأمة

(1) البراء بن عازب: بن الحارث بن عدي بن ماجدة بن حارثة الأوسى أبو عمارة ويقال أبو عمرو ويقال أبوالطفيل المدني الصحابي نزل الكوفة ومات بها زمن مصعب بن الزبير، وروى عن النبي ﷺ وجمع من الصحابة، وقال ابن حبان استصغره النبي ﷺ يوم بدر، مات سنة (72) غزا مع النبي ﷺ خمسة عشر غزوة أول مشاهده الخندق وشهد مع علي ﷺ الجمل وصفين والنهروان. [ينظر: تهذيب التهذيب 1 / 425 – 426]

(2) مسند أحمد 30 / 488، مسند الكوفيين، مسند: حديث البراء بن عازب، حديث رقم: 18524، [حديث حسن بشواهد].

البراء من الكفر وأهله، وذلك صيانته لوحدة الأمة الثقافية والسياسية والاجتماعية، وجعل يَعْلَمُ مطلق موالة الكفار خروجاً عن الملة وإعراضاً عن سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُعْمَلُونَ الْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَنْعَلِمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ نَفَّذُ وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفَّسَهُ فَلَيْسَ اللَّهُ أَمْصِرُكُمْ﴾ [آل عمران: 28]، فبموالاته للكافرين يكون قطع كل العلاقات بينه وبين الله يَعْلَمُ، فليس من الله في شيء، ونجد في أيامنا هذه كيف تتحد وتتجمع ولاءات النصرة والتأييد للكافرين على المسلمين، والإسلام لا يقبل أن يقف المسلم في خندق واحد مع الكافر ضد إخوانه المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَخِذُوا الْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 144]، وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا أَنْخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَنَسُقُورُكُمْ﴾ [المائدة: 81]، نسأل الله يَعْلَمُ أن يعزّ المسلمين بدينهم، ويرزقهم الثبات عليه، وينصرهم على أعدائهم، ويجنبنا الشرك وأهله، اللهم لا تجعلنا من يتشبهون بأعدائك، اللهم احفظ المسلمين من كل ما يخدر عقيدتهم ودينهم، إنك قويٌ عزيزٌ.

المطلب الثالث

شروط المؤاخذة (العقاب) على الذنب

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يَبْيَسُنَّ لَهُمْ مَا يَنَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ عِلْمٌ﴾⁽¹⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَمْلُكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبه: 115-116].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

هذه الآية الكريمة نزلت تعقيباً على عتاب الله ﷺ لرسوله ﷺ والمؤمنين الذين استغفروا الله ﷺ لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك، ولغير الأقرباء، فقرر الله ﷺ في ختام هذا الحكم هذه القاعدة الشرعية العظيمة وهي أن المؤاخذة دائماً بعد العلم، وهذا من فضل الله ﷺ ورحمته فله الحمد، وهذه الآية تشد المؤمنين بالله ﷺ إليه، وتقيم وجوهم له، دون التفات إلى غيره، فموقع هذه الآية بعد جميع الكلام المتقدم جعلها كلاماً جاماً.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

يوجد قولان في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يَبْيَسُنَّ لَهُمْ مَا يَنَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ عِلْمٌ﴾:

أولاً: قال مقاتل والكلبي: عندما أنزل الله ﷺ على الرسول ﷺ آية الفرائض، وجاء النسخ، وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل: أمر القبلة، وشرب الخمر، ومات منهم أقوام على ذلك، فلم يبلغهم ذلك، وعندما عملوا بالمنسوخ سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية.⁽²⁾

ثانياً: قال مجاهد: إن الآية نزلت في الاستغفار للمشركين؛ فإن جماعة من الصحابة ﷺ كانوا استغفروا لآبائهم ولم يعلموا أن ذلك لا يجوز، وأيضاً فإن أقواماً من المسلمين الذين استغفروا للمشركين، كانوا قد ماتوا قبل نزول هذه الآية، فلما أنزل النبي ﷺ عنه خافوا على أنفسهم خوفاً شديداً؛ فأنزل الله ﷺ هذه الآية مؤنسة لهم.⁽³⁾

(1) ينظر: البحر المحيط 5/515، والتفسير القرآني للقرآن 6/908، والتحرير والتواتير 11/48، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر ص: 81.

(2) ينظر: فتح البيان 5/415، وزاد المسير 2/306، وبحر العلوم 2/92، والكشف والبيان 5/104، وتفسير السمعاني 2/355، وتفسير البغوي 2/396، والمحرر الوجيز 3/92، والبحر المحيط 5/514-515، والبحر المديد 2/436، والنكت والعيون 2/411.

(3) ينظر: فتح القدير 2/469، وتفسير السمعاني 2/355، والمحرر الوجيز 3/92، ومفاتيح الغب 16/160، البحر المحيط 5/514-515، والجواهر الحسان 3/223، والتفسير الواضح 2/23، وفتح البيان 5/415.

الراجح: ما تميل إليه الباحثة وترتضيه هو القول الثاني؛ لأن سياق الآيات السابقة كانت تتحدث عن استغفار المؤمنين لمن مات من أقربائهم وكانوا من المشركين، أما القول الأول فقد نقل عن الكلبي، وهو مشهور بالوضع.

ثالثاً: التفسير التحليلي

1. معاني الكلمات:

مَا يَتَّقُونَ: ما يجب اتقاؤه للنهي من محرمات الشرع، فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر، وردّ الوديعة غير موقوف على التوقف.⁽¹⁾

يُحِيِّهُ وَيُمِيتُ : تأتي بعدة معانٍ، هي:

أ. يحيى من يشاء بعرفانه وتوحيده، ويميت من يشاء بكرانه وجحوده، وغفلته.⁽²⁾

ب. يحيى من أقبل عليه بقضائه، ويميت من أعرض عنه بتكبره.⁽³⁾

ج. يحيى من يريد إبرازه لعالم الشهادة، ويميت من يريد رده لعالم الغيب.⁽⁴⁾

د. أن الله يحيى الجماد، ويميت الحيوان؛ لأنهم ظنوا أن الحياة هي الحس والحركة التي نراها أمامنا من حركة وكلام وذهاب وإياب، ونسوا أن الحياة هي ما أودعه الله في كل ذرة في هذا الكون، مما تؤدي به مهمتها.⁽⁵⁾

2. الإعراب:

قال تعالى: **هُوَ وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعِيشُ فَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ** في قوله تعالى: (إذ) فيه وجهان، هما:

أ. أن (إذ) بمعنى (أن).

ب. أنها ظرف بمعنى وقت أي بعد أن هداهم أو بعد وقت هدايتهم.

جملة: **هُبَيْتَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ** صلة وإن واسمها وخبرها وبكل شيء متعلقان بعليم.

(1) ينظر: الكشاف 2/ 316، وفتح القدير 2/ 469، ومدارك التنزيل 1/ 714، والبحر المديد 2/ 435.

(2) ينظر: البحر المديد 2/ 436، ولطائف الإشارات 2/ 70، ولباب التأويل 2/ 414.

(3) لطائف الإشارات 2/ 70.

(4) البحر المديد 2/ 436.

(5) تفسير الشعراوي 9/ 5546 - 5547.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ﴾: إن واسمها وله خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿يَعْلَمُ﴾ خبر ثان لـ (إن) والخبر الأول جملة: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ شَيْءاً عَلَيْهِ﴾ لا محل لها من الإعراب في حكم التعليل.

قوله تعالى: ﴿قَنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ جار و مجرور متعلقان بمحذف حال ومن زائدة وولي مبتدأ مؤخر مهلا ولا نصير عطف على من ولـ (1).

جملة: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر إنـ (2).

3. الجوانب البلاغية:

أ. بين (يضل، وهدتهم) طباق، وكذلك بين قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ وَيَعْلَمُ﴾. (3)

ب. قال ابن الأباري (4): "في الآية حذف واختصار، والتأويل: حتى يتبيّن لهم ما يتقوّن، فلا يتقوّنـ، فعند ذلك يستحقون الضلال فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال يريدون: فتجرت فكسبت". (5)

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يُخـر الله عـلـيـكـ عنـ نـفـسـهـ الـكـرـيمـ وـحـكـمـهـ الـعـادـلـ أـنـهـ لـاـ يـضـلـ قـوـمـاـ إـلـاـ بـعـدـ إـبـلـاغـ الرـسـالـةـ إـلـيـهـ حـتـىـ يـكـوـنـواـ قـدـ قـامـتـ عـلـيـهـ الـحـجـةـ، وـمـاـ كـانـ اللـهـ عـلـيـكـ لـيـقـضـيـ عـلـيـكـ، فـيـ اـسـتـغـفـارـكـ لـمـوـتـكـ الـمـشـرـكـينـ، بـالـضـلـالـ، بـعـدـ إـذـ رـزـقـكـ الـهـدـيـةـ، وـوـفـقـكـ لـلـإـيمـانـ بـهـ وـبـرـسـوـلـهـ مـحـمـدـ، حـتـىـ يـتـقـدـمـ إـلـيـكـ بـالـنـهـيـ عـنـهـ، فـتـرـكـواـ اـلـانتـهـاءـ عـنـهـ، فـأـمـاـ قـبـلـ أـنـ يـبـيـنـ لـكـ كـرـاهـيـةـ ذـلـكـ بـالـنـهـيـ عـنـهـ، ثـمـ تـطـبـقـونـ مـاـ نـهـاـكـ عـنـهـ، فـإـنـهـ لـاـ يـحـكـمـ عـلـيـكـ بـالـضـلـالـ، لـأـنـ الطـاعـةـ وـالـمـعـصـيـةـ إـنـمـاـ يـكـوـنـانـ مـنـ الـمـأـمـورـ وـالـمـنـهـيـ، فـأـمـاـ مـنـ لـمـ يـؤـمـرـ وـلـمـ يـنـهـ، فـغـيـرـ كـائـنـ مـطـيـعـاـ أـوـ عـاصـيـاـ فـيـمـاـ لـمـ يـؤـمـرـ بـهـ وـلـمـ يـنـهـ عـنـهـ، وـالـلـهـ

(1) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/184، والجدول 11/48.

(2) ينظر: الجدول 11/48-49، وإعراب القرآن للداعس 2/10.

(3) ينظر: صفة التقاسير 1/570.

(4) أبو بكر: محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماحة ابن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي، ولد في 11 / رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين، صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان عالمة في الآداب وأكثر الناس حفظاً لها، وكان صدوقاً ثقة من أهل السنة، وصنف كثيرة في: علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل، وكتاب الزاهر. [ينظر: وفيات الأعيان 4/341، وتاريخ بغداد 4/299].

(5) زاد المسير 2/306.

يَعْلَمُ ذُو عِلْمٍ بِمَا خَالَطَ أَنفُسَكُمْ عَنْدَ نَهْيِهِ إِيَّاكُمْ مِنَ الْاسْتَغْفَارِ لِمَا تَرَكْتُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنَ الْجُزْعِ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنَ الْاسْتَغْفَارِ لَهُمْ قَبْلَ تَقْدِيمِهِ إِلَيْكُمْ بِالنَّهِيِّ عَنْهُ، وَبِغَيْرِ ذَلِكِ مِنْ سَرَائِرِ أُمُورِكُمْ وَأُمُورِ عِبَادَهُ وَظَوَاهِرِهَا، فَبَيْنَ لَكُمْ حَلْمَهُ فِي ذَلِكَ عَلَيْكُمْ، لِيُضَعَّ عَنْكُمْ تِقْلِيلُ الْوَجْدَ بِذَلِكَ.

يُذَكِّرُ اللَّهُ يَعْلَمُ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُ سُلْطَانَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُلْكَهُمَا، وَكُلُّ مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُلُوكِ فَعَبِيدُهُ وَمُمَالِيْكُهُ، بِيَدِهِ حَيَاتُهُمْ وَمَوْتُهُمْ، يَحْيِي وَيَمْتِيْتُ، فَلَا تَجْزُعُوا، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، مِنْ قَتْلِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ يَعْلَمُ، وَأَغْزُوْهُمْ وَجَاهُوْهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْلَمُ، فَإِنَّهُ الْمَعْزُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ وَمِنْكُمْ، وَالْمَذْلُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَهَذَا حَضْنُ مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ قَتْلِ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنَ الْمُمَالِيْكُ، وَإِغْرَاءُ مَنْ لَهُمْ بِحَرِبِهِمْ.

قوله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُورٍ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾** نقوية لما تقدم من التبرؤ منهم، وما لكم من أحد هو لكم حليفٌ من دون الله يَعْلَمُ يظاهركم عليه، إن أنتم خالقتم أمرَ الله فعاقبكم على خلافكم أمرَه، يستنقذكم من عقابه **﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾** ينصركم منه إن أردكم سوءاً، يقول: فبِاللهِ فَنَقْوَا، وَإِيَّاهُ فَارْهَبُوا، وَجَاهُوْهُمْ فِي سَبِيلِهِ مِنْ كَفَرَ بِهِ، وَهَذَا تَرْغِيبٌ فِي الْجَهَادِ لِكِي لَا يَمْتَعُوا مَخَافَةَ الْمَوْتِ وَالْقُتْلِ، وَتَبَيْهُ عَلَى لِزُومِ امْتِنَالِ أَمْرِهِ، وَالانْقِيَادُ لِحُكْمِهِ، وَالتَّوْجِهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، إِذْ لَا يَتَأْتِي لَهُمْ وَلَا يَنْصُرُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُ. ⁽¹⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿التَّثْبِيتُ قَبْلَ تَقْرِيرِ الْعَقُوبَةِ﴾:

من طبيعة البشر الإصابة أحياناً، والخطأ أحياناً أخرى، فيجب علينا عدم إيقاع العقوبات قبل معرفة أسبابها وتوضيحها، والتأكد من وقوعها، وعدم التسرع فيها، لأننا قد نقع في نتيجة قد لا تحمد عقباها.

﴿الْتَّرْبِيةُ بِالْعَقُوبَةِ﴾:

التربيـة بالـعقوـبة أمر طـبيعي بالـنسبة لـلـبشر عـامة والـطـفل خـاصة، فـلا يـنبعـي أن نـستـكـرـ هـذهـ العـقوـبةـ منـ بـابـ التـظـاهـرـ بـالـعـطـفـ عـلـىـ الطـفـلـ وـلـاـ مـنـ بـابـ التـظـاهـرـ بـالـعـلـمـ، وـالـعـطـفـ الـحـقـيقـيـ عـلـىـ الطـفـولـةـ هـوـ ذـيـ يـرـعـيـ صـالـحـهـاـ فـيـ مـسـتـقـبـلـهـاـ لـاـ ذـيـ يـدـمـرـ كـيـانـهـاـ وـيـفـسـدـ مـسـتـقـبـلـهـاـ، إـنـ كـانـ وـلـابـدـ مـنـ الـعـقوـبةـ فـعـلـيـنـاـ أـنـ نـرـاعـيـ اـحـتـرـامـنـاـ لـكـيـانـ الصـغـيرـ وـتـقـدـيرـنـاـ لـهـ كـإـنـسـانـ، وـقـبـلـ أـنـ

(1) ينظر: جامع البيان 14/538-539، وتقسیر ابن کثیر 4/227، وعقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة 1/517، وأنوار التنزيل 3/100، والبحر المحيط 5/515، ومحاسن التأویل 1/326.

شرع في العقوبة، يجب علينا التوجيه والإرشاد، ومن ثم التوبية، وإن لم نجد استجابة فنقوم بالتهذيد وبعد ذلك التنفيذ، وهذا ما اتبعه الله ﷺ مع عباده في التدرج بالحكم عليهم بالضلالة، وهو العالم بما في نياتهم وخفايا صدورهم.

﴿ثمرة اليقين والإيمان بالله ﷺ﴾

إن الإيمان لا يكون مجرد نطق باللسان، وإنما هو عقيدة حية تملأ القلب وثُعمره، فتصدر عنها آثارها كما تصدر عن الشمس أشعتها، ومن آثار الإيمان وثماره أن يكون الله ﷺ ورسوله ﷺ أحب إلى المرء من كل شيء، وأن يظهر ذلك في أقواله، وتصرفاته، وأخلاقه، فإن كان ثمة شيء أحب إلى المرء من الله ورسوله، فالإيمان مدخول، والعقيدة مهزوزة، فالحياة بما فيها من أهل وعشيرة وأموال وتجارة ومساكن ومناصب وجاه وسلطان لا يجب أن تكون أحب للمؤمن من الله ﷺ ورسوله ﷺ، والشريعة التي أوحاها إليه، وإن ثمرة هذه العقيدة السليمة والإيمان الكامل بها يكون قوة دافعة لكل سلوك خير للإنسان، بدءاً من جهاد النفس ومحاباة الهوى والانتصار عليهما، ثم الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ﷺ ومنع الظلم والفساد في الأرض، وانتهاء بإماتة الأذى عن الطريق وما بينهما من كل أمر معروف وكل نهى عن منكر، فإذا عرف الإنسان به وامتلأت حياته بالإيمان الكامل كانت لذلك آثار عظيمة في حياته، والإيمان يحرر النفس من سيطرة غير، لأن الله ﷺ هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن الله ﷺ واهب العمر وأنه لا ينقص بالإقدام، ولا يزيد بالإحجام، لذا فإنه يبعث في نفس المؤمن روح الشجاعة والإقدام، ويكون بذلك لا يخشى الموت، ولا تنتهي عزيمته المحن، وتكون طمأنينة للقلب، وسكينة النفس، فإذا شعر الإنسان بذلك يجد حلاوة اليقين، ويتحمل الأهوال بشجاعة، ويثبت أمام الصعوبات مهما اشتدت، وكل ذلك يؤدي إلى سمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويستكبر عن لذائذ الدنيا، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف، وتحقيق القيم الصالحة، ومن ثم يتجه الإنسان تلقائياً لخير نفسه، وأمته، والناس جمياً.

المطلب الرابع

التوبة العامة وشروطها

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّتِي وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبْعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا يَرْبِطُونَ قُلُوبَ فَرِيقَتَهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَهْمِرُهُمْ فَرَحِيمٌ﴾ [التوبه: 117].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

إنَّ هذه الآية متممة لما تقدم سابقاً في السورة من شرح أحوال غزوة تبوك، وبين أحوال المتخلفين عنها، وأطالت القول في ذلك على الترتيب، عاد في هذه الآية الكريمة إلى شرح ما بقي من أحكامها، وأخرت الآية على سنة القرآن الكريم في تفريغ الآيات في الموضوع الواحد، لأنَّه أدنى ألا يسامُ النَّالِي لها في الصلاة وغيرها، وأقوى في تجديد الذكر والتأثير في النفس، وهو مناسب لما قبله من النهي عن الاستغفار للمشركين وهو مما يتاب منه، وكلَّ عثرة يطلب منها الصفح.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

لم يرو المفسرون حادثة معينة في سبب نزول الآية وإنما رووا وصفاً لظروف غزوة تبوك وما كان فيها من شدة الأمر حيث كانت في سنة مجده، كادت قلوب فريق من أصحاب رسول الله ﷺ ترتعش منها على حد التعبير القرآني، والمتبادر أن توبة الله تعالى المعلنة في هذه الآية هي متصلة بذلك.⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ: التوبة من الله تعالى تخرج على وجوه:

أ. التوفيق: وفهم للتوبة وأكرمهم بها.

ب. التوبة منه قبولها منهم، أي: يقبل منهم التوبة.

ج. تجاوز عنهم وعفا وصفح عنهم.⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير المنار 11/52، والتفسير الوسيط لطنطاوي 6/418، تفسير المراغي 11/39.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير 4/228، والتفسير الحديث 9/547.

(3) تأويلات أهل السنة 5/504.

الراجح: ترى الباحثة بأن التوبية قد تكون في هذا الموضع من السورة قد شملت الأنواع الثلاثة في البداية وفهم الله تعالى للتوبة، وبعد توفيقه تعالى لهم تجاوز وصفح وغفر لهم ذنوبهم التي ارتكبواها، وهذا من باب التدرج.

ساعة العُسْرَة: غزوة تبوك، والعسرة الشدة والضيق، وكانت عسرة في الزاد إذ كانت عند انتهاء فصل الصيف الذي نفذت فيه مؤنتهم، وأول فصل الخريف الذي بدأ فيه موسم جديد ولا يمكن حمل شيء منه، وعسرة في الظَّهَر حتى كان العشرة يعتقون بغيراً واحداً، وعسرة في الزمن إذ كانت في شدة الحر والقِيظ؛ ولعل التعبير بساعة العسرة للتذكير بذلك الوقت العصيب.⁽¹⁾

يَرِيْزِيْغُ: يتلف بالجهد والمشقة والشدة، أو يعدل ويميل عن المتابعة والنصرة، وقيل معناه يهم بالتخلف عن الغزو لما هم فيه من الشدة العظيمة.⁽²⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيْزِيْغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ﴾: في فاعل كاد ثلاثة أوجه:

أ. ضمير الشأن، والجملة بعده في موضع نصب.

ب. فاعلها ماضر تقديره: من بعد ما كاد القوم، والعائد على هذا الضمير في منهم.

ج. فاعلها القلوب، ويزع في نية التأخير، وفيه ضمير فاعل، ويحسن هذا الوجه من الإعراب على القراءة بالناء، أما القراءة بالياء فلا يصح عليه هذا الوجه.⁽³⁾

جملة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على جملة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي تاب على غير هذا الفريق مطلقاً، وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ، فتكون ثم على أصلها من المهلة.

جملة: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ جاءت تعليلاً لما قبلها.⁽⁴⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14/540، وتفسير القرطبي 8/278-279، والكشف 2/318، وتفسير المنار 11/52-53، والأنوار الكاشفة ص: 266، والموسوعة القرآنية 10/43، والجواهر الحسان 3/223.

(2) ينظر: فتح البيان 5/418، وفتح القدير 2/470، وبحر العلوم 2/93، وتفسير العز بن عبد السلام 2/56، والتحرير والتور 11/51.

(3) ينظر: التبيان 2/662.

(4) ينظر: التحرير والتور 11/51.

3. القراءات:

قال تعالى: **﴿يَرِيَعُ﴾** فيها قراءتان، وهي على النحو التالي:

أولاً: قرئ بالياء المفتوحة، وهي قراءة حمزة، وحفص.

ثانياً: بالباء المفتوحة، وهي قراءة باقي السبعة.⁽¹⁾

التوجيه: من قرأ بالياء المفتوحة بلفظ التذكير، قال الفراء: الفعل المسند إلى المؤنث إذا تقدم عليه جاز تذكيره وتأنيثه، فذكر (يزيق) كما ذكر (كاد) لتشابه الفعلين، ومن قرأ بالباء بلفظ التأنيث، ولفظ التأنيث إذا لم يكن حقيقياً، جاز التأنيث والتذكير، لأن الفعل مقدم فيجوز التذكير والتأنيث.⁽²⁾

رابعاً: المعنى الاجمالي:

أخبر الله بِعَنْكَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا أنَّ من لطفه وإحسانه رزق الإنابة إلى أمره وطاعته، وأنه تاب عليه بعدها أذن للمنافقين في التخلف عنه، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله الذين اتبعوا رسول الله بِعَنْكَ في ساعة العسرة منهم من النفقه والظهر والزاد والماء، وكان جيش العسرة من المهاجرين والأنصار ومن غيرهم من القبائل التي حول المدينة ومكة، ولكنهم خصوا بالباء لأنهم لم يتردوا ولم يتناقلوا ولا شحوا بأموالهم، فكانوا أسوة لمن اقتدى بهم من غيرهم من القبائل، وكرر ذكر التوبة لأنَّه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم الله بِعَنْكَ ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة، ولقد رزقهم الله بِعَنْكَ الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه، وإبصار الحق الذي كاد يلتبس عليهم، وإن الله بِعَنْكَ بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رعوف بهم، ورحيم من أن يهلكهم فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله بِعَنْكَ ما أبلوا مع رسوله بِعَنْكَ، وصبروا عليه من الابسأء والضراء.⁽³⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

(1) ينظر: فتح القدير / 2، 470، ونفسير القرطبي / 8، 280، وفريدة الدهر / 2، 859-860، تفسير البغوي / 2، 397، نفسير المنار / 11، 53، والتحرير والتوير / 11، 50، الموسوعة القرآنية / 5، 298.

(2) ينظر: بحر العلوم / 2، 93، والوسط في تفسير القرآن المجيد / 2، 529، ونفسير المنار / 11، 53، ونفسير القرطبي / 8، 280.

(3) ينظر: تفسير ابن كثير / 4، 228-229، وفتح البيان / 5، 416-417، وفتح القدير / 2، 470، والوسط في تفسير القرآن المجيد / 2، 529، ونفسير العز بن عبد السلام / 2، 56، ونفسير المراغي / 11، 40-41.

﴿إقالة العثرات﴾:

يجب إقالة العثرة، وخصوصاً بين المתחابين في الله عَزَّلَهُ، بين من يعملون في سبيل نصرة دينهم، والدعوة لإعلاء كلمة الحق، فالله عَزَّلَهُ عفو، ومن آثار الإيمان بهذا الاسم وجوب التحلية بصفة العفو لأن الخطأ وارد، والإساءة محتملة من كل شخص، والخطأ على ضربين اجتهاد وتعمد، من هنا لا يخطئ؟؟ فكلنا خطئ ونصيب، وقد تزل القدم، ويفلت اللسان فلسنا معصومين، فقد زل من قبلنا، ولن يسلم من بعدها، وما كان اجتهاداً فقد يكون للعوامل النفسية دور في حصوله من مريد الخير، فالله عَزَّلَهُ كريم يقيل عثرات الكرام.

﴿الصديق وقت الضيق﴾:

ها نحن نرى كيف تكون الصدقة الحقة والإيمان الثابت وكيف كانت صحابة رسول الله ﷺ، والصدقة مشاركة في السراء والضراء وهي بذل وعطاء، فالصديق الحق هو الذي يكون بجوار صديقه وقت الشدة ولا يتخل عنده حين يحتاج إليه، وهذا ما حدث مع الصحابة الكرام في جيش العسرة، حيث آثروا الجهاد ونصروا الدين الإسلامي على مطالبهم وحياتهم، ولذا يجب علينا أن نحسن اختيار الصديق لأن الصديق مرآة لصديقه، فيجب علينا اختيار الصديق المناسب بالأخلاق والملتزم بالسلوك الحسن والجميل، والذي يأخذ بيدهنا إلى طريق الأمان والسلام، الصديق الحقيقي هو الذي يؤثرك على نفسه ويتمنى لك الخير دائماً قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُؤْثِرُونَ عَنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: 9]، وينصحك إذا رأى عيوبك ويشجعك إذا رأى منك الخير ويعينك على العمل الصالح، ويوسع لك في المجلس ويسبقك بالسلام إذا لقيك، ويسعى في حاجتك إذا احتجت إليه، وهو الذي يحبك بالله وفي الله عَزَّلَهُ دون مصلحة مادية أو معنوية، وهذا ما نحتاجه اليوم في زمن كثرة فيه الفتنة، وصعوبة فيه الحياة، وتشابك فيه الطرق، عن أَبِي مُوسَى عَلِيِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَيِّثَةً".⁽¹⁾

(1) صحيح البخاري 7/96، كتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، حديث رقم: 5534

المطلب الخامس

التوبة الخاصة على الثلاثة الذين خلوا عن غزوة تبوك

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَنْذِنَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَيْنَهُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَجَبَتْ وَصَافَتْ عَيْنَهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَلَوْا أَنْ لَمْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ شَرَّابٌ عَلَيْهِمْ لِيَشْوُؤُا إِنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوَابُ الرَّحِيمُ﴾ ^(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّدِيقِينَ ﴿[١١٩-١١٨] [التوبية: 118-119].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

يقول الرازي في تفسيره: "إن الآية معطوفة على الآية الأولى، والتقدير: لقد تاب الله عَزَّلَ على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار الذين اتبوا في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلوا، والفائدة في هذا العطف أنَّا بَيْنَ أَنْ ضم ذكر توبته إلى توبة النبي ﷺ، كان ذلك دليلاً على تعظيمه وإجلاله، وهذا العطف يوجب أن يكون قبول توبة النبي ﷺ وتوبة المهاجرين والأنصار في حكم واحد، وذلك يوجب إعلاء شأنهم وكونهم مستحقين لذلك".^(١)

ثانياً: سبب النزول:

ورد في صحيح البخاري سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَنْذِنَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَيْنَهُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَجَبَتْ وَصَافَتْ عَيْنَهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَلَوْا أَنْ لَمْجَأً مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ شَرَّابٌ عَلَيْهِمْ لِيَشْوُؤُا إِنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوَابُ الرَّحِيمُ﴾ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: سمعتْ كعبَ بنَ مَالِكَ - وَهُوَ أَحَدُ الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ تَبَّبَّ عَلَيْهِمْ، أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَرَّاها قَطُّ، غَيْرَ غَرْوَتَيْنِ غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ، وَغَرْوَةِ بَدْرٍ قَالَ: فَاجْمَعْتُ صِدِّيقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضُحَى، وَكَانَ قَلْمَما يَقْدُمُ مِنْ سَفَرٍ سَافِرَهُ إِلَّا ضُحَى، وَكَانَ يَبْدُأُ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَلَامِي، وَكَلَامِ صَاحِبِيِّ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْ كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْمُتَخَلَّفِينَ غَيْرِنَا، فَاجْتَنَبَ النَّاسُ كَلَامَنَا، فَلَبِثَ كَذَلِكَ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ الْأَمْرُ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَهْمُ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ يَمُوتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونَ مِنَ النَّاسِ بِنِلَكَ الْمَنْزِلَةِ فَلَا يُكْلِمُنِي أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُصَلِّي وَلَا يُسْلِمُ عَلَيَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، حِينَ بَقِيَ الْثَلَاثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أَمْ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمْ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنَيَةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ تَبَّبَ عَلَيَّ كَعبٌ" قَالَتْ: أَفَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: "إِذَا يَحْطِمُكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ التَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ" حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَانَهُ

(١) مفاتيح الغيب / 164

قطعةٌ مِنَ الْقَمَرِ، وَكُنَّا أَلِيًّا إِلَيْهَا الْثَلَاثَةُ الَّذِينَ خَلَفُوا عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي قُبِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَرَوا، حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ لَنَا التَّوْبَةَ. ⁽¹⁾

الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو هم: كعب بن مالك الأنصاري، ومرارة بن الريبع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، كلهم من الأنصار. ⁽²⁾

عَنْ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ "فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَاهَنِي، مَا تَعْمَدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبية: 117]، إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبية: 119]. ⁽³⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

خلفوا: ورد فيها قولان، هما:

أ. خلفوا، عن التوبية؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبية: 117]، وتأخر أمرهم عن توبه أبي لبابة وأصحابه عليهم بعدهم، فكانوا يتهللون ويدعون الله يغفر حتى تاب الله تعالى عليهم فتابوا.

ب. خلفوا عن غزو تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله فيها لما تقدمهم القوم، فهم المخلفون بتقدم أولئك. ⁽⁴⁾

الراجح: قال كعب بن مالك عليه السلام: خلفوا عن قبول العذر، وليس بتخلفنا عن الغزو، ويقوى ذلك كونه جعل: (حتى إذا صافت عليهم الأرض) غاية للتخلف، أي: خلفوا عن قبول العذر، وأخروا

(1) صحيح البخاري 6 / 70، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَعَلَى النَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَلَوْا أَنْ لَا مُلْجَأٌ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَشُوُبُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾، [التوبية: 118]، حديث رقم: 4677.

(2) ينظر: الرحيق المختوم ص: 401، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ص: 631، وجامع البيان 544/14.

(3) صحيح البخاري 6/70، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿يَا أَلِيًّا إِلَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبية: 119]، حديث رقم: 4678.

(4) ينظر: الكشاف 2/318، مفاتيح الغيب 16/164، ولباب التأويل 2/415، وزاد المسير 2/308، وتأويلات أهل السنة 5/504، وتفسير العز بن عبد السلام 2/57، أنوار التنزيل 3/101، وبحر العلوم 2/96.

حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحب ⁽¹⁾، ورجحت الباحثة هذا المعنى بسبب ما ذكر على لسان أحد المخالفين عن الغزوة مع رسول الله ﷺ وهو كعب بن مالك رض.

ضاقت عليهم الأرض: يحتمل هذا على التحقيق، ويحتمل أن يكون على التمثيل، للتحقيق وجهان:

- أ. ما ذكر أنهم شدوا أنفسهم بالسواري.
- ب. لما حبسوا أنفسهم عن أراضيهم، وتركوا شهواتهم وأماناتهم وما يتذذلون به؛ ذلك ضيق الأرض.

ضاقت عليهم أنفسهم: تحتمل وجهين، هما:

- أ. لما شدوا أنفسهم بالأسطوانات.
- ب. يحتمل أن يكون على التمثيل؛ وذلك أن الخوف إذا اشتد بالإنسان وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار في الأرض والتذذل فيها. ⁽²⁾

الصادقين : المراد بالصادقين في الآية الكريمة ذكر فيه ثمانية أقوال، ولكن سأكتفي بذكر خمسة منها، وهي ما أراها موافقة للنص القرآني:

- أ. النبي ﷺ وأصحابه.
- ب. أبو بكر وعمر رض.
- ج. الثلاثة الذين خلّفوا، صدّقوا النبي ﷺ عن تأخرهم.
- د. المهاجرون، لأنهم لم يختلفوا عن رسول الله ﷺ في الجهاد، وقيل: إن أبا بكر الصديق رض احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معاشر الأنصار، إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَوَّنُونَ فَضَلَّا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانَهُ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحشر: 8] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم، قال: فإن الله عز وجل يقول: ﴿أَتَقْرَأُ اللَّهَ وَكُنُّوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبية: 119]، فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فحنن الأمراء وأنتم الوزراء.
- هـ. المسلمين عامة. ⁽³⁾

(1) البحر المدید في 2/437، والبحر المحیط 5/519.

(2) ينظر: تأویلات أهل السنة 5/505.

(3) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي 2/598، وزاد المسير 2/308، وتقسیر العز بن عبد السلام 2/57.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْثَّالِثَةِ﴾: يأتي إعرابها بعدة وجوه:

أولاً: أنها معطوفة على النبي ﷺ أي: تاب على النبي وعلى الثلاثة

ثانياً: معطوفة على ﴿عَلَيْهِم﴾: أي: ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة.⁽¹⁾

قوله تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جار و مجرور متعلق بملجاً بحذف مضاف أي من عذاب الله ﷺ، أو من سخط الله ﷺ.⁽²⁾

المصدر المؤول ﴿بِمَا رَحِبْتَ﴾: في محل جرّ بالباء والجار والمجرور حال من الأرض، أي ضاقت حال كونها رحبة، أي: مع رحبها.

جملة: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْض﴾ في محل جرّ مضاف إليه، وجملة: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُم﴾ في محل جرّ معطوفة على جملة: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْض﴾.

جملة: ﴿تَابَ عَلَيْهِم﴾ لا محل لها معطوفة على جواب الشرط المقدر أي لجأوا إليه ثم تاب الله ﷺ عليهم.

جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَابُ الرَّحِيمُ﴾ لا محل لها من الإعراب وهي جملة تعليلية.

جملة النداء: ﴿يَكَانُوا أَلَيْكُمْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وهي جملة استثنافية.⁽³⁾

﴿أَلَيْكُمْ﴾ اسم موصول مبني في محل نصب بدل من أي، أو عطف بيان ﴿إِمَّا مَنْ﴾.⁽⁴⁾

3. الجوانب البلاغية:

المجاز: في قوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْض﴾، أي قلوبهم، وعبر عنها بذلك مجازاً لأن قيام الذات بها، ومعنى ضيقها غمها وحزنها كأنها لا تستوعب.⁽⁵⁾

الصورة هنا تجسم الحالة النفسية، وما كانوا فيه من ضيق وكرب، بسبب تخلفهم عن المعركة ومشاركتهم مع الرسول ﷺ، فالأرض على سعتها تضيق بهم، وتأخذ بخافهم، فلا يجدون فيها

(1) ينظر: التبيان 2/ 663، والجدول 11/ 51.

(2) ينظر: إعراب القرآن، الدعايس 2/ 11، الجدول 11/ 52.

(3) ينظر: الجدول 11/ 52 - 55.

(4) إعراب القرآن الدعايس 2/ 11، والجدول 11/ 55.

(5) البحر المحيط 5/ 519، والجدول 11/ 53.

إلا الضيق والكرب، حتى نفوسهم، أ أيضاً ضاقت عليهم، فشعروا بالاختناق في أعلى مداه، فهم لا يجدون سروراً ولا أنساً بعد مقاطعة المجتمع الإسلامي لهم، فالأرض تضغط عليهم من الخارج، ونفوسهم تضغط عليهم من الداخل، وليس لمثل حالتهم إلا الله ﷺ، وبعد هذا الكرب الخانق، يأتي الفرج، وتنتفع غمتهم.⁽¹⁾

4. القراءات:

أ. قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قرأ ابن مسعود وابن عباس (وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ)، و(مع) تأتي بمعنى: (من).⁽²⁾

5. استنباطات فقهية:

في هذه الآيات دليل على أنه لا يقبل خبر الكاذب ولا شهادته، قال مالك: "لا يقبل خبر الكاذب في حديث الناس وإن صدق في حديث رسول الله ﷺ".

قال غيره: "يقبل حديثه، والقبول فيه مرتبة عظيمة، ولولاية لا تكون إلا لمن كرمت خصاله، ولا خصلة هي أشرف من الكذب، فهي تعزل الولايات، وتبطل الشهادات".⁽³⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

ذكرت الآية الكريمة الثلاثة الذين لم تنزل توبتهم مع أبي لبابة وأصحابهم ﷺ، وأخرّها الله ﷺ حتى أنهم ﴿ضاقتَ عَيْنَهُمُ الْأَرْضُ﴾ مع سعتها، والسبب في ذلك أن المسلمين منعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي ﷺ مُعرِضاً عنهم، وبقوا على هذه الحالة خمسين يوماً، وهذا مثل لشدة الحيرة التي كانوا فيها، لأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرنون فيه فلقاً وجزعاً، ﴿وَضَاقَتَ عَيْنَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بالهم والغم، ومجانبة الأولياء والأحباء، ونظر الناس لهم بعين الإهانة، بحيث لا يسعها أنسٌ ولا سرور، وعلموا يقيناً بأنه لا عاصم من الله ومن عذابه إلا هو، والاستغفار إليه، ثم أعاد الله ﷺ التوبة عليهم تأكيداً، لَيَتُوبُوا وَيَسْتَقِيمُوا، والله ﷺ هُوَ التَّوَابُ لِمَنْ تَابَ وَلَوْ عَادَ في اليوم مائة مرة، وهو الرَّحِيمُ المتفضل عليهم بالنعم.

يوجه الله ﷺ الخطاب لهم ويقول يا أيها الذين آمنوا اثبتو على التقوى والإيمان، واتّقوا الله فيما لا يرضاه، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في إيمانهم وعهودهم، وكونوا في الدنيا من أهل ولائته وطاعته تكونوا في الآخرة مع الصادقين في الجنة، وهذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد

(1) وظيفة الصورة الفنية في القرآن ص: 251.

(2) ينظر: الكشاف 2/ 319، وزاد المسير 2/ 308، والمحرر الوجيز 3/ 95.

(3) أحكام القرآن لابن العربي 2/ 599.

قصة ثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين، فجاء هذا الأمر اعترضاً في أثناء الكلام لأن في القصة ما يجب التتبّيه على امتهاله.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿الصدق مفتاح النجاة﴾:

نرى هذا جلياً فيما قام بفعله كعب بن مالك رض بأنه صدق في حديثه مع الرسول ص، ولم يختلف الأذار الكاذبة لتخلفه عن الغزو، فكان له النجاة ونزول المغفرة له والتوبة عليه من رب العباد، فلذلك يجب علينا في كل زمان ومكان أن نتحلى بالصدق في المعاملة مع المسلمين، فهو منجاة، والكذب خيبة وخسنان وأجمل ما يتحلى به الإنسان صفة الصدق التي تورث صاحبها الاحترام والمحبة، وقد كان رسولنا الكريم ص صديقاً وسمى الصادق الأمين فما أجمل أن يتحلى الإنسان الصدق في أقواله وأفعاله حتى يكتب عند الله صديقاً، مصادقاً لذلك حديث خير البرية محمد ص، عن عبد الله بن مسعود رض، عن النبي ص قال: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْنُدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِيقًا. وَإِنَّ الْكَذَبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْنُبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».⁽²⁾

إن الصدق لا يكون في القول فقط، الصدق يكون في النية والإرادة، وفي العزم، وفي الوفاء بالعهد، وتحقيق مقامات الدين كلها، والكذب آفة تهدم المجتمعات، وهو خصلة ذميمة وصفة قبيحة وعمل رذيل وظاهرة اجتماعية انتشرت مع الأسف في أوساط الكثirين، في المنتديات والمجالس وال العلاقات والمعاملات وقل أن يسلم منه الصغير والكبير والذكر والأنثى، والناس فيه بين مقلٍ ومستكثر - إلا من رحم الله -، حتى أن الكذب كاد أن يكون بضاعة التجار والأزواج والأولاد، والكتاب والإعلاميين، وبكاد الواحد لا يعرف الصادق من غيره وذلك لكثرة الكاذبين.

الصدق من الأخلاق الحميدة والصفات الجميلة، وهو أصل الإيمان وأساس النجاة من عذاب الواحد الديان، والكذاب آثم وعواقب الكذب خطيرة على الفرد والمجتمع، ودليل على ضعف النفس ودناءة الشأن وقلة التقوى، والكذاب مهين لنفسه بعيد عن عزتها، وكم من كذبة أوقعت

(1) ينظر: جامع البيان/14/543-544، ومفاتيح الغيب/16/165، وال Kashaf/2/319، و زاد المسير/2/308، أنوار التنزيل/3/101، ومدارك التنزيل/1/715، ومحاسن التأويل/5/520، ومراح لبید لكشف معنى القرآن المجيد/1/473، وتقسيم المنار/11/53، والمحرر الوجيز/3/93-95، والبحر المديد/2/438.

(2) صحيح البخاري/8/25، كتاب: الأدب، باب: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبية: 119] وَمَا يُنْهَى عَنِ الْكَذِبِ، حديث رقم: 6094.

بين الناس عداوة وبغضاً، وكم من كذاب فقد الناس النقة به وعاملوه على خوف وارتياب، فلذلك يجب رفع شعار الصدق لأنه كالسيف إذا وضع على شيء قطعه وإذا واجه باطلاً صرעה، وإذا نطق به عاقل علت كلمته، وسمت مجنته، فهو مفتاح لجميع الأعمال الصالحة والأحوال الإيمانية، وهو من أفضل أعمال القلوب بعد الإخلاص لله ﷺ، فلنتحرّ الصدق في القول والفعل لنفلح في الدنيا والآخرة.

﴿أَعْدَاءُ إِلَّا سَلَامٌ يَتَرَبَّصُونَ بِالدِّينِ إِلَّا سَلَامٌ﴾:

يجب علينا استخدام أسلوب الشدة والهجر تارة، والعطف والرحمة بمرتكبي الأخطاء تارة أخرى، وذلك تأديباً لهم لينزجروا عن أفعالهم وارتكاب المعاصي، ويكونوا عبرة لغيرهم، ولمن شول لهم أنفسهم العمل مثلهم، ولكن في الوقت نفسه يجب أن نحذر من أعداء الإسلام والذين يتربصون بنا الدوائر، ويرصدون ما وقع بين المسلمين، فإنهم ينتظرون اللحظة المناسبة للإيقاع بال المسلمين، لدس السم بينهم، وهذا ما نلمسه ونراه جلياً في قصة الصحابي كعب بن مالك ﷺ عندما أرسل له مالك غسان بالقول له "إِلْحَقْ بَنَا نَوَاسِكَ"، وهذا ما يحدث في واقعنا المعاصر من محاولة من الكيان الصهيوني للإيقاع بالمعاقبين في وحل العمالة والتخابر مع الاحتلال، فيجب الحذر من ذلك.

﴿هَرَجَنَ أَهْلُ الْمَعَاصِي تَأْدِيبًا لَّهُمْ﴾:

التأديب يكون بسخط المجتمع وتعنيفه للمسيء، واتخذ رسول الله ﷺ المجتمع وسيلة للتأديب، وفي الآية الكريمة دليل على أن النقد الاجتماعي من أساليب التربية الاجتماعية في الإسلام، ولكن لا يلجأ إليها إلا عند الضرورة القصوى، وهذا يدل على أن مؤدب الناشئين، يحق له بل يجب عليه أحياناً، أن يحرم المخطئين من معاشرة زملائهم فترة من الزمن، عقوبة وردعاً لهم حتى يشعروا بندمهم وتوبتهم، ورجوعهم إلى الصواب، أو يأخذ عليهم العهد بذلك، شريطة أن يعرفوا أخطاءهم، وسبب إزال هذ العقوبة بهم، وأن يتoscم فيهم الاستفادة من هذه العقوبة، فقد ترك رسول الله ﷺ المنافقين لم يعاقبهم على تخلفهم، وخص هؤلاء الثلاثة بهذه العقوبة، لعلمه بأنها هي الأنفع لهم، وأنهم أجرأ أن يتغذوا بها⁽¹⁾، ويمكننا تطبيق هذا الأسلوب في الأسرة وخاصة في تربية الأبناء في مختلف المراحل العمرية التي يمررون بها، بأنَّ الابن إن أخطأ يتم عزله عن إخوته ووالديه لفترة من الزمن حتى يعترف بخطئه، ويندم على فعله الذي ارتكبه، والإصرار على عدم الرجوع لمثل ذلك، وأيضاً يمكن للمعلم في الفصل أن يطبق ذلك مع تلاميذه الذين يخطئون ويقع منهم بعض التصرفات، ويتم ذلك بأن يحرم المعلم الطالب المشاركة في بعض الأنشطة الصيفية أو حرمانيه من الأنشطة الالاصفية، وإلى غير ذلك من الأساليب التي يراها المعلم مناسبة حسب الموقف التعليمي، الذي يجده.

(1) ينظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص: 146.

المبحث الثاني

المقصود والأهداف لسورة التوبه من الآية

الجهاز في سبيل الله ﷺ (120-123)

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فريضة الجهاد على أهل المدينة
والأعراب، وجزاؤه.

المطلب الثاني: الجهاد فرض كفاية، وطلب العلم فريضة.

المطلب الثالث: السياسة الحربية في قتال الكفار.

المطلب الأول

فريضة الجهاد على أهل المدينة والأعراب وجزاؤه

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ ذَلِكَ إِنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَّاً وَلَا نَصَبًّا وَلَا مُخْصَسَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغْيِطُ الْكُثُرَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَذَّبَةٍ إِلَّا كُثُبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَنَعُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾١٢٠﴾ [التوبية: 120-121].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

عندما بينَ أنَّ ما حدث للمسلمين من الأهوال إنما نالهم ذلك بخلافهم عن أشرف الخلق محمد ﷺ، والذي التفت بهم إلى مرابع الإقبال إنما هو الصدق، فالله يعلم نهاهم بصيغة الخبر ليكون أبلغ، وجماعاً إليهم من كان على مثل حالهم في مطلق التخلف.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ: أي لا يؤثروا أنفسهم على نفسه، لا ينبغي أن يكونوا بأنفسهم أبداً وأشدق من نفس محمد ﷺ، وأن يتركوا محبته، أو لا يرکنوا بإبقاء أنفسهم على إبقاء نفسه.⁽²⁾

يَطْعُونَ: "الوطء هو الدوس بالأرجل، والموطئ: مصدر ميمي للوطء، والوطء في سبيل الله يعلم هو الدوس بحوافر الخيل وأخلفات الإبل وأرجل الغزاة في أرض العدو، فإنه الذي يغيط العدو ويغضبه لأنه يأنف من وطء أرضه بالجيش".⁽³⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿حَوْلَهُم﴾ ظرف متعلق بمحذف صلة الموصول.

الجار وال مجرور في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ متعلق بحال وأن وما في حيزها اسم كان المؤخر.⁽⁴⁾

(1) ينظر: نظم الدرر 9/43.

(2) ينظر: التفسير الوسيط 4/31، وبحر العلوم 2/97.

(3) التحرير والتوكير 11/56.

(4) ينظر: المحتوى 2/419، وإعراب القرآن وبيانه 4/193.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغُبُوا إِنْفِسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ﴾ الواو عاطفة ويرغبوا يجوز فيه النصب على العطف على أن ﴿وَلَا﴾ نافية، والجزم على أن ﴿وَلَا﴾ نافية، و﴿عَنْ نَفْسِهِمْ﴾ حال أي عليهم أن يصحبوا على كل حال، وفي البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال ويحتملوا المشاق والمكاره وأن يلقوا أنفسهم من الشدائـد ما تلقاء نفسه فـكـأنـه لم يـصـنـ نفسه ولم يـرـيـاـ بهاـ عـنـدـماـ نـاهـزـ الشـدائـدـ، وكـابـدـ الأـهـوـالـ فـمـاـ أـجـدـهـمـ بـالـحـذـوـ حـذـوـ وـاقـفـاءـ آـثـارـ خطـاهـ.⁽¹⁾

قوله تعالى: ﴿فِي سَيِّلِ اللَّهِ﴾ الجملة حال من الهاء أو صفة لمخضـة.⁽²⁾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْلُونَ مَوْطَنًا يَغْيِطُ الْكُفَّارَ﴾، ﴿مَوْطَنًا﴾ إما اسم مكان فيعرب مفعولاً به أي يـدوـسـونـ مـكـانـاـ إـمـاـ ظـرفـ فيـعـربـ مـفـعـولاـ مـطـلـقاـ وـجـمـلـةـ يـغـيـطـ الـكـفـارـ صـفـةـ لمـوـطـنـاـ.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَنَعُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، جملة ﴿كُتُبَ﴾ في موضع نصب على الحال من ﴿ظَمَاءً﴾ فالاستثناء مفرغ من أعم الأحوال.⁽⁴⁾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَيْرَةً﴾ عطف على ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾، و﴿نَفَقَةً﴾ مفعول به أي: ولو تمرة فـماـ فـوـقـ.

جملة: ﴿كُتُبَ﴾ حال من ﴿وَادِيًّا﴾، وجـازـتـ الـحـالـ مـنـ النـكـرـةـ لـسـبـقـهاـ بـالـنـفـيـ.⁽⁵⁾

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الهاء في ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ مفعول به أول و﴿الله﴾ فـاعـلـ وـ﴿أـحـسـنـ﴾ مـفـعـولـ بـهـ ثـانـ أوـ مـفـعـولـ مـطـلـقاـ بـمـعـنـيـ أيـ يـجـزـيـهـمـ أـحـسـنـ جـزـاءـ.⁽⁶⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قولـهـ تـعـالـىـ:ـ ﴿وَلَا يَرْغُبُوا إِنْفِسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ﴾ـ الرـغـبـةـ تـعـدـيـ بـحـرـفـ (ـفـيـ)ـ فـتـقـيـدـ مـعـنـيـ مـوـدـةـ تـحـصـيلـ الشـيـءـ وـالـحـرـصـ فـيـهـ، وـتـعـدـيـ بـحـرـفـ (ـعـنـ)ـ فـتـقـيـدـ مـعـنـيـ الـمـجـاـفـاـةـ لـلـشـيـءـ، وـفـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ تـعـدـتـ بـ (ـعـنـ)ـ، أـرـيدـ بـهـ بـرـغـبـتـهـمـ عـنـ نـفـسـهـ، أـيـ:ـ مـحـبـتـهـمـ وـحـرـصـهـمـ عـلـىـ سـلـامـتـهـاـ دـوـنـ الـحـرـصـ عـلـىـ سـلـامـةـ نـفـسـ الرـسـوـلـ ﷺـ،ـ فـكـأـنـهـمـ رـغـبـواـ عـنـ نـفـسـهـ إـذـ لـمـ يـخـرـجـواـ مـعـهـ مـحـقـظـيـنـ لـأـنـسـهـمـ،ـ لـأـنـهـمـ بـمـقـدـارـ مـنـهـ يـزـدـادـ تـعـرـضـ نـفـسـ الرـسـوـلـ ﷺـ مـنـ الـخـطـرـ قـرـيـاـ،ـ

(1) يـنـظـرـ:ـ إـعـرـابـ الـقـرـآنـ وـبـيـانـهـ 4/193.

(2) يـنـظـرـ:ـ إـعـرـابـ الـقـرـآنـ لـدـعـاـسـ 2/11.

(3) التـبـيـانـ 2/663.

(4) يـنـظـرـ:ـ الـمـجـتـبـيـ 2/419،ـ وـالـتـحـرـرـ وـالـتـوـيـرـ 11/57.

(5) الـمـجـتـبـيـ 2/419.

(6) يـنـظـرـ:ـ إـعـرـابـ الـقـرـآنـ وـبـيـانـهـ 4/194.

فتخلف واحد منهم عن الخروج معه عن على تقريب نفس الرسول ﷺ، من التلف فلذلك استعير لهذا التخلف لفظ الرغبة عنه.⁽¹⁾

ب. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًّا﴾ قطع الوادي يعني اجتيازه وعبوره، وحقيقة القطع تكون بتقريص أجزاء الجسم، وأطلق على الاجتياز على وجه الاستعارة.⁽²⁾

ج. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا﴾ فيها جناس ناقص وكذلك بين ينالون ونبيلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ تَيْلًا﴾.

4. الناسخ والمنسوخ:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوَلُوهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ اختلف المفسرون في حكم هذه الآية إلى قولين، هما:

الأول: إن الآية محكمة، وإنما كان ذلك لرسول الله ﷺ خاصة، لم يكن لأحد أن يختلف إذا غزا خلافه فيقعد عنه، إلا من كان ذا عذر، فأما غيره من الأئمة والولاة، فإن لم من شاء من المؤمنين أن يختلف خلافه، إذا لم يكن بال المسلمين إليه ضرورة.

الثاني: قال آخرون: هذه الآية كانت حكماً عاماً، وعندما كان أهل الإسلام قلة، فلما كثروا نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن شاء عن الجهاد والغزو، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَتَفَرَّوْا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرُوا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الْأَيْمَنِ﴾ [التوبه: 122].⁽³⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

الآية استئناف ابتدائي لإيجاب وتأكيد الغزو مع رسول الله ﷺ وما فيه من الأجر العظيم، وحظر تخلف أحد عنه إلا بإذنه، بما فيه من تفضيل أنفسهم على نفسه، وخص هؤلاء بالذكر وهم أهل المدينة سكان مدينة رسول الله ﷺ ومن حولها من الأعراب سكان الباية ويقال هم: مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، وقيل هو عام في كل الأعراب لأن اللفظ عام وحمله على العموم أولى، وإنما خصمهم الله سبحانه لأنهم قد استئنفوا فلم ينفروا بخلاف غيرهم من العرب فإنهم لم يستئنفوا مع كون هؤلاء لقريهم وجوارهم أحق بالنصرة والمتابعة لرسول الله ﷺ، وإن استوى كل الناس في ذلك لقريهم منه لأنهم لا يخفى عليهم أن يتخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة يغزوها، ومصاحبه ومعاونته والجهاد، ولا يرضون الخفض والدعة ورسول الله ﷺ في الحر والمشقة ومقاساة

(1) ينظر: زهرة التفاسير 7/3479، التحرير والتوير 11/56.

(2) ينظر: التحرير والتوير 11/58.

(3) ينظر: جامع البيان 14/562-563، وفتح البيان 5/424، والتحرير والتوير 11/55، وتفسير البغوي 4/110.

التعب، وذلك النهي عن التخلف، ولا يصيّبهم العطش الشديد وذلك لقلة الماء، ولا إعياء وتعب لبعد الشقة أو قلة الظهر، ولا جوع ومجاعة لقلة الزاد في سبيل إعلاء كلمة الله ﷺ ورفع راية الدين الإسلامي، ولا يقعون موقفاً ولا يضعون قدمًا في موضع ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحواري خيولهم وأخفاقي رواحلهم وأرجلهم، وذلك يغضّب الكفار ويضيق صدورهم، ولا يصيّبون من عدوهم أسرًا أو قتلاً أو غنيمة أو هزيمة، قليلاً ولا كثيراً إلا كان ذلك قربي لهم عند الله ﷺ، والله لا يبطل ثوابهم، وذلك لمبادرتهم إلى أمره ﷺ، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم، ولا ينفّعون نفقة في سبيل الله وهو الجهاد مهما كانت صغيرة وقليلة ولو كانت تمرة وما دونها، أو كبيرة وكثيرة مثلاً فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتجهيزه لجيش العُشرة، ولا يقطعون ولا يجاوزون وادياً في مسیرهم إلى أعدائهم مقبلين غير مدربين، إلا آثارهم الله ﷺ، وأعطاهم وكافأهم بأحسن وأفضل من الذي كانوا يعملونه، وهذه الآيات أشد ترغيباً وتشويقاً للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله ﷺ، والاحتساب لما يصيّبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجرٌ كبيرٌ.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿الجهاد في سبيل الله ﷺ﴾:

إن الآيات الكريمة تضمنت الحث على الجهاد وبيان فضله، وتحدّثت عن أثره ووقعه في نفوس المجاهدين، فقد بينَ المولى ﷺ أن حركات المجاهدين كلها مثابون عليها.

1. فضل الغدوة والروحة في سبيل الله ﷺ:

إن الجاهد في سبيل الله ﷺ، والرّباط على الثغر، وسهر الليل والنهار نائمون، إن هذا كلّه لا يذهب هباءً منثوراً فلهم أجرٌ كبيرٌ عند الله ﷺ، وإن لم يقدره عبيد الله ﷺ، ولنا استئناس بذلك حديث رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "الغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها".⁽²⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 561 - 562، وفتح البيان 5 / 421 - 424، وتفسير ابن كثير 4 / 234-235، التفسير الوسيط للواحدي 2 / 534، وتقسيم البغوي 4 / 109 - 110، ومدارك التزيل 1 / 716 - 717، وتقسيم المنار 11 / 60 - 61، وتقسيم الكريم الرحمن ص: 355، وتأويلات أهل السنة 5 / 507 - 508.

(2) صحيح البخاري 4 / 16، كتاب: الجهاد والسير، باب: الغدوة والروحة في سبيل الله، وفأب قوس أحديكم من الجنّة، حديث رقم: 2792.

2. رسالة للجرحى:

مجاهدون دخلوا ميدان الجهاد والاستشهاد، ولا يعلمون ما هو مخبأ لهم في صفحات القدر إنهم الجرحى، كل الكلمات المسخّرة للتعبير والوصف تعجز أمام الواقع الذي يعيشه الجرحى الذين تسبّب الاحتلال الصهيوني ببتر أجزاءٍ من أجسادهم خلال اجتياحاته واعتداءاته المتكررة على الأراضي الفلسطينية لكن ما يواسيهم هو الأجر الذي أعدّه الله تعالى لهم.

أيها الجريح إن لك مكانةً كبيرةً عند الله تعالى، ويوضح ذلك ما ذكر على لسان النبي ﷺ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **“تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعُهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهِينَتَهُ حِينَ كُلِّمَ، لَوْنَهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحَهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشْقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدُتْ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكُنْ لَا أَجُدُ سَعَةً فَأَحْمَلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشْقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْدَدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ”.**⁽¹⁾

كذلك حديث عن جذب بن سفيان: أنَّ رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميتْ إصبعه، فقال: **“هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعْ دَمِيَتْ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيْتِ”**.⁽²⁾

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **“مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ كَهِينَتَهُ يَوْمَ جُرْحٍ، الَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّبْحُ رِبْحٌ مِسْكٌ”**.⁽³⁾

3. كلمة للأسرى:

أيها القابضون على الحمر في سجون الاحتلال إن كل ما يصيّبكم في الله تعالى لكم أجر كبير، وثواب عظيم عليه عند الله تعالى، ولقد أسر وسجن من هو خير منكم فاصبروا واحتسبوا فالله تعالى معكم، عن عزّة بْنُ الزُّبَيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ،

(1) صحيح مسلم 3/1495، كتاب: الإماراة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم: 1876.

(2) صحيح البخاري 4/18، كتاب: الجهاد والسير، باب: من ينكب في سبيل الله، حديث رقم: 2802.

(3) سنن ابن ماجه 2/934، كتاب: الجهاد، باب: القتل في سبيل الله ﷺ، حديث رقم: 2795، [حكم الألباني: حسن صحيح].

قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَائِكُهَا".⁽¹⁾

4. الكلمة جهاد في سبيل الله ﷺ:

فليرحب العبد إلى مولاه الذي خلقه وهداه، وعافاه وأغناه، وليرحب في دينه وشرعه الذي به يحصل له الفوز والفلاح، وليرحب في جزيل الأجر والثواب الذي أعده مولاه لمن أطاعه واتبع هداه، فما أحوج العباد إلى ربهم، وما أشد رغبتهم إليه في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم.

﴿الإعراض عن الجهاد من دلائل النفاق﴾:

إن المنافقين جعلوا الجهاد جريمة، حذروا أتباعهم منه، فكيف يحدث نفسه بالجهاد من هذه طريقة؟! وكيف له أن يبذل ماله ونفسه في سبيل الله ﷺ، وهو يكن لهم في نفسه البغض والكرابية، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ".⁽²⁾

﴿الإنفاق في سبيل الله ﷺ﴾:

إن الإنفاق في سبيل الله ﷺ من أبرز علامات المؤمنين، وأجدى وسائل قياس منسوبيه في القلب، ذلك أنه حين ننفق أموالنا نشتري بها الجنة؛ وهي غيب لم نراها، جاء خبرها على لسان رسول الأنام، المبعوث لنا من إله جليل وكل ذلك لم نره، ومع ذلك آمنا وأيقنا، وصدق فعلنا قولنا، وثبتت إيماننا وتنقىل موازيننا بإخراج المال، وذلك لتقديم الدليل الظاهر على صدق الإيمان الباطن؛ ويجب على الناس البذل في سبيل الله ﷺ وإثمار ما عند الله ﷺ وشراء موعده، قال الله تعالى: ﴿هُوَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرٌ حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُصَدِّعُ لِمَنْ يَسْأَمُهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 261]، وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: جاء رجلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فقال: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةٍ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ".⁽³⁾

﴿إغاثة الكفار والمنافقين﴾:

يبين ﷺ في هذه الآية أن إغاثة الكفار والنيل منهم وخاصة الذين يحاربون الله ﷺ ورسوله ﷺ والمؤمنين رضي الله عنهما، أمر مقصود من الشارع الحكيم، فإغاثتهم لا تأتي إلا عن طريق البغض والعداوة لهم ولكرفهم وهذا البغض هو الذي يولد الرغبة في حربهم بلا هوادة، ولا تراجع، ولا

(1) صحيح البخاري 7/114، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم: 5640.

(2) صحيح مسلم 3/1517، كتاب: الإماراة، باب: ذم من مات، ولم يغزو، ولم يحدث، حديث رقم: 1910.

(3) صحيح مسلم 3/1505، كتاب: الإماراة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله وتضييفها، حديث رقم: 1892.

استسلام ومفهوم المخالفة في هذه الآية يدل على أن الذي لا يغطي الكفار ولا ينال منهم، ويتولاهم ويحرص على رضاهم مخالف لصفات المحسنين - أعادنا الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من ذلك.⁽¹⁾

لقد نسي المسلمون في عصرنا الحاضر هذه العبارات - إغاظة الكفار -، وأخذت تنتمس وتخفي من حياتهم اليومية رافعين شعارات براقة وبعيدة عن تعاليم الدين الإسلامي كل البعد ومنها ما يسمى باسم التسامح، أو الحرية الدينية، أو العولمة، أو التعايش السلمي، وغيرها من المسميات والألفاظ التي ظاهرها الرحمة وباطنها الدمار للدين، متناسبين ومتجاهلين ما كان يفعله قدوتنا وحبيبنا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف كان يحرص على إغاظة الكفار والنكارة بهم أشد الحرص، لقد ذكر الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فعل الإغاظة بصيغة المدح في سورة الفتح حين وصف المؤمنين، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿يَمْجِدُ الْرَّبَاعَ لِيَغْيِطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** [الفتح 29]، ولنا قدوة بصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قام به ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذي جعله يذهب ليقرأ سورة الرحمن على كفار مكة فيقوموا لضريه، ولو تساءلنا في خلجان نفوسنا ما الذي دعاه لفعل ذلك، وتحمله الشدائ؟! لكنه أعلن الحق أمامهم فلو لم يكن للMuslimين قدرة على المواجهة بالسلاح فقد واجهوه بالقرآن وهذا من باب إغاظة الكفار وإسماعهم ما يكرهون وينكرن، وكذلك الهجرة من مكة إلى المدينة كان بها مغایظة ومراغمة للكفار فحاولوا منعها بشتى السبل والوسائل.

مفهوم الإغاظة لا ينحصر فقط بالقتل والتدمير والمضايقة والكراءة للعدو، خاصة وأننا نمر في عصر التطور والتكنولوجيا فيمكن أن تكون الإغاظة بالقوة التكنولوجية والصناعية، وهذا ما يفعله المجاهدون والمقاومون على أرض الرباط حيث يقوموا باختراق المواقع العسكرية للكيان الصهيوني وإرسال الرسائل التي تغيعتهم وتثبُّت الرعب في قلوبهم، وإغاظة بالحضارة الإنسانية والتقديم العلمي، وتكون الإغاظة الحقة لهم باستقلالنا مادياً وصناعياً، والاكتماء بمنتجاتها المحلية.

◀ انتصار المبدأ:

للمؤمنين مفهوم خاص للنصر، فانتصارهم مرتبٌ بدينهم، فالمؤمن لا يقاتل حمية ولا عصبية، ولا ليقال شجاع، ولا لأرض ولا لقبيلة أو حزب، إنما يقاتل لتكون كلمة الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ العليا، وانتصار المؤمن انتصار لدينه، ولا معنى عند المؤمنين لنصر لا يعز الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فيه الدين، وإنه معنى لا يزعزعه التهديد ولا الترغيب، إنه معنى يوجه المؤمن نحو إيمانه وعمله الصالح، وأن يكون ذلك محط نظره الأول، وأن تكون أولويات حياته منطلقة من هذا الهدف من أجل تحقيق الفوز الكبير، وبهذا يتحرر المؤمن من رقة الجاهلية التي تحاصره بماديتها الضخمة من أجل طعنه

(1) ينظر: المولا والمعاداة في الشريعة الإسلامية ص: 95.

يرمح اليأس ونزع الأمل من قلبه؛ عسى أن يَكُل عن العمل لدينه، أو يمل من الثبات على مبدئه.⁽¹⁾

الجهاد اليوم الذي على أرض فلسطين جهاد لإعلاء كلمة الله ﷺ ولاسترداد الأراضي التي سلبها الكيان الصهيوني غصباً وظلماً وعدواناً، وكذلك ما يقع من ثورات ضد الحكام إنما لإعلاء كلمة الله ﷺ، ومحاربة للطغيان والفساد.

(1) ينظر: مجلة البيان 190/ 28.

المطلب الثاني

الجهاد فرض كفاية، وطلب العلم فريضة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَنْفَقُهُوا فِي الْأَرْضِ وَلَيُثْنِدُوا أَوْهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْذَرُونَ﴾ [التوبه: 122].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما تواترت النواهي للمتخلفين وتوصلت الزواجر وتعاظم التبكيت والتهديد، طارت القلوب وأشفقت النفوس، فكان ذلك مظنة أن لا يختلف بعدها أحد عن رسول ﷺ إذ كان قد عرّفهم في الآية السابقة اللازم لهم من فرض الثغر، والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله ﷺ، وشخوصه عن مدینته لجهاد عدو، وناقشهم نقاشاً عنيفاً كشف فيه أستار النفاق وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر، بعد استتهاض بعضهم وتخلف بعضهم، ناسب أن يكون عقب ذلك، تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله ﷺ بمدینته، وإشخاص غيره عنها، أن يكون فريق من المؤمنين عند رسول الله ﷺ للنفقة في الدين ليكونوا مرشدین لأقوامهم الذين دخلوا في الإسلام، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.⁽¹⁾

ثانياً سبب النزول:

تعددت الروايات في أسباب نزول الآية الكريمة ولكن سأكتفي بذكر الصحيح منها:

1. قال مجاهد: نزلت هذه الآية في أنس من أصحاب محمد ﷺ، خرجوا في البوادي، فأصابوا من الناس معروفاً، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى، فقال الناس لهم: ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحراجاً، وأقبلوا من الbadia كلهم حتى دخلوا على النبي ﷺ، فقال الله ﷺ الآية الكريمة.⁽²⁾

2. قال: عبد الله بن عبيد بن عمير: كان المؤمنون يحرضهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس فأنزل الله ﷺ الآية.⁽³⁾

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 572، نظم الدرر 9 / 47، والتفسير الواضح 2 / 29، والتحرير والتتوير 11 / 59.

(2) تفسير ابن كثير 4 / 236، والدر المنثور 4 / 324.

(3) الدر المنثور 4 / 323.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

لَيَنْفَقُهُوا: يقول محمد ابن عاشور في تفسيره: "أن التفقه هو: تكلف الفقاہة، وهي مشتقة من فقہ (بكسر القاف) إذا فهم ما يدق فهمه فهو فاقہ، فالفقہ أخص من العلم، ولذلك نجد في القرآن استعمال الفقه فيما يخفى علمه كقوله تعالى: ﴿لَأَنَفَقُهُونَ تَسْيِحُهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، ويجيء منه فقہ (بضم القاف) إذا صار الفقه سجيته، فقاہة فهو فقہه".⁽¹⁾

وَلَيُنْذِرُوا: ول يجعلوا عرضهم ومرمى همتهن في التفقه اخبار قومهم بما يتوقع منه شر، وإرشادهم والنصيحة لهم.⁽²⁾

2. الإعراب:

جملة: **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَةً** لا محل لها من الإعراب، وهي معطوفة على جملة: **مَا كَانَ لِأَهْلِ** ما كان لأهل، ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة.⁽³⁾

لكن ما تراه الباحثة وترتضيه بأن الواو عاطفة لتناسق الكلام فإنهم لما وبخهم الله عَزَّلَ بقوله تعالى: **مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْقَمَ مِنَ الْأَعْرَابِ** الآية، وأرسل النبي ﷺ سريعة فنفروا جميعاً، نزلت الآية الكريمة.

قوله تعالى: **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَتِهِمْ طَائِفَةٌ** الفاء فصيحة، الجار و مجرور **مِنْ كُلِّ فِرَقَتِهِ** متعلق بـ (نفر)، و **مِنْهُمْ** حال لأنه كان في الأصل صفة لطائفة، ويجوز أن يكون صفة لفرقة.

لَيَنْفَقُهُوا: اللام للتعليل وينفقهوا منصوب بأن مضمرة و **فِي الَّذِينَ** جار و مجرور متعلقان بـ (ينفقهوا) فالمعنى على الطلب بأنه قال لتخرج طائفة وتبقى أخرى.⁽⁴⁾

المصدر المؤول: **لَيَنْفَقُهُوا** في محل جر باللام متعلق بـ **نَفَرَ**، والمصدر المؤول: **وَلَيُنْذِرُوا** في محل جر معطوف على المصدر المؤول الأول و متعلق بما تعلق به.⁽⁵⁾

(1) التحرير والتوكير 11/61.

(2) ينظر: الموسوعة القرانية 10/44، التحرير والتوكير 11/62.

(3) ينظر: إعراب القرآن للدعاس 2/12، والجدول 11/61، وإعراب القرآن وبيانه 4/195.

(4) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/195، والجدول 11/60، وإعراب القرآن للدعاس 2/12، والتبيان 2/663،

والمحبتي 2/419.

(5) ينظر: الجدول 11/60.

جملة: **﴿مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي مستأنفة.⁽¹⁾

جملة: **﴿رَجَعُوا﴾** في محل جر مضاد إليه.

جملة: **﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** (العل) حرف مشبه بالفعل للترجي، ممكّن أن تكون جملة تعليلية لا محل لها من الإعراب، أو جملة مستأنفة.⁽²⁾

جملة: **﴿يَحْذَرُونَ﴾** في محل رفع خبر لعل.⁽³⁾

3. الناسخ والمنسوخ:

ورد عن ابن عباس في قوله **﴿فَانْفِرُوا تَبَّاعِيْتُمْ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾** [النساء: 71]، وفي قوله تعالى: **﴿أَنْفِرُوا خَفَافًا وَثِقَالًا﴾** [التوبه: 41-42]، قال: إنها نسخت بآيات العذر وهي قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَنْفَقُهُوا فِي الَّذِينَ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** [التوبه: 122]، ومن الذين قالوا بالنسخ في الآية ابن عباس ومحمد بن كعب، وعطاء الخراساني وغيرهم.⁽⁴⁾

ما تميل إليه الباحثة القول الذي ذكره الزرقاني⁽⁵⁾: "إن الآية الأخيرة في النفر للتعليم والتفقه لا للحرب والآياتان قبلها مخصوصتان لا ناسختان للآية الأولى كأنه قال من أول الأمر لينفر منكم خفافاً وثقالاً كل من احتج إليه وهو قادر لا عذر له".⁽⁶⁾

4. استنباطات فقهية:

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَنْفَقُهُوا فِي الَّذِينَ وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾**
أولاً: جواز قبول خبر الواحد العدل.

الفرقة في الآية الكريمة يراد بها الثلاثة فأكثر، والطائفة تصدق على الواحد والاثنين فهي جزء من الفرقة، ومن ذلك أن الله أمر بتشكيل واحد أو اثنين للخروج من كل فرقة تضم ثلاثة أفراد

(1) ينظر: المختبى 2 / 419، والجدول 11 / 61.

(2) ينظر: الجدول 11 / 61، والمختبى 2 / 419.

(3) إعراب القرآن، الدعايس 2 / 12.

(4) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص 3 / 150، البداية والنهاية 5 / 6، ودراسات في علوم القرآن ص: 274.

(5) الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة 1367هـ - 1948م، من كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن، وبحث في الدعوة والإرشاد. ينظر: الأعلام 6 / 210.

(6) مناهل العرفان، الزرقاني 2 / 266.

من أجل التفقه في الدين ومن أجل الإنذار بعد العودة، فدل ذلك على صحة أخذ العلم عن خبر الواحد العدل على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، فلو كان خبر الواحد لا يُفيد العلم لكان ذلك الإنذار أمراً بما لا فائدة فيه.⁽¹⁾

ثانياً: وجوب طلب العلم، وأنه من فروض الكفاية في بعض المعلومات، وفرض عين في بعض.

الآلية الكريمة حجة في أن النفي والتفقه فرضان على الكفاية، فأخبر أن النفي على بعضهم دون بعض، وأن النفي إنما هو على بعض دون بعض، وكذلك ما عدا الفرض في معظم الفرائض التي لا يسع جهلها، وهكذا كل ما كان الفرض فيه مقصوداً به قصد الكفاية فيما ينوب، فإذا قام به من المسلمين من فيه الكفاية خرج من تخلف عنه من المأثم.⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَنْفِرُوا جَمِيعاً لِلْغَزْوِ وَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَرْكَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَوَجْهُ اللَّهِ الْمُبَارَكُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الطَّرِيقِ السَّلِيمِ وَالصَّوَابِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَمْثُلُهُ وَهُوَ أَنَّ عَلَيْهِمْ إِذَا سَرَّى رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَةً أَنْ يَنْفِرَ مَعَهُمْ مِنْ كُلِّ قَبْلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَهِيَ الْفَرْقَةُ، وَذَلِكَ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى مَا بَلَغَ مِنَ الْعَدْدِ، أَيْ أَنَّهُ مِنْ كُلِّ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْهُمْ يَكْفُونَهُمُ الْنَّفِيرُ، لَأَنَّ خَرْوَجَهُمْ جَمِيعاً يُؤْدِي إِلَى تَعْطُلِ الْمَنَافِعِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا بُدُّ لِلْإِسْلَامِ مِنْ الْقِيَامِ بِهَا، وَالْأَنْسَبُ بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ اِنْقَسَامِ النَّاسِ قَسْمَيْنِ: قَسْمٌ لِلْجَهَادِ، وَقَسْمٌ لِلتَّفْقِهِ وَحْفَظِ الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ، كُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْعَمَلُ بِمَا يَرْضَاهُ، وَلَا يَخْفِي ذَلِكَ عَلَى الْمُخْلِصِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيَنْفَقُهُوا﴾ الضمير فيه للفرق الباقيه بعد النافره من بينهم، وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ وَلَيُنْذِرُ الْفَرَقَ الْبَاقِيَةَ قَوْمَهُمُ النَّافِرِينَ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ عَلِمُوا إِخْوَانَهُمْ بِمَا حَصَّلُوا فِي أَيَّامِ غَيْبِتِهِمْ، وَمَا فَاتُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْرَارِ الشَّرِعِ، وَكَذَلِكَ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ بِمَا تَعَانَى مِنْ نَصْرِ اللَّهِ وَلَأَهْلِ دِينِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِهِ، عَلَى أَهْلِ عِدَوَتِهِ وَالْكُفَّارِ بِهِ، فَيَفْقِهُ بِذَلِكَ مِنْ مُعَايِنَتِهِ حَقِيقَةَ عِلْمِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ عَلَى الْأَدِيَانِ، مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيهَ، وَلَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ فَيُحِذِّرُوهُمْ أَنْ يَنْزَلُوا بِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ مِثْلُ الَّذِي نَزَلَ بِمَنْ شَاهَدُوا وَعَانَوا مِنْ ظُفُرِّ بَهِمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِكَ، إِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْ غَزَوْهُمْ،

(1) ينظر: موسوعة الألباني في العقيدة 1/317، وحجية خبر الآحاد ص: 20، واتحاف الجماعة 1/7، توضيح المقاصد 1/210، النكث الدالة على البيان 1/582، أحكام القرآن للكيا الهراسي 4/221.

(2) ينظر: تفسير الإمام الشافعي 2/961-962، والنكث الدالة على البيان 1/582، وأحكام القرآن، للكيا الهراسي 4/221.

﴿أَعْلَمُهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أي لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يذرون فيؤمنون بالله ﷺ ورسوله ﷺ، حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخروا خبرهم ويتذنبونه، وفي هذا خير للجميع.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

» دور المجاهد:

إنَّ دور المجاهدين اليوم أن يمنعوا انهزام الأمة أمام الطوفان الصهيوني، وأن يوقفوا بعثرة الكتلة الحضارية العربية الإسلامية.

كذلك من أهم أدوارهم صد العدوان الغاشم على الأهالي العزل، قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فمن واجب المقاومين أنهم عندما يحدث معهم فتوحات ربانية وهم في ميدان القتال عليهم عند الرجوع إلى أهليهم الإخبار بها حتى يُقْوِّوا العزيمة عند أفراد المجتمع، ويُحيِّوا فيهم دور الجهاد وينذروا العملاء والمتخابرين مع الأعداء.

» دور المتعلم:

إنَّ إسلامنا العظيم الذي شرعه الله ﷺ جاء لسعادة الإنسان ولرقيه وتطوره، قد حث على طلب العلم بالكثير من آيات القرآن الكريم وسنة النبي العظيم ﷺ، ومن جملة الآيات الواردة في هذا المجال قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءاْمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقوله ﷺ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

ومن الأحاديث الواردة في هذا المقام ما روي عن ابن شهاب، قال: قال حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية، خطيباً يقول سمعت النبي ﷺ يقول: "من يُرِدُ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمُ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفُهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ" ⁽²⁾، وعن أبي أمامة الباهلي ⁽³⁾، قال: ذكر رسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدنكم".

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 565-573، الكشاف 2 / 323، وبحر العلوم 2 / 98، وأيسير التفاسير 2 / 438، ومحاسن التأويل 5 / 528، ونظم الدرر 9 / 47.

(2) صحيح البخاري 1 / 25، كتاب: العلم، باب: مَنْ يُرِدُ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ، حديث رقم: 71.

(3) سنن الترمذى 5 / 50، أبواب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم: 2685، [حكم الألباني: صحيح].

العلم لا يقتصر على العلوم الشرعية فقط، بل هناك علوم أخرى، يجب على أفراد المجتمع تعلمها وتقعها للوصول إلى الاكتفاء الذاتي، مثال على ذلك الطلاب الذين يرتحلون إلى الدول الأوروبية لتعلم الطب، فهو لا ينبع عليهم العودة إلى وطنهم لعلاج أبناء شعوبهم ليحفروا عليهم مشاق السفر للعلاج، وهذا على سبيل الذكر لا للحصر، وهذا لا يعني غض النظر عن تعلم العلوم الشرعية، لأنه فرض كفاية على أفراد المجتمع، وكما أن الوطن بحاجة إلى العلوم الدنيوية، فهو بحاجة أيضاً إلى العلوم الشرعية، خاصة في الوقت الحاضر وذلك لما يتعرض له الدين الإسلامي من هجمة شرسة عليه وعلى أبنائه، وكل من تقىه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الأخرين أعملاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

المطلب الثالث

السياسة الحربية في قتال الكفار

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يُؤْنَكُمْ بِنَبْرِ الْكُفَّارِ وَلَيَحْدُوْ فِيْكُمْ غُلَمَّةٌ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِيْكَ﴾ [التوبه: 123].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما أمر الله تعالى فيما سبق من الآيات في السورة بقتال المشركين كافة، وحضر المؤمنين على النفقة في الدين، أرشدهم في هذه الآية إلى طريق السداد في هذا الباب، وهو أن يبدؤوا بقتل من يليهم وبذلك يكون قد جمع من الجهاد جهاد الحجة وجهاد السيف.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يُؤْنَكُمْ: يُؤْنَكُمْ من الولي وهي بمعنى القرب، تقول جلست مما يلي فلان أي: يقاربه، وهم القريبون من البلاد وحدودها، وهم من يتصلون بكم بالجوار⁽²⁾، والمقصود بالذين يلونكم على خمسة أقوال، هي:

أ. "بني قريظة والنضير وخمير وفك ونحوها".⁽³⁾

ب. "الروم".⁽⁴⁾

ج. الدليم.

د. العرب.

هـ. أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب.⁽⁵⁾

(1) ينظر: البحر المحيط 5/ 527، وتفسير المراغي 11/ 49، والتفسير المنير 11/ 80.

(2) ينظر: الموسوعة القرآنية 10/ 45، وأيسر الفتاوى 2/ 439، والتفسير الوسيط لطنطاوي 6/ 428، والتفسير الواضح 2/ 31، والتفسير المنير 11/ 80، و إعراب القرآن وبيانه 4/ 195.

(3) الكشاف 2/ 323، وبحر العلوم 2/ 99، وتفسير البغوي 2/ 406.

(4) جامع البيان 14/ 574، والكشاف 2/ 323، وتفسير البغوي 2/ 406، وأنوار التنزيل 3/ 102.

(5) ينظر: فتح البيان 5/ 426، وتفسير القرطبي 8/ 297، وزاد المسير 2/ 311، والنكت والعيون 2/ 415.

الراجح: ما تميل إليه الباحثة وترتضيه أن المقصود بالذين يلونهم القول الخامس، وهو بأنه عام في جميع الأحوال من مقاتلة الأقرب فالأقرب.

2. الإعراب:

جملة النداء: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي استثنافية.

وجملة: **﴿قَتَلُوا الَّذِينَ يُلُونُكُم﴾** لا محل لها من الإعراب، جواب النداء، وجملة: **﴿يُلُونُكُم﴾** صفة.

الجاز و مجرور: **﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾** متعلقان بمحذوف حال من فاعل **﴿يُلُونُكُم﴾**.

جملة: **﴿وَلَيَحِدُّوا فِيْكُمْ غَلَظَةً﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي معطوفة على جواب النداء.

جملة: **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** لا محل لها معطوفة على جواب النداء ، والمصدر المؤول أن واسمها في محل نصب سد مفعولي اعلموا، و **﴿مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** (مع) ظرف مكان متعلق بمحذوف خبرها.⁽¹⁾

3. القراءات:

قال تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يُلُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَحِدُّوا فِيْكُمْ غَلَظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾** قرأت **﴿غَلَظَةً﴾** على النحو التالي:

أولاً: بكسر الغين **﴿غَلَظَةً﴾**، وهي لغة أسد، وبها قرأ الجمهور.

ثانياً: بفتح الغين (**غَلَظَة**)، وهي لغة الحجاز، وبها قرأ الأعمش، وأبان بن تغلب، والمفضل، كلاهما عن عاصم.

ثالثاً: بضم الغين (**غَلَظَة**)، وهي لغة تميم وبها قرأ أبو حية، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن أبي عبلة.

(الكسر والضم) لغتان ومعناهما واحد.⁽²⁾

(1) ينظر: الجدول 11/62، وإعراب القرآن وبيانه 4/196، وإعراب القرآن للداعس 2/13.

(2) فتح البيان 5/427، وتفصير القطبي 8/298، والموسوعة القرآنية 5/299، والمحرر الوجيز 3/97، وزاد المسير 2/312، والبحر المحيط 5/528، وتأويلاً لأهل السنة 5/512.

4. الناسخ والمنسوخ:

روي عن بعض العلماء ومنهم الحسن أنه قال: أنزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾ [التوبية: 5]، صارت ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَا مَسَّنَا فَنَلْوُا الَّذِينَ يُؤْنَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَحْدُو فِيْكُمْ غَلَظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

قال المحققون من العلماء: ولا وجه للنسخ إذ لا تعارض بين هذه الآية والآيات التي زعمها الحسن ناسخة، فإنه ﷺ أمرهم بقتال المشركين جمِيعاً في أي مكان كانوا، وأرشدهم الطريق الأصوب والأصلح وهو أن يبدؤوا بقتل الأقرب فالأقرب، قرباً مكانياً لا قرباً نسبياً حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد، وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور، ولهذا السبب قد قاتل رسول الله ﷺ أولاً قومه، ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب.⁽¹⁾

5. الإشارات الغيبية:

يقول ابن عاشور في كتابه: إنَّ في توجيهه الخطاب للذين آمنوا دون النبي ﷺ إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزو بعد ذلك وأنَّ أجله الشريف قد اقترب، ولعل في قوله: واعلموا أنَّ الله مع المتقين إيماء إلى التسلية على فقد نبيهم ﷺ وأنَّ الله معهم كقوله في الآية الأخرى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَشْكَرِينَ﴾ [آل عمران: 144].⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يقول الله ﷺ للمؤمنين به وبرسوله ﷺ: يا أيها الذين صدقوا الله ﷺ ورسوله ﷺ، ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً، دون الأبعد فالأبعد، وذلك لأنَّ القتال إنما شرع لتأمين الدعوة إلى الدين والدفاع عن أهله، ويجب على أهل كل ناحية قتال من يليهم ويقر لهم من الأعداء دون الأبعد منهم، وذلك ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطروا إليهم، لزمهم عونهم ونصرهم، لأنَّ المسلمين يدُّ على من سواهم، ويعلم الله ﷺ عباده المؤمنين أسلوب القتال وكيفية المعاملة بأن يجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم منكم شدةً عليهم، وشجاعة وصبر على القتال وال Herb، وأيقنوا عند قتالكم إياهم، أنَّ الله ﷺ معكم، وهو ناصركم عليهم، فإن انتقمتم الله ﷺ

(1) ينظر: فتح البيان 5/427، وتفسير آيات الأحكام للسايس ص: 476، وتأویلات أهل السنة 5/511-512.

423، ولباب التأویل 2/512.

(2) التحرير والتویر 11/63.

وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فإنه عليهم ناصر من انقاذه ومعينه على عدوه وغالبه عليهم.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ ترتيب الأولويات في جميع مجالات الحياة: ﴾

إنَّ الحديث عن هذه القضية يعتبر من أهم ما يُتكلَّم عنه، ويكتب فيه، إذ إنَّ المسلم والداعية جمِيعاً لا بد أن يفهموا هذا المبدأ، وفي الحقيقة أنَّ الجميع محتاجٌ إليه التاجر في تجارتِه والمزارع في مزرعته، حتى الأب والمري في بيته، إذ لا بد أن يفهم ما هو الأولى في هذه المرحلة، فيقدم الأهم على المهم ويبدأ به حتى ينجح في عمله، وأنَّه داعمة للنجاح واختصار الوقت، وإن مشكلة تحديد نقطة البدء هي التي يقع فيها كثير من الناس، وتقدِّيم الأهم فال眇هم، فيجب أن يدرس ويفهم جيداً المحيط الذي يعيش فيه، وذلك لترتيب أولوياته.

1. الأولويات في القتال:

يجب على الإنسان العمل بكل إمكاناته وطاقاته من أجل مرضات الله عليك وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وإعلاء كلمة الله عليك ورفع راية الدين، وجعلها عالية خفاقة، فهذه هي أهم قضية يجب أن يعيش لأجلها المسلم وأن يقدمها على كل ما عادها من قضايا، وأن يضحي من أجلها بالغالي والرخيص، فيجب في البداية تطهير المجتمع من الأشخاص المندسين فيه من العملاء وضعيفي النفوس، وكذلك تربية أفراد المجتمع على الأخلاق الحميدة، حتى يكونوا عوناً للمجاهدين والمقاومين في النصرة ويكونوا لهم سندًا في محاربة العدو الصهيوني، ويجب تأمين الحدود التي تربطنا مع الغزاة والمستعمرات، ومن ثم ضررهم في داخِل أرضهم.

2. الأولويات في التربية:

على الإنسان البدء بنفسه، والتخطي بأخلاق القرآن الكريم، واتباع سنة الرسول ﷺ، ولقد علمنا الرسول ﷺ أنه يجب أن تتبع الأولويات في جميع أمور حياتنا وأقل ما يستهان به وهو البدء في الأكل، ودليل ذلك قوله ﷺ للغلام الذي أكل معه، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، وَهُوَ أَبْنُ أَمْ سَلَمَةَ رَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: أَكَلْتُ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا، فَجَعَلْتُ أَكْلُ مِنْ نَوَاحِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "كُلْ مِمَّا يَلِيكَ"⁽²⁾، فإنَّ أمْرَ الرسول ﷺ بترتيب الأولويات

(1) ينظر: جامع البيان / 14 / 574 – 576، والكتشاف / 2 / 323، وتفسير السمعاني / 2 / 361، ومدارك التنزيل / 1 / 718، والبحر المديد / 2 / 443، والتفسير الواضح / 2 / 31، ونبيل المرام ص: 349

(2) صحيح البخاري / 7 / 68، كتاب: الأطعمة، باب: الأكل مما يليه، حديث رقم: 5377

في الطعام فمن باب أولى أن تقدم الأولويات والبدء بالقرب فالبعد فالبعد بجميع ما يحيط بنا، فيبدأ عمل الإنسان على نفسه من ثم ينتقل في تغيير ما يحيط به من أسرته وأبنائه الأقرب فالأقرب له، حتى يصل إلى المجتمع ككل.

إنَّ مراعاة هذه القاعدة مهم جداً حتى في التدريس سواء كان علوماً دنيوية أو دينية كتحفيظ القرآن الكريم، حيث إنه ينبغي أن يراعي أعمار الطلاب والفرق الفردية، ويبداً مع كلٍّ ما يناسبه بحسب السن والذكاء والمستوى، وهكذا تثمر الدعوة، وتثمر الجهود ولا تضيع هباءً.

﴿الغلظة على الكافرين والمنافقين﴾:

يكون ذلك في ساحات القتال وال الحرب وميادينه، فينبغي على المسلم أن يظهر الشجاعة والشدة والغلظة على الآخرين المحاربين، وعلى هذه الساحات تُحمل النصوص الشرعية التي تحض على الشدة والغلظة على الكافرين المحاربين، فإن القوة والمنعة ترد قلوبًا كثيرة إلى الصواب، وترىهم آيات الله في نصرة المؤمنين، وجند الله الغالبين، فيؤمنون بالله، وثُحبُّ لهم قلوبهم.

إنَّ من المعلوم أن سورة التوبية متاخرة النزول، لذلك فإنها تتضمن الأحكام النهائية للعلاقات الدولية، ولا سيما في وجوب إنهاء المعاهدات مع المشركين العرب، إلا من استقاموا لكم، فلم ينقصوكم شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً، فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتكم، والقسوة يجب أن تعامل بها هؤلاء الذين ﴿لَا يَرْجِعُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبية: 10]، ولا يقيمون وزناً لأية وشائج من قربة، أو جوار، أو إنسانية، فهي المعاملة بالمثل، وجذار السيئة بمثلها، وحتى لا يتمكنوا من رقابكم، فيستبيحوا كل الحرمات، ويهلكوا الحرج والنسل، لذلك قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَقْنَعُهُمْ فِي الْحَرَبِ فَشَرَّهُمْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ [الأنفال: 57]، وإذا لقيتموهن فضرّب الرقاب، ومع كل ذلك فإن تغيراتٍ كثيرة وكبيرة تجري من حولنا، تبشر بأن الله عَزَّلَ سيرد الاحتلال الغاشم بغيظهم ولن ينالوا خيراً، وسيكفي المؤمنين القتال، فالهزائم التي تدمغ أمريكا، مع تصاعد المقاومة، وتغير بعض السياسات العربية، وكل ذلك وغيره يوحى بأننا ذاهبون إلى نصرٍ من الله عَزَّلَ، وفتحٍ قريبٍ، وبشّر المؤمنين.

المبحث الثالث

المقصود والأهداف لسورة التوبه من الآية

124-129) نزول القرآن على أمين الأنام

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ثبت قلوب المؤمنين عند نزول القرآن الكريم.

المطلب الثاني: موقف المنافقين من نزول السور القرآنية.

المطلب الثالث: صفات الرسول ﷺ ذات الصلة بأمته.

المطلب الأول

تثبت قلوب المؤمنين عند نزول القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةً فِينَهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ إِمَانُوا فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِّشُونَ﴾ [التوبه: 124].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷺ ضروباً من مخازي المنافقين، وأعمالهم القبيحة، كتخلفهم عن غزوة تبوك، وتعلّهم لذلك بالأيمان الفاجرة، ذكر هنا ضروباً أخرى من تلك المثالب وهي أخطر مما سبق، كتهكمهم واستهزائهم بالقرآن الكريم وتسللهم حين سماعه، وهذا آخر ما نزل مما يبين تأثير القرآن فيهم وفي المؤمنين.⁽¹⁾

ثانياً سبب النزول:

لم يرد سبب نزول لهذه الآية ولكن الإجماع من المفسرين على أن هذه الآية نزلت في المنافقين.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَانًا: يحتمل أن يكون:

أولاً: قول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم على النفاق، وهذا على وجه الإنكار.

ثانياً: أو أن يكون لقوم من قرباتهم من المؤمنين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان، وترهيدهم فيه، وتشكيكاً لهم.⁽²⁾

فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا: أي زادته خشيةً من الله ﷺ، ويفينا.⁽³⁾

2. الإعراب:

جملة: ﴿مَا أُنزِلَتْ سُورَةً﴾ في محل جرّ مضاد إليه.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 16 / 174، والتفسير المنير 11 / 84، وتقسيير المراغي 11 / 51.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب 16 / 174، فتح القدير 2 / 475، فتح البيان 5 / 428، وغرائب القرآن 3 / 549، والجواهر الحسان 3 / 231، وتقسيير المراغي 11 / 51، والمحرر الوجيز 3 / 98، والنكت والعيون 2 / 416.

(3) ينظر: جامع البيان 14 / 578، وتقسيير البغوي 2 / 406.

جملة: **﴿فِتَّهُمْ مَنْ يَقُولُ﴾** لا محل لها من الإعراب وهي جواب شرط غير جازم.

جملة: **﴿أَيُّكُمْ زَادَهُ﴾** في محل نصب مقول القول.

جملة: **﴿زَادَهُ هَذِهِ إِيمَنَا﴾** في محل رفع خبر المبتدأ **﴿أَيُّكُمْ﴾**⁽¹⁾، و **﴿زَادَهُ﴾** خبر، و **﴿الهَاء﴾** مفعول به، و **﴿هَذِهِ﴾** (هذه) فاعل و **﴿إِيمَنَا﴾** مفعول به ثان⁽²⁾.

جملة: **﴿الَّذِينَ أَمَنُوا﴾** لا محل لها من الإعراب وإنما ان تكون استثنافية، أو صلة الموصول

جملة: **﴿فَزَادَهُمْ إِيمَنًا﴾** في محل رفع خبر المبتدأ **﴿الَّذِينَ﴾**، وإيمانا مفعول به ثان أو تمييز⁽³⁾.

وجملة: **﴿وَهُرَيْسَبِشُرُونَ﴾** في محل نصب حال من الهاء في **﴿فَزَادَهُمْ﴾**.⁽⁴⁾

وجملة: **﴿يَسْبِشُرُونَ﴾** في محل رفع خبر المبتدأ **﴿وَهُرَ﴾**.⁽⁵⁾

3. استنباطات عقائدية:

قال تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فِتَّهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُ هَذِهِ إِيمَنًا فَلَمَّا أَلَّذَ الَّذِينَ أَمَنُوا فَزَادَهُمْ إِيمَنًا وَهُرَيْسَبِشُرُونَ﴾** ثبت بهذه الآية الكريمة بأن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعدم الزيادة كان نقصاناً.⁽⁶⁾

قال الشافعي -رحمه الله-: "لو كان هذا الإيمان كله واحداً لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تقاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار، وإن الله جل وعز، سابق بين عباده كما سُبِقَ بين الخيل يوم الزهان، ثم أنهم على درجاتهم من سبق عليه، فجعل كل امرئ على درجة سبقه، لا يُقصدها فيها حقه، ولا يُقدم مسبوق على سابق، ولا مفضول على فاضل، وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها، ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه، للحق أخر هذه الأمة بأولها".⁽⁷⁾

(1) الجدول 11/64، إعراب القرآن وبيانه 4/196، إعراب القرآن للدعاس 2/13، وغرائب القرآن 3/549.

(2) إعراب القرآن وبيانه 4/196، والمجتبى 2/420.

(3) ينظر: الجدول 11/64، إعراب القرآن وبيانه 4/196، إعراب القرآن للدعاس 2/13.

(4) ينظر: المجتبى 2/420، وفتح البيان 5/428، التفسير المنير 11/83.

(5) الجدول 11/64، وإعراب القرآن للدعاس 2/13.

(6) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي 2/604، وشعب الإيمان 1/127.

(7) تفسير الإمام الشافعي 2/964.

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يقول الله ﷺ: إذا أنزل الله ﷺ سورة من سور القرآن على نبيه محمد ﷺ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله ﷺ في هذه السورة من يقول: أيها الناس، أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ أي تصدقوا بالله، وهذا من باب الإنكار والاستهزاء بالمؤمنين واعقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به، وهنا يجيء الرد الحاسم الذي يحرس ألسنتهم، فيجيب الله ﷺ عليهم بأن الذين آمنوا زادتهم نزول السورة القرآنية إيماناً، لتوير قلوبهم، وتصفية سرائرهم، وهم يفرحون بما أعطاهم الله ﷺ من الإيمان واليقين، وبما أنزل من القرآن، وما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية، فهم يَعْدُون زيادة التكليف بشارحة التشريف.⁽¹⁾

خامساً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿المنافقون وأثراهم على المجتمع﴾:

هذه الآية إشارة إلى وجود تلك الأجسام الغربية الفاسدة - المنافقون - التي تعيش في كيان المجتمع الإسلامي، وأنه إذا كان للمسلمين عدو ظاهر يعرفون وجهه، ويأخذون حذره منه، ويعملون على قهره وكسره شوكته، فإن ذلك ينبغي ألا يشغلهم عن عدو خفي يندسّ فيهم، بل إن عليهم أن ينتبهوا إلى هذا العدو المتخفي، وأن يرصدوا تحركاته، وأن يضربوه الضربة القاضية، كلما أطلّ برأسه من جحره.⁽²⁾

لم يقتصر بث المنافقين للإشاعات وتحبيط المسلمين في عهد الرسول ﷺ بل إننا ما زلنا نلمسه في وقتنا الحاضر كيف أن المنافقين (العملاء) يقومون بنشر الإشاعات والإحباط بين أفراد المجتمع بما أشبه الماضي بالحاضر وما أشبهاليوم بالأمس، فلذلك يجب علينا أن نكون على حذر من أمثال هؤلاء.

﴿الإيمان يزيد وينقص﴾:

إن سؤال سائل هل الإيمان يزيد وينقص، وبم يحصل ذلك؟

فالجواب نعم إن الإيمان يزيد وينقص فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4]، وقول النبي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 577، وال Kashaf 2 / 324، وفتح القدير 2 / 475، وبحر العلوم 2 / 99، وتفسير البغوي

406/2 - 407، ومدارك التزيل 1 / 718، والبحر المديد 2 / 444، ومحاسن التأويل 5 / 531.

(2) ينظر: التفسير القرآني للفرقان 6 / 921.

ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: "إِيمَانٌ بِضَعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"⁽¹⁾، وسبب الزيادة فعل الخير والطاعة، وسبب النقصان فعل المعاشي.

للزيادة أسباب منها معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله، وبأسمائه، وصفاته ازداد إيماناً بلا شك، ولهذا تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا يعلمه غيرهم تجدهم أقوى إيماناً من الآخرين من هذا الوجه، كذلك النظر في آيات الله الكونية، والشرعية، فإن الإنسان كلما نظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ازداد إيماناً قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ لِتَّمَوِّلَتِنَ ٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَيِّنُونَ ٢١ ﴾ [الذاريات: 20 - 21]، ويوجد آيات كثيرة دالة على أن الإنسان بتدبره وتأمله في هذا الكون يزداد إيمانه، وكثرة الطاعات فإن الإنسان كلما كثرت طاعاته ازداد بذلك إيماناً سواء كانت هذه الطاعات قولية، أم فعلية.

للنقصان أسباب منها الجهل بأسماء الله ﷺ وصفاته يوجب نقص الإيمان؛ لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه، والإعراض عن التفكير في آيات الله الكونية والشرعية، فإن هذا يسبب نقص الإيمان، أو على الأقل ركوده وعدم نموه ومن المعلوم أن العضو الذي لا يتحرك يذبل ويموت، وكذلك إيمان الفرد إن لم يعزز ويقوى فهذا سبب للنقصان، وهو سبب الحياد عن طريق الحق.

إن للمعصية آثاراً عظيمة على القلب وعلى الإيمان ولذلك قال النبي ﷺ: "لَا يَرْبِّي الرَّازِيَ حِينَ يَرْبِّي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرُبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرُبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ"⁽²⁾، وترك الطاعة فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر، فهو نقص يلام عليه ويعاقب، وإن كانت الطاعة غير واجبة، أو واجبة لكن تركها بعد عذر فإنه نقص لا يلام عليه.

(1) صحيح مسلم / 1 / 63، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، رقم الحديث 35.

(2) صحيح البخاري 157/8، كتاب: الحدود، باب: لا يشرب الخمر، حديث رقم: 6772، (جزء من حديث طويل).

المطلب الثاني

موقف المنافقين من نزول السور القرآنية

قال تعالى: ﴿وَآمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَيْتُمُّهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا لَوْا وَهُمْ كَفَّارُونَ ﴾١٢٥﴾ **أولاً**
 يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنَ ثُمَّ لَا يُتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ **١٢٦﴾** **وَإِذَا مَا**
أَنْزَلْتَ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَنُوكُمْ مَنْ أَحَدٌ ثُمَّ أَنْصَرُوْا صَرَفَكَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ﴾ [التوبه: 125-127].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر الله تعالى حال المؤمنين عند نزول آيات من القرآن الكريم، ووضح حال المنافقين وهو استهزاؤهم بالقرآن وتهريهم حين سماعه لأنه كلما نزلت سورة مشتملة على تبيان فضائلهم وعيوبهم تأدوا من سماعها، وكذلك كلما سمعوا سورة وإن لم يذكر فيها شيء عنهم، استهزءوا بها وطعنوا فيها، وأخذوا في التغامز على سبيل الطعن والهزة، وفي هذا يبين التفاوت ما بين الفريقين.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

رِجْسًا: الرجس: المقصود به: أنه الشك والريب، أو الإثم، أو النفاق، أو الكفر، لأنهم كلما كفروا بسورة زاد كفرهم⁽²⁾، وترى الباحثة أن جميع المعاني مترابطة من بعضها البعض وتؤدي نفس المعنى.

يُفْتَنُونَ: معنى (الفتنة) التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتون بها:

أ. ذلك اختبار الله إياهم بالقطح والشدة، والسننة والجوع.

ب. يبتلون بالعذاب في كل عام مرة أو مرتين.

ج. أنهم يختبرون بالغزو والجهاد في سبيل الله تعالى.

د. أنهم يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله ﷺ وأصحابه رض، فيفتتن ذلك الذين في قلوبهم مرض.⁽³⁾

(1) ينظر: التفسير المنير 11/84، وتبسيير الكريم الرحمن ص: 356.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير 4/239، وتفسير القرطبي 8/299، وزاد المسير 2/312، وأيسر التفاسير 2/441، وتفسير العز بن عبد السلام 2/59، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج 2/476.

(3) ينظر: فتح القدير 2/475، والكشف والبيان 5/113، وتفسير ابن كثير 4/240، ومفاتيح الغيب 16/175-176، وتفسير السمعاني 2/361، وتفسير العز بن عبد السلام 2/59.

الراجح: ترجح الباحثة ما ذكره الطبرى: "أنه لا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له، ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين، بما يكون زاجراً لهم، ثم لا ينجرون ولا يتعظون؟".⁽¹⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: **إِلَى رِجْسِهِمْ** جاز و مجرور وهو صفة لـ **رِجْسًا** أي: مضموماً إلى رجسهم.

جملة: **فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا** في محل رفع خبر المبتدأ **الَّذِينَ**.

جملة: **وَهُمْ كَفَرُونَ** من المبتدأ والخبر في محل نصب حال من فاعل **وَمَا تَوَلُّ**.⁽²⁾

المصدر المؤول **أَنَّهُمْ يَقْتَنُونَ** في محل نصب سد مفعولي **يَرَوْنَ**.

جملة: **يَقْتَنُونَ** في محل رفع خبر أن.

جملة: **يَدْكُرُونَ** في محل رفع خبر المبتدأ **هُمْ**.⁽³⁾

قوله تعالى: **نَظَرَ بَعْضُهُمْ** لا محل لها من الإعراب واقعة في جواب الشرط غير جازم.

الجار والمجرور في قوله تعالى: **إِلَّا بَعْضٌ** متعلقان بنظر أي: تغامزوا بالعيون من غيظهم.

جملة: **هَلْ يَرَكُمْ مِنْ أَحَدٍ** في محل نصب مقول القول لقول محذف، وهذا القول المقدر في محل نصب حال من فاعل نظر أي: يقولون هل يراكم.

المصدر المؤول **يَا نَهْمَ قَوْمٌ** في محل جر بالباء متعلق بـ **صَرْفَكَ**، والباء للسببية.

جملة: **لَا يَقْهُمُونَ** في محل رفع صفة لقوم.⁽⁴⁾

3. الجانب البلاغية:

قوله تعالى: **وَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَلُّ وَهُمْ كَفَرُونَ** في الآية الكريمة استعارة ظاهرة، وذلك أن السورة لا تزيد الأرجاس رجساً، ولا القلوب مرضًا، بل هي شفاء للصدور، وجلاء للقلوب ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عمى وعمها، وازدادت

(1) جامع البيان 14/581.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/196، والجدول 11/64-65، والمجتبى 2/420، وإعراب القرآن للداعس 2/13.

(3) ينظر: المجتبى 2/420، وإعراب القرآن وبيانه 4/197، وإعراب القرآن للداعس 2/14، والجدول 11/66.

(4) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/198-199، والمجتبى 2/421، وإعراب القرآن للداعس 2/14، والجدول 11/67.

قلوبهم ارتياحاً ومرضاً، والمشابهة بين مرض الأجساد والنفاق، فهو يفسد القلوب، والعقول والمدارك، كما يفسد المرض الأجساد ويضعف الحركات وقد يشلها، ومعه الوهن دائمًا.⁽¹⁾

4. القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَوْلَاءِرَءَوْنَ﴾ اختلف في قراءتها على النحو الآتي:

أولاً: قرأته عامة القراءة في الأنصار: ﴿أَوْلَاءِرَءَوْنَ﴾، بالياء، على المغایبة.

التوجيه: أولاً يرى هؤلاء الذين في قلوبهم مرضُ النفاق؟ وهم المنافقون ولا يعتبرون

ثانياً: قرأ ذلك حمزة، ويعقوب: (أَوْ لَا تَرَوْنَ)، بالناء.

التوجيه: أولاً ترون أنتم، أيها المؤمنون، أنهم يفتون؟ ويكون الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ.⁽²⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

إنَّ الذي في قلبه نفاق وشكٌ فهذا إنما يتبع هواه ولا يتبع الدليل، وهذا يُصاب بالزيف والانحراف في الدين والعقيدة والأخلاق وفي كلّ شيء عقوبةٌ له من الله ﷺ، فإنَّ السورة التي أنزلت زادتهم رجسًا إلى رجسهم، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله ﷺ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوها، فكان ذلك زيادة شَكٌ حادثةٌ في تنزيل الله ﷺ، لزمهم الإيمان به، فكان ذلك زيادة ثُنٌّ من أفعالهم، إلى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق، وهؤلاء المنافقين هلكوا وهم كافرون بالله ﷺ وأياته، بعد ذلك يأتي الاستفهام الإنكارى التوبىخي لهم بقوله تعالى: ﴿أَوْلَاءِرَءَوْنَ﴾ أي ألا يرى هؤلاء المنافقون أنهم يختبرون في بعض الأعوام مرة، وفي بعضها مرتين، ثم هم مع البلاء الذي يحلّ بهم من الله ﷺ، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينبوون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ﷺ ويعاينون من آياته، يتغطون بها، ولكنهم مصرون على نفاقهم؟، وإذا ما أنزل الله ﷺ سورة من القرآن، فيها عِبُّ هؤلاء المنافقين الذين وصفهم به الله ﷺ في هذه السورة، وهم في مجلس رسول الله ﷺ يتناظرون إلى بعضهم البعض، وتغامزون بالعيون إنكاراً للوحي، وسخرية به فائلين هل يرَكُمْ مِنْ أَحَدٍ من المسلمين لننصرف، فإننا لا نصبر على استماعه ويفلغنا الضحك، فنخاف الافتضاح بينهم، أو تراهم يتشارون في تدبير الخروج والانسلاخ ويقولون: هل يرَكُمْ من أحد، إن تكلمت أو تناجيت بمعايبِ القوم يخبرهم به، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله

(1) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص سور 3/ 301، والمعجزة الكبرى القرآن ص: 190، والتفسير المنير 11/ 83 - 84، وصفوة التفاسير 1/ 570.

(2) ينظر: تفسير القرطبي 8/ 299، وال Kashaf 2/ 324، وجامع البيان 14/ 579، ومفاتيح الغيب 16/ 175، والجواهر الحسان 3/ 231، المحرر الوجيز 3/ 99، والتحرير والتوير 11/ 67، وبحر العلوم 2/ 100، والكشف والبيان 5/ 113، وتفسير البغوي 2/ 407.

﴿، وَلَمْ يَسْتَمِعُوا قِرَاءَةَ السُّورَةِ الَّتِي فِيهَا مَعَايِّبِهِمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَالْتَّوْفِيقِ وَالإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ تَعَالَى قُلُوبَ هُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَفَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ هَذَا الْخَذْلَانُ، وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْخَيْرَاتِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللَّهِ مَوَاعِظَهُ، وَلَا يَقْصِدُونَ لِفَهْمِهِ وَلَا يَرِيدُونَهُ، بَلْ هُمْ فِي شَدَّةٍ عَنْهُ وَنَفْرُ مِنْهُ فَلَهُمْ صَارُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، اسْتِكْبَارًا وَنَفَاقًا﴾.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد النص وأهدافه:

هافت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

» بيان علامات مرض القلب وصحته:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنَكَ صُدُودًا﴾ [النساء: 61]، لقد خلق الله تَعَالَى كل عضو من أعضاء البدن لفعل خاص به، وجعل كماله في حصول ذلك الفعل منه، ومرضه أن يتغدر عليه الفعل الذي خلق له، حتى لا يصدر منه، أو يصدر مع نوع من الاضطراب والنقص، فمرض اليد أن يتغدر عليها البطش، والعين أن يتغدر عليها النظر والرؤيا، ومرض اللسان أن يتغدر عليه النطق، والبدن أن تتغدر عليه حركته الطبيعية، أو يضعف عنها، والقلب أن يتغدر عليه ما خلق له من المعرفة بالله تَعَالَى، ومحبته، والشوق إلى لقائه، والإذابة إليه، وإيثار ذلك على جميع شهواته، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه فكانه لم يعرف شيئاً، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها، ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه، والأنس به، فكانه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين، بل إذا كان قلب العبد خالياً عن ذلك، عادت تلك الحظوظ واللذات عذاباً له ولا بد، فيصير معدباً بنفس ما كان منعماً به من جهتين:

من جهة حسرة فوته، وأنه حيل بينه وبينه مع شدة تعلق روحه به، ومن جهة فوت ما هو خير له وأنفع وأدوم، حيث لم يحصل له.⁽²⁾

» عدم الاعتبار بضرب الأمثل:

نرى الكثير من يبتليهم الله تَعَالَى بأمراض، أو بموت غيرهم، وإلى غير ذلك ومع هذا كله لا يكون رادعاً لهم ليبعدوا عن المعاصي ولكن للأسف الشديد يصرؤن على فعل الكبائر والمحرمات، وإن العضة والتنكير من خلال تلك الابتلاءات والاختبارات من حين لآخر إنما هي

(1) ينظر: جامع البيان 14/ 578-582، وتفسير ابن كثير 4/ 325، والكاف 2/ 241، وبحر العلوم 2/ 99-100، وتقدير السمعاني 2/ 361-362، وتقدير البغوي 2/ 407، ومدارك التنزيل 1/ 719، والبحر المحيط 5/ 531، وإعانة المستفيد 2/ 115.

(2) ينظر: موسوعة فقه القلوب 2/ 1367.

للرقى، ومن الأسلوب التربوية العلمية، وهي إيضاح وبيان لكشف المستور الخفي بالمعلوم الجلي.

إنَّ المؤمن يَتَّبِعُ الدليل ويفرح به إذا حصل عليه، والحق ضالَّة المؤمن أَنَّى وجده أَخْذَهُ، أما الذي في قلبه زَيْغُ أو نَفَاقُ فهذا إنما يَتَّبِعُ هَوَاهُ وَلَا يَتَّبِعُ الدليل.

﴿ إِظْهَارُ بَشَاةٍ إِعْرَاضُ الْمَنَافِقِينَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ﴾

يعتبر ذكر الله ﷺ من أعظم القراءات إلى الله ﷺ فهو حياة القلوب كما قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "الذكر للقلب كالماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فقد الماء" ، والحديث النبوى عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، أَتَهُمَا شَهِداً عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" .⁽¹⁾

إنَّ المنافق من يرى مجالس الذكر فيعرض عنها، فكثرة المعاشي تضيق صدورهم وتكرههم في مجالس الصالحين، وتحرمهم الخير، وخير شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّشُونَ ﴾ [الزمر: 45].

(1) صحيح مسلم / 4، 2074، كتاب: الذكر والدعاة والتوبية والإستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث رقم: 2700.

المطلب الثالث

صفات الرسول ﷺ ذات الصلة بأمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾١٢٦﴿فَإِنْ تَوَلُّوْ فَقْلَ حَسِيرٍ أَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبه: 128-129].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لقد اختار الله تعالى أن يكون موضع هاتين الآيتين في آخر سورة براءة؛ ولذلك حكمة وهي أنها جاءت في ختام سورة كلها في النفاق والمنافقين؛ وذكر بما يهون عنده بعض ما اشتملت عليه من التكاليف الشاقة، وللينبه القارئ إلى أن القتال وكشف النفاق رحمة للعالمين.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾: تأتي بمعانٍ متعددة:

أ. من جنسكم، أي: من جنس العرب، ولم يأت به من الروم أو من فارس، لكن اختار لكم من هو أعلم بطبعكم.

ب. من نفس القبيلة التي تنتمون إليها عشر قريش، ومن أنسابكم، وهو أيضاً موضع الامتنان عليهم؛ حيث بعثه من أنسابهم يعرفون نسبة وموالده ونشأة من بين أظهرهم سليمًا من جميع الآفات بريئاً من جميع المطاعن والعيوب.

ج. أنكم تعلمون تاريخه، وتعرفون أنه أهل لتحمل أمانة السماء للأرض، كما تحمل أماناتكم من الأرض للأرض؛ ولأن هذا هو سلوكه، فهو قادر على أن يتحمل أمانة السماء للأرض.

د. من البشر وهو امتنان منه عليهم؛ حيث بعث الرسول من البشر وله أن يبعث من غير البشر؛ ليعرفوا الآيات التي يأتي بها من التمويهات؛ لأنهم يعرفون مبلغ وسع البشر في مثل هذه الأشياء.

ه. من المكان الذي أنتم فيه وهو الحرم.⁽²⁾

(1) ينظر: فتح البيان 5/431، وزهرة التفاسير 7/3494.

(2) ينظر: تفسير الشعراوي 9/5604-5608، وتأويلات أهل السنة 5/516-518، ومعاني القرآن وإعرابه .477 /2

الراجح: ما نراه الباحثة وتميل إليه أن جميع المعاني الواردة صحيحة وكلها محتلة.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ: تأتي بعده معانٍ، هي:

أ. عزيز عليه ما ضللتم، قول ابن عباس رض.

ب. عزيز عليه عَنْتَ مُؤْمِنُكُمْ. ⁽¹⁾

الراجح: ترجح الباحثة ما رجحه الطبرى، حيث يقول: "أن أولى القولين في ذلك بالصواب، قول ابن عباس، [القول الأول]، وذلك أن الله عَمَ بالخبر عن نبى الله أنه عزيز عليه ما عَنْتَ قومَه، ولم يخصص أهل الإيمان به، فكان عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنْتُ جَمِيعِهِمْ". ⁽²⁾

2. الإعراب:

والجار والمجرور في قوله تعالى: **مَنْ أَنْفَسْكُمْ** متعلق بصفة لـ **رَسُولٌ**.

قوله تعالى: **عَزِيزٌ عَلَيْهِ**: فيه وجهان:

أحدهما: هو صفة لرسول، و(ما) مصدرية، موضعها رفع بعزيز.

الثاني: أن **مَا عَنِتُّمْ** مبتدأ، و**عَزِيزٌ عَلَيْهِ** خبر مقدم، والجملة صفة لـ **رَسُولٌ**.

حَرِيصٌ: صفة ثالثة.

بِالْمُؤْمِنِينَ: يتعلق بـ (رعوف). ⁽³⁾

قوله تعالى: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**: "(لا) نافية للجنس، و(إله) اسمها، و(إلا) للحصر، والخبر محنوف تقديره: مستحق للعبادة". ⁽⁴⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يوجه الله ع الخطاب لعباده بأنني أرسلت إلينكم رسولًا تعرفون نسبه وحسبه، وهو عربي قرشي مثلكم، لا من غيركم، فتتهمنوه على أنفسكم في النصيحة لكم، وهذا الرسول المرسل لكم عزيزٌ عليه دخول المشقة عليكم والمكرره والأذى، وشديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان، وحريص على هدى ضلالكم وتوبيتهم ورجوعهم إلى الحق، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم،

(1) ينظر: جامع البيان 14/ 585-586، وتفسير البغوي 4/ 115، وتفسير العز بن عبد السلام 2/ 59.

(2) جامع البيان 14/ 586.

(3) ينظر: التبيان 2/ 663، والمجتبى 2/ 421.

(4) المجتبى 2/ 421.

رفيق بالمطهعين ورحيم بالمذنبين، أرحم عليهم من والديهم، وبعد ذلك يوجه الله ﷺ الخطاب للرسول ﷺ قائلًا له: فإن تولى، يا محمد، هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربكم، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله ﷺ، وما دعوتمهم إليه من النور والهدى، فقل: يكفيني ربي واستعن بالله ﷺ وفوض إليه أمرك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم، فلا معبد سواه، عليه توكلت، وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت، فإنه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عنِّي منكم ومن غيركم من الناس، وهو الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده، وخاص العرش بالذكر لأنَّه الأعظم فيدخل فيه الأصغر.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد النص وأهدافه:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿التولية تكون لصاحب الأهلية﴾:

ينبغي على من يتولى الأمر أن يكون من أهل الدين والأمانة للنظر في أمور الأمة، ويَحْسُنُ أن يختار من أفراد الوطن نفسه لأنَّه يكون عالم بأحوال أمته، ويدرك نقاط القوة عند أفراد مجتمعه فيعززها، وكذلك يعرف ب نقاط الضعف فيعالجها ويقويها، وهذه من أهم واجبات من يتولى ويمسك زمام وأمور الحكم، والتولي على الأمر لا يكون في الرئاسة فقط، بل يشمل أيضًا التولي في الأعمال من مؤسسات، ومراكز وإلى غير ذلك.

﴿الشعور بالمسؤولية﴾:

إنَّ أسباب التخلُّف في حياتنا كثيرة، ومن أهم هذه الأسباب ضعُفُ الشعور بالمسؤولية عند كثير من الناس، وقد انده عند آخرين، ولو شعر كل فرد بمسؤوليته وقام بواجبه، لاستقامت أمورنا على الجادة السوية، ولزالت معظم الشكاوى والمظالم والمشاكل، والإسلام يُشَرِّك الناس جميعًا في تحمل المسؤولية؛ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ﴿كُلُّمَّ رَاعٍ وَكُلُّمَّ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّمَّ رَاعٍ وَكُلُّمَّ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾⁽²⁾، المسؤولية تتفاوت من إنسان إلى آخر تبعًا للتفاوت في الإمكانيات والأتباع، والمسلم الحق إنسانٌ مثالي، وموطن صالح، يقوم بما عليه دون أن تحمله على ذلك الرهبة من ملاحقة القانون، أو الخشية من أن تدركه عيون رجال الدولة، بل إنه يقوم بذلك

(1) ينظر: جامع البيان 14 / 584 - 587، وتفسير ابن كثير 4 / 241، وفتح البيان 5 / 431 - 433، والتفسير الوسيط، الوادي 2 / 536، وتفسير البغوي 4 / 115 - 116، وتفسير العز بن عبد السلام 2 / 59 - 60، ومدارك التنزيل 1 / 719، وتبسيير الكريم الرحمن ص: 356.

(2) صحيح البخاري 7 / 31، كتاب: النكاح، باب: المرأة راعية في بيت زوجها، حديث رقم: 5200.

ابتغاء مرضاة الله تعالى وتنبيئاً من نفسه، وقد يكون هذا الواجب يقتضيه أن يتجرد من ماله أو أن يوجد بروحه، فيفعل ذلك دون تردد، لا يرجو إلا ثواب الله تعالى، وفي ظل هذا الشعور اليقظ كان يحيا الخلفاء الراشدون، والعلماء العاملون، والدعاة المصلحون، يضربون الأمثلة الحية الخالدة على قيمة الشعور بالمسؤولية، ولا يبالغون بما يمكن أن يلاقوا في سبيل ذلك من ضروب العنت والمشقة والمصاعب، ولنا دليل بذلك قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه أية خلافته لا ينام إلا حفقات برأسه وهو جالس، سواء في ذلك ليله ونهاره، وبلغ الشعور بالمسؤولية عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه مستوى عالياً جعله يقول: "والله لو عثرت بعنة في العراق لوجدتني مسؤولاً عنها".⁽¹⁾

لقد حمل هذا الشعور بالمسؤولية سلفنا الصالح على الاهتمام بالوقت والانتفاع منه، بما يعود على الفرد والأمة بالخير العميم؛ رغبة في النجاة يوم القيمة، عن ابن مسعود عليه، عن النبي عليه قال: "لَا تَرُوْلُ قَدْمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ".⁽²⁾

بهذا الخلق النبيل وأمثاله كان لأمتنا دوراً عظيم في تاريخ الدنيا، وبذلك ارتفقت أمتنا سُلُمُ المجد حتى بلغت الذروة، فما أجرنا اليوم أن تكون على هذا النهج القويم سائرين؛ حتى تكون أعزة في الدنيا ناجين يوم الدين.

﴿التوضيح للمؤمن أنَّ الله كافيهُ﴾

يجب أن ندرك جيداً ونؤمن أنه إن تخلى عنا الجمِيع فلنا ربُّ عينه لا تقام، وهو مطلع على جميع الأحوال، وهذا خير مواساة للمظلومين في كل مكان وفي كل بقعة من بقاع الأرض، فإيمان بأن الله تعالى عالم بأحوالنا وشاهد علينا يخف عن المؤمنين مصائبهم التي تحيط بهم من كل جانب وها نحن نرى اليوم كيف الحصار الخانق على أهل الشام المرابطين الثابتين على دينهم لا يرفعون شعاراً سوى من لنا سواك يا الله، نسأل الله لهم الثبات وأن يظهرهم على عدوهم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

(1) كيف نتعامل مع القرآن 1/177، وموارد الظمان لدروس المنان 555/3.

(2) سنن الترمذى 4/190، أبواب: صفة القيمة والرقائق والورع، باب: في القيمة، حديث رقم: 2416، [حكم الألبانى: حسن].

الفصل الثالث

المقصود والأهداف لسورة يونس

من الآية (1-25)

و فيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (1-10)، القدرة الإلهية

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (11-18)، سنن الله في الاستخلاف وموقف الناس منه

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (19-25)، حال المكذبين مع عدل رب العالمين

المبحث الأول

المقصود والأهداف لسورة يونس

من الآية (10-1) القدرة الإلهية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحروف المقطعة.

المطلب الثاني: إنكار العرب مهمة الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: العبادة لخالق السموات والأرض.

المطلب الرابع: وعد الله حق.

المطلب الخامس: إثبات القدرة الإلهية في السنن الكونية.

المطلب السادس: المؤمن والكافر وعاقبة كلٍّ منهما.

المطلب الأول

الحروف المقطعة

أولاً: المقصود بالحروف المقطعة:

ما علم باستقراء كتاب الله تعالى أن تسعًا وعشرين سورة من القرآن الكريم قد افتتحت بحروف مقطعة، وسورة يونس التي نحن بصدد دراستها من ضمن هذه السور، والحروف من جنس كلام العرب، وإن هذه الحروف لم ينقل عن العرب دلالات لها، ولو كانت لها دلالات لتواتر النقل عليها، ولنقل ذلك علماء الصحابة وأئمتهم، وافتتاح السور بها لهو في حد ذاته نوع من التحدي للقيام بالكشف عن أسرارها والتفكير فيها، ولما لم يذكر عن العرب لها دلالات فقد كان للعلماء بشأنها موقفان:

1. ذهب الشعبي وسفيان الثوري، وجماعة من أهل الحديث إلى أنها سر الله في القرآن، وهي من المتشابه، وأن هذا علم مستور، وسرّ محجوب، استأثر الله تبارك وتعالى به فهو من المتشابه.

ويقول طنطاوي في تفسيره: "إنّ من الاعتراضات التي وجهت إلى هذا الرأي، أنه إذا كان الخطاب بهذه الفوائح غير مفهوم للناس، لأنّه من المتشابه، فإنه يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل، أو مثله كمثل المتكلم بلغة أعمجية مع أناس عرب لا يفهمونها، وقد أجب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يفهم المراد منها، وكذلك بعض أصحابه المقربين ولكن الذي نفيه أن يكون الناس جميعاً فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور".⁽¹⁾

2. ما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم: أنه يجب أن يتكلّم فيها، وتلتّمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تخرج عليها، وخالفوا في ذلك على عدة أقوال، ولم يرتضى هذا كثير من المحققين وقالوا: لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوماً للخلق، واحتجوا بأدلة عقلية ونقلية.⁽²⁾

ثانياً: معنى الحروف المقطعة:

لقد كان لابن عباس - ترجمان القرآن - النصيب الأول من الأقوال في هذه الأحرف، وجاء المفسرون من بعده، فتوسّعوا في تحديد معاني هذه الفوائح، منها:

(1) التفسير الوسيط / 1-38

(2) ينظر: الجوادر الحسان / 180، ومحاسن التأویل / 242، وإعراب القرآن وبيانه / 21، ولباب التأویل 22-23، والتفسير الوسيط، الطنطاوي / 1-38.

اسم من أسماء القرآن.

1. هو فَوَاتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِ بَهَا الْقُرْآنَ.

2. قُسْمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ.

3. أَمَّا أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ حُرُوفُ الْمَعْجَمِ، اسْتَعْنُ بِنَكْرِ مَا ذُكِرَ مِنْهَا فِي أَوَّلِ السُّورِ عَنْ ذِكْرِ بَوَاقِيَّهَا، الَّتِي هِيَ تَنْتَهِيَ الثَّمَانِيَّةُ وَالْعَشْرِينُ حِرْفًا؛ كَمَا اسْتَعْنَى الْمُخْبِرُ - عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ فِي حُرُوفِ الْمَعْجَمِ الثَّمَانِيَّةُ وَالْعَشْرِينُ حِرْفًا - بِنَكْرِ "أَبْ تَ ثْ"، عَنْ ذِكْرِ بَوَاقِيِّ حُرُوفِهَا الَّتِي هِيَ تَنْتَهِيَ الثَّمَانِيَّةُ وَالْعَشْرِينُ.

4. ابْتَدَأَتْ أَوَّلَ السُّورِ بِالْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ لِيَفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهِ أَسْمَاعَ الْمُشْرِكِينَ - إِذْ تَوَاصَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ - حَتَّى إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ، ثُلِّيَ عَلَيْهِمُ الْمُؤْلَفُ مِنْهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا سَمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوَّا فِيهِ لَعْنُكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فَصْلُتْ: 26]، فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّعَهُمْ شَيْئًا لَمْ يَكُونُوا سَمِعُوهُ، لِيَحْمِلُهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْاسْتِمَاعِ حَتَّى تَلَزِّمَهُمُ الْحَجَةَ.

لَكِنَّ هَذَا القَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ؛ لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ هَذَا فِي كُلِّ السُّورِ؛ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ السُّورِ غَيْرَ مُبْدِئٍ بِمَثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ؛ وَأَيْضًا لَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا صَارَتِ فِي السُّورِ الْمَدْنِيَّةِ، مَثَلًا: سُورَةُ الْبَقْرَةِ؛ لَأَنَّ السُّورِ الْمَدْنِيَّةِ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ يَلْغُو فِي الْقُرْآنِ. ⁽¹⁾

5. "عَلَامَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُ سَيَنْزَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ كِتَابٌ يَفْتَحُ بِالْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ". ⁽²⁾

6. مَعْنَى "الرَّ" أَنَا اللَّهُ أَرَى، أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ. ⁽³⁾

الراجح: إِنَّ أَرْجُحَ الْأَقْوَالِ فِي الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ أَنَّهَا لِبِيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِهَذَا القَوْلِ مِنَ السَّلْفِ ابْنَ كَثِيرٍ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ الْخَلْفِ طَنْطَاوِي وَسِيدُ قَطْبٍ، وَيَقُولُ الطَّنْطَاوِي فِي تَفْسِيرِهِ: "لَعْلَ أَقْرَبُ الْأَرَاءِ إِلَى الصَّوَابِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ قَدْ وَرَدَتْ فِي افْتَاحِ بَعْضِ السُّورِ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي تَحْدِي اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ هُوَ مِنْ جَنْسِ الْكَلَامِ الْمَرْكُبِ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي يَعْرُفُونَهَا، وَيَقْدِرُونَ عَلَى تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنْهَا، فَإِذَا عَجَزُوا عَنِ الْإِتِّيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَذَلِكَ لِبُلوغِهِ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْحِكْمَةِ مَرْتَبَةً يَقْفَى فَصَحَّاؤُهُمْ وَبَلَاغَاؤُهُمْ دُونَهَا بِمَرَاحِلٍ شَاسِعَةٍ، وَفَضْلًا عَنِ ذَلِكَ إِنَّ تَصْدِيرَ السُّورِ بِمَثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمَقْطَعَةِ يَجْذِبُ أَنْظَارَ

(1) يُنْظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ 1/205-210، وَالْجَوَاهِرُ الْحَسَانِ 1/181، وَبِحِرِّ الْعِلُومِ 1/21، وَلِبَابُ التَّأْوِيلِ 1/23، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوَى 1/80-81، وَتَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السَّنَةِ 1/370-372.

(2) الْجَوَاهِرُ الْحَسَانِ 1/181.

(3) يُنْظَرُ: تَفْسِيرُ الْقَرْطَبِيِّ 8/304، وَالنَّكْتَ وَالْعَيْنَ 2/420، وَلِبَابُ التَّأْوِيلِ 2/426، وَبِحِرِّ الْعِلُومِ 2/102، وَالْكَشْفُ وَالْبَيَانِ 5/116، وَتَفْسِيرُ السَّمْعَانِيِّ 2/364، وَزَادُ الْمَسِيرِ 2/314.

المعرضين عن استماع القرآن حين ينال عليهم إلى الإنصات والتدبر، لأنه يطرق أسماعهم في أول التلاوة ألفاظ غير مألوفة في مجاري كلامهم، وذلك مما يلف أنظارهم ليتبينوا ما يراد منها، فيسنعوا حكماً وججاً قد تكون سبباً في هدايتم واستجابتكم للحق.⁽¹⁾

ثالثاً: الحكمة من وجود الحروف المقطعة:

في وجود هذه الحروف المقطعة وأمثالها في القرآن الكريم تتبّع وإشارة إلى بيان إعجاز القرآن فإنه منظومٌ من عين ما ينظمون منه كلامهم، وأن هذا القرآن لم يأتِ بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر؛ وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلّم به البشر؛ ومع ذلك فقد أعجزهم، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله، فذلك أعظم برهان على إعجاز القرآن، وأنه وحي من الله تعالى.⁽²⁾

رابعاً: الحروف المقطعة آية:

اتفق القراء على أن (آلر) ليس بآية، وعلى أن (طه) آية، وفي مقنع أبي عمرو والداني أن العاديين لـ "طه" آية هم الكوفيون فقط، ولعل الفرق أن (آلر) لا تتشاكل مقاطع الآي التي بعدها.⁽³⁾

خامساً: الإعراب:

اختلاف في موقع إعراب الحروف المقطعة إلى عدة أقوال، هي كالتالي:

1. أسماء مدلولها حروف المعجم، ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم، وهي موقوفة الآخر، لا يقال إنها م uree لأنها لم يدخل عليها عامل فتعرّب ولا يقال إنها مبنية لعدم سبب البناء، لكن أسماء حروف المعجم قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرّب.⁽⁴⁾

2. أحرف مقطعة مبنية غير م uree، وكذلك سائر حروف الهجاء في أوائل السور.⁽⁵⁾

3. هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم، لأن كل واحد منها يدل على معنى في نفسه، وهي مبنية، وفي موضع (آلر) ثلاثة أوجه:

أ- الجر بحرف قسم محنوف، كما قالوا: الله ليفعلن في لغة من جر-.

(1) التفسير الوسيط / 1 / 39.

(2) ينظر: صفة التقاسير / 1 / 25، وتقسير العثيمين: الفاتحة والبقرة / 1 / 22-23، والتفسير المنير / 1 / 73، والتفسير الميسر / 1 / 2.

(3) ينظر: فتح البيان / 6 / 9، وغرائب القرآن / 3 / 554.

(4) البحر المحيط / 1 / 56.

(5) ينظر: التفسير المنير / 1 / 72، والجدول / 11 / 70، وإعراب القرآن للداعس / 2 / 15.

ب- النصب: وفيه وجهان: أحدهما على تقدير حذف القسم كما تقول الله لافعلن. والناصب فعل محذوف تقديره: التزمت الله، أي اليمين به، والثاني هي مفعول به تقديره: اتل: الر.

ج- الرفع: وفيه وجهان: على أنها مبتدأ وما بعدها الخبر كما تقول: زيد ذلك الرجل، أو تكون رفعاً على أنها خبر ابتداء ماضم، أي هذه (الر).⁽¹⁾

سادساً: القراءات:

فأمّا قوله تعالى: (الر) فيها قراءات:

1. قرأت بفتح الراء، قرأها ابن كثير.

2. قرأت بإماملة الراء، قرأها بذلك أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي.⁽²⁾

(1) ينظر: الجدول 71/11، وإعراب القرآن، الدعايس 1/9، ومحاسن التأويل 4/6.

(2) ينظر: فتح القدير 2/479، وبحر العلوم 2/102، وزاد المسير 2/314.

المطلب الثاني

إنكار العرب مهمة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿الرَّتِّلَكَ مَائِتُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ ﴾① أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَّاً أَنَّ أَوْجَيْنَا إِنَّ رَجُلٌ مِّنْهُمْ أَنَّ أَنْذِرَ النَّاسَ وَكَثِيرٌ الَّذِينَ أَمْنَوْا أَنَّ لَهُمْ قَدْمَ صَدِيقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ مُّنِينٌ ﴾ [يونس: 1-2].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

إن الله ﷺ لما أنزل سورةً، وذكر تكذيب المنافقين ثم قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وهو محمد ﷺ، أتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل، والنبي الذي أرسل، وأن دين الصالين واحد في التكذيب بالكتب الإلهية وبمن جاء بها، ولما كان ذكر القرآن مقدماً على ذكر الرسول في آخر السورة، جاء في أول هذه السورة كذلك فتقديم ذكر الكتاب على ذكر الرسول ﷺ، وناسب أيضاً أن تجيء سورة يونس، بعد سورة التوبة، إذ كانت خاتمة التوبه أشبه بسؤال، وكان بده يونس أشبه بجواب لهذا السؤال، أو كانت خاتمة التوبه تقريراً لحكم، وكان بده يونس تعقيباً على هذا الحكم.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

سبب نزول الآية الكريمة ما ذكر عن ابن عباس أنه قال: "لما بعث الله عَزَّلَهُ مُحَمَّداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد" فأنزل الله عَزَّلَهُ هذه الآية.⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

مَائِتُ: فيها ثلاثة أقوال:

أ. تلك آيات التوراة.

ب. أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، والمعنى: هذه الأفاصيص التي تسمونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل.

ج. الكتب التي كانت قبل القرآن، مثل الزبور.

د. الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن.⁽³⁾

(1) ينظر: البحر المحيط / 8، والتفسير القرآني للقرآن / 6 928-929.

(2) أسباب النزول ص: 231، وجامع البيان / 12 / 107، وتفسير ابن كثير / 4 / 245، وتفسير القرطبي / 8 / 306، والنكت والعيون / 2 / 421، ولباب التأويل / 2 / 427، وزاد المسير / 2 / 315.

(3) ينظر: جامع البيان / 12 / 105، وتفسير القرطبي / 8 / 305، وفتح البيان / 6 / 9، وزاد المسير / 2 / 314-315، والنكت والعيون / 2 / 421.

الراجح: أولى الأقوال وأرجحها صواباً القول الرابع، هذه آيات القرآن⁽¹⁾، لأن سياق الآيات يتناول الحديث عن القرآن والرسول ﷺ.

قدم صدقي: اختلف المفسرون في معناها إلى عدة أقوال، هي:

أ. أن لهم أجرًا حسناً بما قدموا من صالح الأعمال.

ب. صلاتهم، وصومهم، وصدقهم، وتسبيحهم.

ج. أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة، أي سلف صدق عند ربهم، وسبقت لهم السعادة في الذكر الأول.

د. إن لهم الجنة عند ربهم.

ه. إن لهم سلف صدق تقدموهم بالإيمان.

و. شفيع صدق، وهو محمد ﷺ يشفع لهم يوم القيمة.⁽²⁾

قد وردت معاني كثيرة في كتب التفسير، وما قمت بذكره على سبيل الذكر وليس للحصر.

الراجح: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معناه أن لهم أعمالاً صالحةً عند الله تعالى تستأهلهم للثواب؛ وذلك أنه محكي عن العرب: هؤلاء أهل القدم في الإسلام؛ أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيراً، فكان لهم فيه تقديم، ويقال: له عندي قدم صدق وقدم سوء، وذلك ما قدم إليه من خير أو شر، يُقال: لفلان قدم في الشجاعة، وقدم في العلم، ويُقال: فلان وضع قدمه في كذا، إذا شرع فيه بِعَمَلِه.⁽³⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿تَلَكَ مَا يَنْتَهِ الْكِتَبُ الْكَيْمَ﴾ تلak مبتدأ، و﴿إِنَّ﴾ خبر، أي تلك التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم.

قوله تعالى: ﴿النَّاسُ﴾ جار و مجرور متعلقان بمحذف حال لأنه تقدم على الصفة، و(الناس) حال من عجب؛ لأن النمير أكان عجباً للناس، وقيل: هو متعلق بـكان، وقيل: هو يتعلق بـ(عجب) ويكون ذلك على التبيين.

(1) ينظر: جامع البيان 12/105، وتفسير القرطبي 8/305.

(2) ينظر: جامع البيان 12/107-111، وفتح البيان 6/11، وتأويلات أهل السنة 4/6-5، والنكت والعيون 421/2-422، وبحر العلوم 2/102-103، وزاد المسير 2/315.

(3) ينظر: جامع البيان 12/111، وتفسير السمعاني 2/365.

﴿عَجَباً﴾: خبر كان مقدم، واسمها أنْ أوْحَيْنَا.

﴿أَنْ أوْحَيْنَا﴾: يجوز أن تكون أن مصدرية، فيكون موضعها نصباً بأوحينا، وأن تكون بمعنى أي، فلا يكون لها موضع.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾: أن مفسرة وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه أو مخففة من النقلة واسمها ضمير الشأن.⁽¹⁾

وجملة: ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ لا محل لها من الإعراب وهي جملة تفسيرية، وجملة واقعة في مقول القول مذكوف هو في محل رفع خبر إن على معنى أن الشأن قولنا أذنر الناس.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الجملة مستأنفة كأنه قيل: ماذا صنعوا بعد التعجب، وقال الكافرون فعل وفاعل وإن واسمها وخبرها واللام المزحلقة، و(مبين) صفة لساحر والجملة واقعة في مقول القول.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قال تعالى: ﴿الْكَتَبُ الْحَكِيمُ﴾ الحكيم بمعنى مفعول، أي المholm الذي لا يتطرق إليه الفساد ولا يعتريه الكذب ولا نقص.

ب. قال تعالى: ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بين كلمة (أنذر، وبشّر) طباق.⁽³⁾

ج. قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَّمَ صَدِيقٌ﴾ مجاز مرسل، أي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم، وعبر عنها إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة، لأن العادة جارية بتقدُّم الساعي على قدميه، كما يُعبر عن النعمة باليد، لأن العطاء يكون بها.⁽⁴⁾

4. القراءات:

قال تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ كلمة (ساحر) فيها قراءتان، كالتالي:
أولاً: قرأ ابن كثير، وعاصم والковيون (ساحر) بفتح السين وألف بعدها، وكسر الحاء، اسم فاعل.

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 2/ 139-140، والتبيان 2/ 664، وإعراب القرآن وبيانه 4/ 202.

(2) ينظر: الجدول 11/ 70-73، وإعراب القرآن وبيانه 4/ 202، وإعراب القرآن، للدعاس 2/ 15.

(3) ينظر: التفسير المنير 11/ 96، وصفوة التفاسير 1/ 577-578.

(4) ينظر: التفسير القرآني للقرآن 6/ 931، والجدول 11/ 74، وزاد المسير 2/ 316، وصفوة التفاسير 1/ 578.

التجييه: أن الإشارة للنبي ﷺ، وهو في الآخرين نبينا ﷺ، وفي الأولين عيسى عليه السلام، أي: قالوا: ما هو إلا ساحر ظاهر السحر.

ثانياً: قرأ الباقون بكسر السين وإسكان الحاء، ومن غير ألف.

التجييه: أن الإشارة للمعجزة، أي: ما هذا الخارق إلا سحر ظاهر، أو بمعنى: ذو سحر.⁽¹⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يقول الله تعالى هذه علامات ودلائل القرآن الكريم، وهو المحكم لاشتماله على الحكمة إذ إنه جمع التكليفات كلها والشرائع المصلحة للبشرية والمنظمة للعلاقات الإنسانية، وكان خليقاً بالمشركين أن يؤمنوا إذ تحداهم وأعجزهم، ولكن لم يدفعهم العجز إلى الإيمان بل دفعهم إلى الجحود والعناد، ليس لحجة عندهم بل لأنه كان غريباً لم يألفوه أو يعرفوه، ولذا قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً﴾ والاستفهام هنا لإنكار الواقع وهو بمعنى التعجب منهم، والتوبیخ والتقریع لهم على أنهم اتخذوا إرسال رجل منهم وبشراً مثلهم موضعًا للعجب، فالرسول لا يمكن أن يكون إلا رجلاً منهم فلا يصح أن يكون ملكاً من الملائكة، وكأنهم لم يعلموا أن الله تعالى قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر، والله تعالى يبشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق؛ ﴿أَنَّ أَنْذِرِ﴾ أي أوحينا إليه بأن أنذر الناس كافة وأعلمهم بالتوحيد والبعث وسائر مقاصد الدين مع التحذيف بعاقبة ما هم فيه من كفر وضلال، وبشر الذين آمنوا بما أوحينا إليه بأن لهم أعمالاً صالحة استوجبوا بها الثواب منه تعالى، ومنزلة رفيعة نالوها بصدق القول وحسن النية، فلما أتاهم بوعي الله تعالى وتلاه عليهم، قال المنكرون توحيد الله تعالى رسوله ﷺ إن هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين؛ أي يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعوه.⁽²⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿إِثْبَاتُ نَبِيَّةِ مُحَمَّدٍ وَتَقْرِيرُهَا بِالْوَحْيِ﴾ على مر العصور والأزمان:

استنكر واستكثر الكفار على أن يكون رسول الله ﷺ من البشر في بداية البعثة النبوية، وأن يتصل الله تعالى به - عن طريق الوحي - فيكلفه هداية الناس، فاما في هذا العصر الحديث فيقيم

(1) ينظر: الهدادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر 2/181، والوافي في شرح الشاطبية ص: 285-286، وفريدة الدهر 3/1، وشرح طيبة النشر للنويري 2/292، وسراج القارئ المبتدئ ص: 242.

(2) ينظر: جامع البيان 12/105-113، وفتح البيان 6/9-10، وتفسير القرطبي 8/305-306، وزهرة النفاسير 7/3507-3508، وتفسير السمعاني 2/364-365، وتفسير المراغي 11/59-61.

بعض الناس من أنفسهم لأنفسهم شبهة أخرى لا تقل تهافتًا عن تلك! حيث إنهم يسألون: كيف يتم الاتصال بين بشر ذي طبيعة مادية وبين الله تعالى المخالف لطبيعة كل شيء مما خلق، والذي ليس كمثله شيء؟ وهو سؤال لا يحق لأحد أن يسأله إلا أن يكون قد أحاط علمًا بحقيقة الله سبحانه وطبيعة ذاته الإلهية، كما أحاط علمًا بكل خصائص الإنسان التي أودعها الله إياه، وهو مالا يدعيه أحد يحترم عقله، ويعرف حدود هذا العقل، بل يعرف أن خصائص الإنسان القابلة للكشف ما يزال يكشف منها جديد بعد جديد، ولم يقف العلم بعد حتى يقال: إنه أدرك كل الخصائص الإنسانية القابلة للإدراك، فضلاً على أنه ستبقى وراء إدراك العلم والعقل دائمًا آفاق من المجهول بعد آفاق! ففي الإنسان إذن طاقات مجهولة لا يعلمها إلا الله تعالى، والله أعلم حيث يجعل رسالته في الإنسان ذي الطاقة التي تحملها.⁽¹⁾

إن الإيحاء إلى رجل من البشر ليؤدي رسالة الله تعالى إلى الناس والبشرية أمر طبيعي ومنطقي، وهذا ليس محل تعجب واستغراب، وإنما هو موافق للحكمة والعقل والواقع الذي نعيشه، وليس مقومات اختيار الأنبياء بحسب معايير الناس ومفاهيمهم كالمال والغنى والثروة والجاه والزعامة والمكانة التي يحتلها الشخص، وإنما المعيار هو ما في علم الله تعالى من كون النبي محمد ﷺ هو الأهل ومن الأكفاء الأجرد بتحمل أعباء الرسالة، والأوفق لتحقيق المصلحة وتبلیغ الوحي إلى الناس، ومثال ذلك على واقعنا الذي نعيشه اليوم الدعاة وحاملي راية الإسلام، نجد الكثير من يستنكر بعض الدعاة، وكذلك رجال الدين.

﴿بيان صفات أهل الكفر (الكذب والتضليل):﴾

من عادات أهل الكفر دائمًا الكذب والتضليل منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى عصرنا الحالي حيث إننا نرى كيف يكون التحريف أو التضليل الإعلامي، وتحويل المعلومات عن مؤداها الطبيعي ومسارها الحقيقي؛ بغرض التأثير على الرأي العام الذي لا يتحقق بسير المعلومات في اتجاهها الطبيعي؛ لذلك تلجلج شياطين وسائل الإعلام إلى التحريف والتضليل ولوبي أعناق المعلومات حتى تتلاعム مع الأهداف التي وضعتها الجهات الداعمة والمسيطرة والمالكة للمؤسسات الإعلامية، والتكتيم أو التعتيم، حيث تعمد إلى إخفاء المعلومات التي يؤدي نشرها إلى التعذر أو الصعوبة في تحقيق أهدافها المرسومة لها.

(1) ينظر: في ظلال القرآن / 3 1759-1760.

المطلب الثالث

العبادة لخالق السموات والأرض

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفَعَ إِلَّا
مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يومن: 3].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

عندما أخبر الله ﷺ عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة، أزال وأبطل الله ﷺ في هذه الآية الكريمة ذلك التعجب بأنه لا يستبعد البته في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولاً يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب، وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب، وهو الخالق والمدبر لهذا الكون.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ: يقضي القضاء وحده، وينظر في تدبير الخالق فيختار للعبد ما هو خير له وعلى حسب مقتضى الحكمة، ويتحرى الصواب لئلا يلقاء ما يكره آخرًا.⁽²⁾

2. الإعراب:

جملة قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ صلة الموصول.

﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: الجار وال مجرور متعلقان باستوى.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يجوز أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وأن تكون خبر ثانٍ في محل رفع، وأن تكون حالاً من اسم الجلالة الله.⁽⁴⁾

جملة: ﴿مَا مِنْ شَفَعَ﴾ خبر ثالث.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/188، وفتح القدير 2/481، وفتح البيان 6/12.

(2) ينظر: جامع البيان 15/19، والكتشاف 2/328، وتقسيم التسقير التسقيري ص: 76، وبحر العلوم 2/103، والكشف والبيان 5/118، وزاد المسير 2/316، والموسوعة القرآنية 10/47.

(3) ينظر: إعراب القرآن للداعس 2/15، وإعراب القرآن وبيانه 4/202.

(4) ينظر: التبيان 2/664، والمجتبى 2/423، وإعراب القرآن للداعس 2/15، وإعراب القرآن وبيانه 4/202-203، والتحرير والتنوير 11/87.

الجار والمجرور في قوله تعالى: **﴿مِنْ بَعْدِ﴾** متعلقان بخبر مذوف.

جملة: **﴿فَأَعْبُدُهُ﴾** معطوفة على جملة **﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾**.

قوله تعالى: **﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وهي للتقرير، لا محل لها من الإعراب.⁽¹⁾

3. القراءات:

قوله تعالى: **﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** "قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (ذَكَرُونَ) بالخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، لأن أصله تذكرون فأدغم إحدى التاءين في الذال وأقيم التشديد مقامه".⁽²⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى أنه رب العالمين، وأن له عبادة كل شيء، ولا تتبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير، ثم استوى على عرشه استواء يليق بعظمته وجلاله مدبراً للأمور، وقاضياً في خلقه ما أحب، لا يضاده في قضائه أحد، ولا يتعقب تدبيره متعقب، ولا يدخل أمره خلل، ولا يشفع عنده شافع يوم القيمة من الملائكة ولا من المرسلين في أحد، إلا من بعد أن يأذن في الشفاعة لهم، وهذا دليل على العزة والكربلاء، قوله تعالى: **﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾** هذا من صفتة، سيدكم ومولاكم، لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضي من الآلهة والأوثان، فاعبدوا ربكم الذي هذه صفاتة، فدل أولاً على وحدانيته وتدبيره، ثم أمرهم بالتوحيد والطاعة، وإخلاص العبادة له، والإفراد له بالألوهية والريوبية، وبالذلة منهم له، دون أوثانهم وسائر ما يشركون معه في العبادة، ألا تتغطون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج، فتتبينون إلى الإذعان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة، وتخلعون الأنداد وتبرؤون منها؟، وتنفكرون أدنى تفكير فينبهكم على أنه المستحق للريوبية والعبادة لا ما تعبدون، هذا الاستفهام للإنكار والتوبیخ والتقریب، لأن من له أدنى تذكر وأقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه.⁽³⁾

(1) ينظر: المجتبى / 423، واعراب القرآن وبيانه / 4 - 202 - 203، والتحرير والتنوير / 11 / 89.

(2) بحر العلوم / 2 / 104.

(3) ينظر: جامع البيان / 15 - 18، والكاف / 328، وتقسیر ابن کثیر / 4 - 246 - 247، وفتح القدير / 2 - 481 - 482، وبحر العلوم / 2 - 103 - 104، وتقسیر البغوي / 410، وتقسیر العز بن عبد السلام / 2 - 62، وأنوار التنزيل . 105 - 104 / 3

رابعاً: أهداف ومقاصد النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ تعليم العباد الثاني وعدم الاستعجال: ﴾

ذكر بأنّ الحكمة في خلق الله تعالى هذه الأشياء في مدة محدودة ممتدة، وهي ستة أيام، وفي الفدورة أن يقول لها: كُنْ فَتَّوْنَ، وهو القادر على خلق جميع العالم في أقل من لمح البصر، إنما هي لِيُعَلَّمَ عباده التَّوْدَةُ وَالْتَّمَهُلُ فِي الْأَمْرِ.⁽¹⁾

الإنسان بطبيعة عجول يستبطئ الثمرة، يريد قطعها بسرعة ، وربما أدى به هذا إلى ترك العمل ظاناً أنه لا ثمرة منه، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَجَلٍ سَأْوِرِيْكُمْ مَأْيَقٍ فَلَا تَسْتَعِجِلُوْنَ﴾ [الأنبياء: 37]، والمسلم يحرص على الثاني والتمهل في أمره كلها، فهو لا يُهمل في عمله، وإنما يؤدي ما عليه بتأنٍ وإخلاص وإتقان، وذلك كله حتى يخرجه على أكمل وجه، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودته.

إنّ الثاني لا يقتصر على العمل فقط فالMuslim يخشى في عبادته، ويؤديها بتمهل وتأنٍ وإتقان؛ فإن كان مصلياً صلّى في خضوع وخشوع، وإن كان يدعو ربه دعاء في تضرع وتذلل، وعلى طالب العلم الثاني في مذكنته، وطلبه للعلم، وفي فهم دروسه، وتكليفه التي يكلف بها، وذلك لكي يخرجها بأفضل وأحسن صورة، وقد قال بعض الحكماء: من تأنّى نال ما تمنى.

كذلك الأمر في الدعوة إلى الله تعالى، يدعو إنساناً فلا يستجيب له في البداية، فييأس منه ويتركه، وهذا ما لا يجب فعله فالداعية يجب أن يكون متأنياً متمهلاً؛ لأن الاستعجال يقود في النهاية إلى الندم.

الثاني يشمل القضاء في المحاكم فيجب عليه عدم التسرع في اصدار الأحكام والقرارات، وذلك بأن يستمع لطيفي النزاع فيسمع من الثاني كما سمع من الأول فإنه أحرى أن يتبعن له الحكم، وهذا للأسف ما يقع به الكثير من القضاة في عصرنا الحالي بأنهم لا يستمعوا للطرفين ولا يعطوا كل ذي حق حقه، وقد يصدرون أحكاماً متسرعة تؤدي إلى هلاك الأشخاص، أو تدمير حياتهم.

إنّ المتأني المترافق المتألف المتمهّل في التعامل مع قضايا الحياة، أكثر انتصاراً في معاركها، وأقلّ بل أندر إخفاقاً في مباراتها، مهما كانت صعوبة التنافس، وبالتمهل والثاني يمكن الانتصار وكسب كل معركة في الحياة.

(1) ينظر: التفسير المنير /11، والجواهر الحسان /3 ، والمحرر الوجيز /3. 104

﴿الْتَّفَكُرُ فِي مَخْلوقَاتِ اللَّهِ وَالْإِسْتِدَالُ بِهَا عَلَى عَظَمَتِهِ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّفْكِيرِ وَأَكْمَلُهَا﴾⁽¹⁾

إنَّ من العبادات التي هجرها الكثيرون في هذا الزمان عبادة التفكير في آيات الله تعالى، والتأمل في نشأة خلق الكائنات على اختلاف طبائعها ووظائفها وتصنيفها وبيئتها وأشكالها سواء كانت كائنات لا ترى بالعين أو ظاهرة لنا، وكل ذلك من مخلوقات الله تعالى الدالة على عظمته.

إن هذا الهجر لمثل هذه العبادة سبب خللاً في الوعي الإسلامي، إذ أصبحت الناس تهتم بأمور هي دون عبادة التفكير في الاعتبار الشرعي والفائدة المرجوة منها.

(1) التفسير المنير 11/105.

المطلب الرابع

وعد الله حق

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَيْعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّمَا يَبْدُوا لِلْخَلَقِ ثُمَّ يُعِيْدُهُ لِيَجْرِيَ الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ بِالْقَسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيرٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يومن: 4].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما ذكر الله بحث حكمه القدري وهو التدبير العام فهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وبين حكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده عبادته وحده لا شريك له، وأنه لم يخلقهم عبثاً، بل إنه خلقهم ليعمروا الأرض ويقوموا فيها بالأعمال، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

يَبْدُوا لِلْخَلَقِ ثُمَّ يُعِيْدُهُ: فيها قولان، هما:

أ. أنه ينشئه ثم يفنيه، أي أنه يبدأ الخلق لا على مثال سبق، ثم يعيده في النشأة الأخرى على ما كان عليه.

ب. يحييه ثم يمته ثم يبده ثم يحييه.⁽²⁾

الراجح: ما ترتضيه نفس الباحثة وتميل إليه هو الرأي الأول لما يبينه من أنّ بدء الشيء على غير مثال أشد من إعادته على مثال كان موجود عليه سابقاً.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿جَيْعًا﴾ منصوب على الحال، أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ منصوب على المصدر بفعل دل عليه الكلام، وهو قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ لأن هذا وعد منه سبحانه بالبعث.

(1) ينظر: زهرة التفاسير 7 / 3513، وتيسير الكريم الرحمن ص: 357.

(2) ينظر: النكت والعيون 2 / 423، وتفسیر القرطبي 8 / 309، والتفسير الوسيط 4 / 51.

(3) ينظر: المجبى 2 / 423، مدارك التنزيل 2 / 7.

وَهُوَ حَقًّا: مصدر آخر، تقديره حق ذلك حقاً، وكل من (وعد) و (حقاً) مصدر مؤكّد.⁽¹⁾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحمل فيها وجهين:

- أ. أن يكون مرفوعاً بالابتداء وجملة (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) خبره .
- ب. أن يكون منصوباً عطفاً على الموصول قبله وتكون الجملة بعده مبينة لجزائهم.⁽²⁾

"جملة: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ خبر".⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: في موضع رفع صفة أخرى لعذاب ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مذوق".⁽⁴⁾

3. القراءات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، (إِنَّهُ) فيها قراءتان:

أولاً: قرأت الأمصار (إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) ، بكسر الألف من (إنه)،

التجييه: من قرأ بكسر الألف قرأها على الاستثناف والابتداء.

ثانياً: قرأ أبو جعفر (إِنَّهُ) بفتح الألف من (أنه).

التجييه: كأنه أراد: حَقًّا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فـ "أن" حينئذ تكون رفعاً.⁽⁵⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

أخبر الله تعالى أن إليه مرجع الخلائق يوم القيمة والذي صفتة ما وصفَ جل ثناؤه في الآية السابقة، ومعادكم أيها الناس، يوم القيمة جمِيعاً، فسيعود إليه البر والفاجر والمطيع والعاصي والمفسد والمصلح، ويعدكم الله تعالى أن يحييكم بعد مماتكم وعداً حَقًّا، إن رِبكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده، ثم يعيده فيوجده حياً كهيئته يوم ابتدأه، بعد فنائه وبلاه، ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره، والحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم ولبيثب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال، واجتنبوا ما نهاهم عنه، على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب، والصالح من الجزاء في الآخرة، أما

(1) ينظر: التبيان / 665، وإعراب القرآن العظيم ص: 315، والمجتبى / 423، ومعاني القرآن وإعرابه / 3 / 7.

(2) فتح البيان / 6 / 15.

(3) المجتبى / 2 / 423.

(4) التبيان / 2 / 665.

(5) ينظر: جامع البيان / 15 / 21، وتقسیر البغوي / 4 / 121، ومعاني القرآن وإعرابه / 3 / 7.

الذين كفروا فأعد الله تعالى لهم من العذاب، وذلك ليجزي كل فريق بما عمل، المحسن منهم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، حيث أن الكافرين شراب قد أغلي واشتد حره، ولهم مع ذلك عذاب موجع، سوى الشراب من الحميم، بما كانوا يكفرون بالله تعالى ورسوله ﷺ.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

توضيح أن الحكمة من البعث هي المحاسبة والجازاة:

إذا لم يكن هناك بعث ومجازاة على الأعمال ل كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، ولأمن الظالم والباغي من العقاب فعاث في الأرض فساداً، ولباء الفقر والمحروم المضطهد في هذه الحياة بالخسران، حيث تتحول هذه الدنيا إلى غابة موحشة يأكل فيها القوي الضعيف، دون خوف أو مبالاة إلا القليل فقد يكون بسبب القضاء، وكثيرة الطرق التي يمكن بها الاحتيال والهروب من سلطته، خاصة من كان لهم نفوذ وسلطة، والمؤمن الحق يترك ظلم الآخرين ويصبر على متابعة الحياة ومساقها، ويتحمل ما جاءه من البلاء في طريقه وحياته وطاعته واستقامته، وكل ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى، والفوز بجنته، وهذا لا يكون إلا بعدما يبعث الله تعالى الخلق، ويجازي الله تعالى المؤمن على أعماله، وإذا كان هذا حال المؤمنين فإن الكفار لا يتوقعون لقاء الله تعالى، ونتيجة لهذا يقونون عند الحياة الدنيا بما فيها من نقص وهبوط، ويرضونها ويستغرون فيها، فهم ينكرون النص فيها، ولا يدركون أنها لا تصلح أن تكون نهاية للبشر، وأن الدنيا ليست النهاية؛ لأن البشرية لم تبلغ فيها كمالها المنشود، فهوئاء جزاؤهم النار، وفي حديث قوله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِأَنْعَمْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ حَيْرَا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبَّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".⁽²⁾

(1) ينظر: جامع البيان 20-21، وتفسير ابن كثير 4/248، وتفسير البغوي 4/121، ومدارك التنزيل، وتبسيير الكريم الرحمن ص: 357، وزهرة التفاسير 7/3514-3516.

(2) صحيح مسلم 4/2162، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، حديث رقم: 2807

المطلب الخامس

أثبات القدرة الإلهية في السن الكونية

لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا خَلَقَ ۖ وَالنَّارُ مَنَازِلٌ لِّلْعَذَابِ ۖ وَالْجَنَّاتُ مَا خَلَقَ اللَّهُ
عَزَّ ذِيَّةٍ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ مُنَزَّلُونَ ۖ إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا بِالْأَرْضِ ۖ وَمَا
يُنَزَّلُ مِنْ آياتِنَا إِلَّا مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ إِنَّمَا يَعْلَمُ مَا
بِالْأَرْضِ ۖ وَمَا يُنَزَّلُ مِنْ آياتِنَا إِلَّا مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الآيات الدالة على وجوده، وقرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقيّة الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته وهو خلق السموات والأرض على ذلك النظام المحكم ذكر في هذه الآيات الكريمة أنواعاً من آياته الكونية الدالة على ذلك وعلى أنه خلقها على غاية من الإحكام والإتقان، وهو تفصيل لما تقدم وبيان له على وجه بديع وأسلوب عجيب.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

ذكر في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي أَخْلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقَوْنَ﴾ أن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: انتقا بعلمة وآية كما أنت بها الأنبياء قومهم، فردهم إلى تأمل مصنوعاته والنظر فيها فنزلت الآية الكريمة.⁽²⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معانی الكلمات:

وَقَدْرَمُ: (الهاء) فيها قولان:

أ. القمر خاصة، لأن المقدّر لعلم السنّين والحساب.

ب. يجوز أن يكون المعنى وقدرها منازل فحذف أحدهما عن الآخر اختصاراً وإيجازاً⁽³⁾، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبه: 62].

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/207، ونقش المراغي 11/67، وتيسير الكريم الرحمن ص: 358.

¹⁰⁵ (2) ينظر: تفسير القرطبي 8/311، ويحر العلوم 2/105.

(3) ينظر: جامع البيان /23، ومعاني القرآن /3، والكشف /5، والمنبر /11، ومقاتيح الغيب /17، وزاد المسير /2، والجواهر الحسان /3، والتفسير المنبر /109، وتقسیر البغوي /2، وزاد المسير /317.

أَلَّمْسَ ضِيَاءَ وَالْقَمَرَ ثُورًا : (الضوء والنور): بمعنى واحد لغة، والضوء أقوى من النور استعمالاً، وقيل الضوء لما كان من ذاته كالشمس والنار، وهو ينبعث من جسم مشع له، بفعل الحرارة النارية المتوقدة في هذا الجسد، والنور وهو الشعاع لما كان مكتسباً من غيره.⁽¹⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: **﴿جَعَلَ الْشَّمْسَ ضِيَاءً﴾**: مفعولان؛ ويجوز أن يكون (ضياء) حالاً.⁽²⁾

قوله تعالى: **﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾**: حذف حرف الجر، أي وقدر له. وقيل التقدير: قدره ذا منازل، و(قدر) فيها عدة وجوه:
أ. متعدية إلى مفعولين؛ لأن معناه جعل وصير.

ب. يجوز أن يكون قدر متعدياً إلى مفعول واحد بمعنى خلق، وهو الهاء ومنازل حال أي متقللاً.⁽³⁾

جملة: **﴿يُفَيَّضُ الْأَيَّتِ﴾** في محل نصب حال من لفظ الجلالة.

جملة: **﴿يَعْلَمُونَ﴾** في محل جر صفة لقوم.

جملة: **﴿يَتَّغُورُونَ﴾** في محل جر صفة لقوم.⁽⁴⁾

3. الجوانب البلاغية:

يقول ابن عاشور في تفسيره: "أن المنازل: جمع منزل وهو مكان النزول. والمراد بها هنا الموضع التي يظهر القمر في جهتها كل ليلة من الشهر. وهي ثمان وعشرون منزلة على عدد ليالي الشهر القمري، وإطلاق اسم المنازل عليها مجاز بالتشابه وإنما هي سموات يلوح للناس القمر كل ليلة في سمت منها، كأنه ينزل بها، وقد رصدها البشر فوجدوها لا تختلف".⁽⁵⁾

(1) ينظر: تفسير المراغي/11-66، والتفسير القرآني للقرآن/6/959، والتحرير والتواتير/11/94، والتفسير المنير/11/109.

(2) ينظر: إعراب القرآن، النحاس/2/140، والجدول/11/78، والتبيان/2/665، وإعراب القرآن، الدعايس/2/16، والتفسير المنير/11/109.

(3) ينظر: التبيان/2/666، وإعراب القرآن وبيانه/4/208.

(4) ينظر: الجدول/11/79-81، والمجتبى/2/424، وإعراب القرآن للدعايس/2/16، وإعراب القرآن وبيانه/4/209.

(5) التحرير والتواتير/11/95.

4. القراءات:

أ. قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً**، كلمة **ضِيَاءً** فيها قراءات، هي كالتالي:

أولاً: قرأ الأثثرون: ضِياءً بهمزة واحدة.

ثانياً: قرأ ابن كثير: ضياء بهمزتين بينهما ألف على القلب، ولا وجه له لأن ياءه كانت واواً مفتوحة، وهي عين الفعل أصله ضوء فسكت وجعلت ياء كما جعلت في الصيام والقيام.⁽¹⁾

ب. قوله تعالى: **يُفَصِّلُ** فيها قراءتان على النحو الآتي:

أولاً: قرأت بالياء، وهي قراءة ابن كثير، أبي عمرو، حفص، ويعقوب.

ثانياً: قرأت بالنون، وهي قراءة باقي السبعة.

التجييه: من قرأ بالياء قرأها جرياً على لفظه، ومن قرأ بالنون قرأها على سبيل الالتفات.⁽²⁾

5. الاشارات العلمية:

كشفت هذه الآية الكريمة عن حقائق لم تكن معروفة للناس قبل نزولها، وهي أن الشمس نجم تتبعه منه حرارة وضوء كما هو شأن سائر النجوم التي هي أجرام ملتهبة ومضيئة في آن واحد، وأن القمر كوكب أي جسم بارد مظلم يستمد ضوءه وحرارته من الشمس، وأن القمر يتحرك في مداره مرة في كل شهر بتوقيت دقيق يعرف منه عدد الأيام وحسابها في الشهور والأعوام فلولا هذه الحركة المنتظمة ما عرف الإنسان وقته ولا كيف يحسب الشهور والأعوام.⁽³⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

إن ربكم الله **بِهِمَّ** الذي خلق السموات والأرض هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر وقضاء فسواه منازل، لا يجاوزها ولا يقصر دُونها، على حالٍ واحدةً أبداً، وقدره منازل، فوحده، وقد ذكر الشمس، والقمر، وقدر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس دخول ما يدخل منها، أو انقضاء ما يستقبل منها، وحساب أوقات السنين، وعدد شهورها، وحساب ساعات أيامها، وليلاتها، وهذا كله رفقاً بكم ورفعاً للالتباس في معاشكم وتجاراتكم وإيجاراتكم، وغير ذلك مما يضطر فيه إلى معرفة التواريχ، وقوله تعالى: **مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ** أي للفائدة لا للعب والإهمال، وخلقها وحده، غير عن ولا شريك، ويبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون إذا تدبروها، ويعرفون حقيقة وحدانية الله

(1) ينظر: الكشاف 2/ 329، وفتح القدير 2/ 483، وزاد المسير 2/ 317، والكشف 5/ 119 - 120، ومفاتيح الغيب 17/ 208، وأنوار التنزيل 3/ 105.

(2) ينظر: فتح القدير 2/ 484، والموسوعة القرآنية 5/ 302.

(3) القرآن وإعجازه العلمي ص: 79.

يَعْلَمُ، وَصَحَّةُ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ، مِنْ خَلْعِ الْأَنْدَادِ، وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الْأُوثَانِ، وَبِنَبَهِ اللَّهِ عَبَادَهُ عَلَى مَوْضِعِ الدَّلَالَةِ عَلَى رَبِّيْتِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَا دُونَهُ، وَإِنْ فِي اعْتِقَابِ اللَّيلِ النَّهَارِ، وَاعْتِقَابِ النَّهَارِ اللَّيلِ، إِذَا ذَهَبَ هَذَا، وَإِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ هَذَا، وَفِيمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجُومِ، وَفِي الْأَرْضِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنْ لَهَا صَانِعًا لَمْ يَكُنْ كَمَثْلَهُ شَيْءٌ، لِأَدْلَةٍ وَحْجَّاً وَأَعْلَمًا وَاضْحَّى لِلْقَوْمِ فِي خَافَوْنَ وَعِيدَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ عَقَابَهُ عَلَى إِخْلَاصِ الْعَبَادَةِ لِرَبِّهِمْ، وَلِقَوْمٍ يَتَقَوَّنُ الشَّرُكَ، وَخَصَّ الْمُنْتَقَيِّنَ لِأَنَّهُمْ يَحْذَرُونَ الْعَاقِبَةَ فَيَدْعُوهُمُ الْحَذَرَ إِلَى النَّظَرِ وَالْتَّدْبِيرِ، وَلِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَبْصُرُونَ ذَلِكَ حَقًّا، وَيَشَاهِدُونَ لِصَفَاءَ أَرْوَاحِهِمْ وَطَهَارَةَ قُلُوبِهِمْ وَنُفُوسِهِمْ أَمَا أَهْلُ الشَّرُكِ وَالْمُعَاصِي فَهُمْ فِي ظَلْمَةٍ لَا يَشَاهِدُونَ مَعَهَا شَيْئًا وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ.⁽¹⁾

خامسًا: مقاصد وأهداف النص

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

«تعلم الحساب وعلم الفلك وما هو نافع للمسلمين:

الآيات الكريمة تؤكّد على ضرورة وجود علماء متخصصين في علوم الفلك ودورته، والحساب القائم على الرياضيات، حيث أنّ مثل هذه العلوم لا يمكن لـكُلّ الناس إتقانها، ولابدّ من وجود قوم يتعلّمونها بالبحث والمتابعة، ويدرسونها لمن أراد الاستزادة منها، وقد كان العرب الأوائل من السبّاقين إلى العناية بالمواقيت، وضبط الزمن من خلال ملاحظاتهم الفلكية، ذلك لما تيسّر لهم من صفاء الذهن، وتوقدُ الخاطر، الذي صقلته لهم الطبيعة الصحراوية، التي كانوا يعيشون في أحضانها، ثم أتى بعدهم العلماء في الحضاراتين الإسلامية والأوروبية لاستعمالوا المراسيد الفلكية، ولتوسيعها في دراسة علم الفلك، حيث تبيّن لهم أن نظام الكواكب يجري في دقة متناهية، وتمكنوا من رصده بدقة شديدة، وعناية فائقة.

الواجب اليوم وفي العصر الحالي يقتضي من علماء وفقهاء المسلمين أن يتبعوا جهود أولئك العلماء، ويوافقوا أبحاثهم، ويستفيدوا من دقة توقيت الأهلة، في إصدار توقيت قمرى سنوي، يجري اعتماده بشكل رسمي من قبل سائر الدول الإسلامية، ويتمّ من خلاله تحديد مسبق لبداية شهر رمضان وانتهائه، حتى لا يحدث لبس عند الناس، وكذلك موعد الوقوف في عرفة، وهذا كله ممكن عندما نهجُ أميّتنا، ونجدو متعلّمين، ونواكب التقنيات الحديثة ونحسن الاستفادة منها، ولن يكون بعدها أي اختلاف في تعداد أيام شهر رمضان، أو أي اختلاف بين الدول الإسلامية في توقيت بداية صومهم ونهايته، وتحديد يوم الوقوف بعرفات، وأيام أعيادهم، مسبقاً

(1) ينظر: جامع البيان 15/23-24، والكشف 2/329، وتفسير ابن كثير 4/248-249، وبحر العلوم 2/105، والمحرر الوجيز 3/106، وأنوار التنزيل 3/105، وأيسر التفاسير 2/449.

ودون مفاجآت تتعلق بالغيوم والظواهر الطبيعية وغيرها التي يمكننا تجنبها خاصة ما نمر به من كوارث طبيعية من حين لأخر في عصرنا الحالي⁽¹⁾، وإن كان مثل ذلك من أمور يستهان بها، لكن لها أثر كبير في وحدة الأمة الإسلامية، والتحام صفوفها، وقوة كلمتها.

» بيان فضل العلم والتقوى:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَنَّفُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَانِيهِ، وَلَا تَمُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، والتقي هو من أكرم عباد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ على الله، وسيدنا محمد ﷺ كان أكرم الخلق على الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنه أتقاهم الله وأخشاهم له فيجب أن نتحلى بخلق نبينا ﷺ، وأن نتقى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في جميع أمور حياتنا في كل نظرة وكلمة، في الكلام وفي الصمت قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً﴾ [الطلاق: 2]، والتقوى هي البداية الصحيحة في طلب العلم، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّفُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يُكَلِّمُ شَنِئَ عَلِيهِ﴾ [البقرة: 282]، ويجب على طالب العلم تقوى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن من دلائل التقوى بعد عن الذنوب ومقوماتها والحذر من أسبابها ودعائياها، لأن الذنوب أصل كل بلاء وهي مفتاح الشرور وعواقبها على النفس، وعلى العلم الذي تحمل لا تحصى، قال عبد الله بن مسعود: "إِنِّي لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ بِالْخَاطِئَةِ يَعْمَلُهَا"⁽²⁾، فيجب تلازم التقوى في كل حياتنا، والقيام بما أوجب الله عَلَيْهِ السَّلَامُ علينا من الفرائض، ثم مجاهدة النفس على أن ترتقي إلى القيام بالنواوف، ثم الاستمرار حتى تصل إلى المراتب العالية في العبادة كالورع والبيقين والرضا، وتقوى الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) ينظر: القرآن منهاج حياة ص: 816-817.

(2) جامع بيان العلم وفضله 1 / 691.

المطلب السادس

المؤمن والكافر وعاقبة كلٍّ منهما

قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءً مَا وَرَضُوا بِالْعِيَّوَةِ الْلَّذِيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَا يَنْهَا عَنِفُونَ** ٧ **أُوْتَيْكُ مَا وَهْمُ الْأَنَارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ٨ **إِنَّ الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ** يَوْمَنَهُمْ تَجْرِي مِنْ تَحْنِيمٍ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّتَ النَّعِيْمِ ٩ **دَعَوْنَاهُمْ فِيهَا شَيْخَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحْيِنَهُمْ فِيهَا سَلَمٌ وَمَا خَرَّ** دَعَوْنَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠ [يونس: 7-10].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعدما أقام الله تعالى الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم ووجوده، وعلى صحة القول بالمعاد والحضر والنشر، وأثبت بذلك البعث والجزاء على الأفعال يوم العرض والحساب شرع بعده في شرح أحوال من يكفر بها، وأعرض عن البينات الدالة عليه، وفي شرح أحوال من يؤمن بها وموقين بقاء ربهم، ثم أوضح جزاء كل من الفريقين.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءً مَا: لها معنيان، هما:

أ. لا يخافون عقاباً.

ب. لا يطمعون في ثوابنا، ولا يرغبون فيما يرجي ويطمع من الرغائب.⁽²⁾

الراجح: ما تميل إليه نفس الباحثة بأن المقصود به المعنيين لأن الذي لا يخاف لا يمكن أن يطمع بالثواب، وفيما عند الله تعالى.

يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ يَوْمَنَهُمْ: فيه أربعة أوجه:

أ. يجعل لهم نوراً يمشون به.

ب. يجعل عملهم هادياً بالنور لهم إلى الجنة.

ج. أنه وصفهم بالهداية على طريق المدح لهم.

(1) ينظر: مفاتيح العجيب 17/210، وتفسير المراغي 11/70، والتفسير المنير 11/113.

(2) فتح البيان 6/19، وتفسير القرطبي 8/311، وفتح القدير 2/485، وتأويلات أهل السنة 6/12، وإعراب القرآن وبيانه 4/210، والنكت والعيون 2/423.

د. يرحمهم، وينثيهم ويجزيهم.⁽¹⁾

وَقَحِّيَّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ: فيها ثلاثة أقوال:

أ. يحيي بعضهم بعضاً بالسلام.

ب. تحية الملائكة إياهم وأضيف المصدر إلى المفعول.

ج. تحية الله يحيي لهم.⁽²⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**، الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

المصدر المؤول: **بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** في محل جرّ بالباء متعلق بفعل مذوف دلّ عليه الكلام أي عocabوا بما كانوا.⁽³⁾

جملة: **يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ** في محل رفع خبر (إن).

قوله تعالى: **تَجْرِي مِنْ تَحْنِيمِ الْأَنْهَارُ** يجوز أن يتعلق بتجري، وأن يكون حالاً من الأنهر، وأن يكون متعلقاً بيهدي، وأن يكون حالاً من ضمير المفعول في يهدي، وأن يكون خبر ثانٍ لـ (إن)، لذكر ما يحصل لهم من النعيم في الآخرة بسبب هدايتم الحاصلة لهم في الدنيا.⁽⁴⁾

قوله تعالى: **فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ** خبر أو حال آخر منه أو من الأنهر، أو متعلق بتجري أو بيهدي.

سُبْحَانَكَ: نائب مفعول مطلق لفعل مذوف تقديره: نسبح، وجملة: (نسبح سبحانه) خبر (دعواهم)، وجملة: **اللَّهُمَّ** معرضة بين المتعاطفين لا محل لها من الإعراب، وهي جملة دعائية.⁽⁵⁾

(1) ينظر: جامع البيان/ 15، والنكت والعيون/ 2، 423-424، وتقدير القرطبي/ 8، 312، والكشف/ 5، 120، ونفسير السمعاني/ 2، 368، وتقدير البغوي/ 2، 411، وزاد المسير/ 2، 318.

(2) ينظر: الكشاف/ 2، 331، ومدارك التنزيل/ 2، 9، وزاد المسير/ 2، 318، والبحر المحيط/ 6، 17، والموسوعة القرآنية/ 10، 50.

(3) ينظر: الجدول/ 11، 82، وإعراب القرآن للداعس/ 2، 17.

(4) ينظر: المحتوى/ 2، 425، والتبيان/ 2، 666، والتحرير والتتوير/ 11، 102.

(5) ينظر: المحتوى/ 2، 425، والجدول/ 11، 84، إعراب القرآن للداعس/ 2، 17، التفسير المنير/ 11، 113.

جملة: ﴿لَحْمَدُ لِلَّهِ﴾ في محل رفع خبر أن المخففة، المصدر المؤول من أن المخففة واسمها وخبرها في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ (آخر).⁽¹⁾

3. الجانب البلاغية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، فيه التفات، مع الإضافة إلى ضمير الجملة لتعظيم الأمر وتهويله.⁽²⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

شرع الله ﷺ في شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد، والذين لا يخافون لقاء الله ﷺ يوم القيمة ولا يتوقعونه، ولا يخطرون به بالهم لغفلتهم المستولية عليهم، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين والذين هم عن آيات الله ﷺ وهي أدلة على وحدانيته، وحججه على عباده، في إخلاص العبادة له معرضون عنها لاهون، لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه، فيعلمون بها حقيقة ما دلّتهم عليه، ويعرّفون بها بُطُول ما هم عليه مقيمون، هؤلاء الذين هذه صفتهم مصيرهم إلى نار جهنم في الآخرة، وذلك بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام والأجرام، ويجهرون من السيئات.

ثم أنزل فيما أعد الله ﷺ للمؤمنين وصدقوا بالله ورسوله، وذلك بالعمل وطاعة الله والانتهاء إلى أمره، يرشدهم ربهم بإيمانهم به إلى الجنة، ويخبر الله ﷺ بأن تجري من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، أنهار الجنة في بساتين النعيم، الذي نعم الله به أهل طاعته والإيمان به، ودعاؤهم فيها: سبحانك اللهم، وتحية بعضهم بعضاً ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾، فهذه علامة بينهم وبين خدمهم في الجنة، فإذا قالوا هذه المقالة جاءهم الخدم بالموائد ووضعوها بين أيديهم وأتوا بما يشتهون، أي: سلّمت وأمنت بما ابْتَلَيْتَ به أهل النار، وآخر قولهم: ﴿أَنَّ لَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَيُكَوِّنُ ابْتِدَاءً أَمْرَهُمْ بِالْتَّسْبِيحِ، وَانْتِهَاءً أَمْرَهُمْ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، وهذا فيه دلالة على أن الله ﷺ هو المحمود أبداً، المعبد على طول المدى؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، والمحمود في الأول والآخر، في الحياة الدنيا والآخرة، وفي جميع الأحوال.⁽³⁾

(1) الجدول 11/84.

(2) ينظر: التفسير المنير 11/113، وصفوة التفاسير 1/578.

(3) ينظر: جامع البيان 15/25-33، وال Kashaf 2/330، و تفسير ابن كثير 4/250-251، وفتح القدير 2/49-50، وبحر العلوم 2/105-106، و تفسير السمعاني 2/368، والموسوعة القرآنية 10/485.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿تَسْيَانُ الْآخِرَةِ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الدُّنْيَا وَالْأَطْمَنَانُ بِهَا﴾⁽¹⁾

التحذير من اللهو وراء الدنيا ونسيان الآخرة أمرٌ يغفل عنه الكثير من الناس على مر الأزمان والصور، وعجبًاً لمن يلهث خلف دنيا يجمعها من حل ومن حرام، ويضيّع نصيبيه من الآخرة، أما علم أنها لو حيزت له بحذافيرها فإنما هي سجن المؤمن، وما هي إلا ممر للآخرة ومصداقاً لذلك من الأحاديث النبوية الشريفة، عن عبد الرحمن بن أبي بن عثمان بن عفان، يُحَدَّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ رَبِيعٌ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ بْنِ نَصْفِ النَّهَارِ، قُلْتُ: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ يَسْأَلُ عَنْهُ، فَسَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءِ سَمِعْنَاها مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ عِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْتَهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ".⁽²⁾

الدنيا بما تحتويه من فتن ومال وشهوات وتقىدات حضارية وتقنولوجية عائق من المعوقات التي تعوق المسلم عن فعل الصالحات والطاعات، فهي تشغله بما جبلت عليه عن القيام بهذه الأعمال أو الإكثار منها، فزينة المال والحرص عليه، وعلى جمعه وتحصيله يمنع الإنسان عن فعل كثير من الخيرات من إنفاق وصدقة، وكذلك زينة الولد فهي مجنة مبخلة، والمرأة فهي من متاع الحياة الدنيا، وما في الدنيا من الأمتنع والشهوات التي لا نكاد أن نصيبيها، ويكثر عدها، والدنيا تعوق عن العمل الصالح وتصد عنه، فهي رأس الفتنة، وباب كل شر، فالخير له مفاتيح والشر كذلك، والدنيا مفتاح من مفاتيح الخير، وهي مفتاح عظيم من مفاتيح الشر؛ بما جبلت عليه من الشهوات والملذات، نسأل الله السلامة والعافية.

﴿تَلْقِينَ الْعِبَادِ تَحْيَةَ الْإِسْلَامِ﴾

قد شرع الله ﷺ لنا تحية تميّزنا عن غيرنا، ويتربّ على فعلها الثواب والأجر العظيم لكل من يلقي التحية، والأجر المضاعف لمن يرد عليها، وجعلها من حقوق المسلم على أخيه، لكنها تحولت من سنة إلى عادة من العادات لا يدرك معظم الناس مكانتها عند الله ﷺ، فلا يصح أن تبدل هذه التحية العظيمة بعبارات أخرى لا تؤديه تحية الإسلام المباركة، مثل: صباح الخير، أو مساء الخير، أو مرحباً، أو غير ذلك من العبارات التي ما أنزل الله ﷺ بها من

(1) أيسر التفاسير 2 / 451

(2) سنن ابن ماجه 2 / 1375، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، حديث رقم: 4105، حكم الألباني: صحيح.

سلطان، مما قد يستعمله بعض الناس جهلاً أو إعراضًا عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وما كل ذلك إلا سياسة وغزو فكري لإبعاد الشاب المسلم عن تعاليم دينه.

إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرَبِ وَالْتَّحْيَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ فَقْطًا، كَذَلِكَ يَسْتَحِبُّ لِلَّادِعِي
وَالْمُتَضَرِّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ فِي آخِرِ دُعَائِهِ أَنْ يَحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، كَمَا قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةَ: ﴿وَإِنَّ
دَعَوْنَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

المبحث الثاني

المقصود والأهداف لسورة يومن

من الآية (11-18) سنن الله في الاستخلاف

وموقف الناس منه

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: استعجال الإنسان الخير دائماً.

المطلب الثاني: أحوال البشر في الدعاء عند مسهم
الضر.

المطلب الثالث: سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة
والكافرة، واستخلاف خلائف بعدهم.

المطلب الرابع: مطالبة المشركين الرسول ﷺ بقرآن آخر
أو تبديل بعض آياته.

المطلب الخامس: عبادة المشركين للأصنام وادعاء
شفاعتها.

المطلب الأول

استعجال الإنسان الخير دائمًا

قَالَ نَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجَلُهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَاهِمُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ [يومن: 11].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر الله تعالى تعجب الناس من إيحاء الله تعالى إلى رجل منهم وهو محمد ﷺ بالنبوة، ذكر الله تعالى أدلة التوحيد والبعث، وأبان في هذه الآية الكريمة الجواب عن قول كانوا يقولونه: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً في ادعاء الرسالة، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، ومضمون الجواب: أنه لا مصلحة لهم في استعجالهم الشر وإلا ماتوا وهلكوا.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

سبب نزول الآية الكريمة ما ذكر أنه حين تمنى النضر بن الحارث السهمي العذاب فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فيصيينا، فأنزل اللهم الآية الكريمة إذا أرادوه فأصابوه.⁽²⁾

يقول عبد الكريم يومن الخطيب: "هذه الآية غير مقيدة بأسباب نزولها، بل هي مطلقة، حيث يقع تحت حكمها الناس جميعاً، فقد كان من رحمة الله بالناس أن أمهلهم، فلم يعجل لهم".⁽³⁾

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ : وفي المراد بالآية قولان:

أ. التعجيل هنا للناس عامة مسلمهم وكافرهم.

ب. تعجيل الله تعالى للكافرين العذاب على كفرهم.⁽⁴⁾

(1) ينظر: مفاتيح العيب 17/218، والتفسير المنير 11/119، والبحر المحيط 6/19.

(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 2/229، والمحرر الوجيز 3/108، وبحر العلوم 2/106، وتقسيير البغوي 2/412، وزاد المسير 2/319، ولباب التأويل 2/430.

(3) التفسير القرآني للقرآن 6/966.

(4) ينظر: فتح القدير 2/487، والنكت والعيون 2/425، وزاد المسير 2/319.

الراجح: ما تردد الباحثة أنَّ المقصود بالآية هم الناس غير مخصصة بالكافرين فقط، لأنَّ سياق الآيات تتحدث عنهم، ولأنَّ الاستعجال من صفات بني آدم.

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿أَسْتَعْجَلَهُم﴾ مفعول به ليعجل.

﴿أَسْتَعْجَلَهُم﴾: تقديره استعجالاً مثل استعجالهم؛ فحذف المصدر وصفته المضافة، وأقام المضاف إليه مقامهما، وقال بعضهم: هو منصوب على تقدير حذف حرف الجر؛ أي كاستعجالهم، وهو بعيد.⁽¹⁾

﴿فَنَذَرُ﴾: معطوف على فعل مذوف، تقديره: ولكن نمهم فنذر؛ ولا يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿يُعَجِّلُ﴾، إذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي تقتضيه (لو) وليس كذلك؛ لأنَّ التعجيل لم يقع، وتركهم في طغيانهم وقع.⁽²⁾

جملة قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِم﴾ لا محل لها من الإعراب، وهي جواب شرط غير جازم.

جملة: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب حال من الواو في (يرجون).⁽³⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضَى إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فيه تناقض: أصله (ولَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ) تعجيله لهم الخير، فوضع ﴿أَسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ﴾ موضع تعجيله لهم الخير اشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم، حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم.⁽⁴⁾

ب. قوله تعالى: ﴿الشَّرَّ أَسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ﴾ أي كاستعجالهم بالخير فيه تشبيه مؤكّد مجمل، وبين (الشر) و(الخير) طباق.⁽⁵⁾

4. القراءات:

قال تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، اختلف القراء في قراءتها على النحو الآتي:

(1) ينظر: التبيان 2/ 667، وإعراب القرآن وبيانه 4/ 212، التفسير المنير 11/ 119، الجدول 11/ 86.

(2) ينظر: المحتوى 2/ 426، والجدول 11/ 86، والتبيان 2/ 667.

(3) ينظر: الجدول 11/ 86-87، والمحتوى 2/ 426، وإعراب القرآن للداعس 2/ 18.

(4) ينظر: الجدول 11/ 87، والتفسير المنير 11/ 119.

(5) التفسير المنير 11/ 119، وصفوة التفاسير 1/ 578.

أولاً: قرأ ذلك عامة قراء الحجاز وال伊拉克: **﴿لَقْضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾**، على وجه ما لم يسمّ فاعله، بضم القاف من (قضي)، ورفع (الأجل).

التوجيه: تأتي هنا بمعنى: لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً.

ثانياً: قرأ عامة أهل الشام: **﴿لَقْضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾**، بالنصب.

التوجيه: تأتي بمعنى: لقضى الله **﴿عَلَيْكَ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾**.⁽¹⁾

قال أبو جعفر: "وهما قرأتان متفقان المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب، غير أني أقرؤه على وجه ما لم يسمّ فاعله، لأن عليه أكثر القراء".⁽²⁾

رابعاً: المعنى الإجمالي:

يخبر الله **﴿عَلَيْكَ﴾** عن حلمه ولطفه بعباده أَنَّه لو بعجل للناس إجابة دعائهم في الشر، عند غيظهم وضجرهم وغضبهم لعجلنا إهلاكم، وذلك فيما عليهم مضرّة في نفس أو مال كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به لهلعوا، وعُجل لهم الموت، وهو الأجل لفرغ إليهم من أجلهم، ولأهلك من دعا عليه ولآماته، وذلك بالدعاء على نفسه وولده وعلى صاحبته مثل: أخراك الله، ولعنك الله، كما يعجل لهم الخير إذا دعوه بالرحمة والرزق والعافية، فندع الذين لا يخافون عقابنا، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور في تمرّدّهم وعّتوهم وحيرتهم يتربّدون، وهم أهل الشرك، وكل ذلك مجازة لهم.⁽³⁾

خامساً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿بِيَانِ حِكْمَةِ اللهِ الْعَلِيِّ وَلَطْفِهِ فِي اسْتِجَابَتِهِ لِأَدْعَيْهِ عَبَادَهِ﴾

هناك صور تتكّرّر في حياتنا اليومية، تكشف خفايا النفس الإنسانية، التي لم تستكمل إيمانها الخالص بالله **﴿عَلَيْكَ﴾**، فبعض الناس يريدون أن يمسكوا بزمام القضاء والقدر فيجعلوه يأتمر بأمرهم، ويغدق عليهم الخير متى أرادوا، ويتنزّل بالشرّ على أعدائهم متى شاءوا، وكأنهم بذلك يتَّهّلون على الله **﴿عَلَيْكَ﴾**، ويجعلون أنفسهم أصحاب القرار من دونه! ولكنّهم بهذا التفكير المريض

(1) ينظر: بحر العلوم 2/ 106، وتقسير البغوي 2/ 412، والمحرر الوجيز 3/ 108، وزاد المسير 2/ 319، والموسوعة القرآنية 5/ 302.

(2) جامع البيان 15/ 36.

(3) ينظر: جامع البيان 15/ 33-34، تقسير ابن كثير 4/ 251-252، وتقسير مقاتل بن سليمان 2/ 229، ولطائف الإشارات 2/ 82-83، وتقسير المراغي 11/ 73-74.

يَتَخَبَّطُونَ فِي دِيَاجِيرِ الضَّلَالِ وَالْطَّغْيَانِ، مَمَّا يَجْعَلُهُمْ مُتَسْرِعِينَ فِي اتِّخَادِ الْقَرَاراتِ، فَهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ، كَمَا يَسْتَعْجِلُونَ فِي طَلَبِ دَفْعِ الشَّرِّ، وَقَدْ فُطِرَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْعَجْلَةِ كَمَا بَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ذَلِكَ حِينَ قَالَ تَعَالَى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: 37]، وَمَا اسْتَعْجَالَهُ الْخَيْرُ إِلَّا لِشَدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى الْمَنَافِعِ، أَمَّا اسْتَعْجَالُهُ الْضُّرُّ فَلَقْتَهُ صَبْرَهُ عَلَى الْمَحْنِ وَالْخَطْبَ، وَكَثْرَةِ الْإِنْفَعَالَاتِ الَّتِي تَعْتَمِلُ فِي صَدْرِهِ، كَالْغَضَبِ أَوِ الْجَهْلِ أَوِ الْعَنَادِ أَوِ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ يَدْعُوا إِلَيْنَا عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ لَدْنِهِ حِينَ الْغَضَبِ أَوِ الْيَأسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قَوَانِينِهِ الَّتِي تَغَيِّرُ اِنْفَعَالَاتِ الْبَشَرِ، فَهُوَ الْحَلِيمُ، الْمُتَجَاوِزُ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَهُوَ الرَّبُّ الرَّحِيمُ الَّذِي يَعْلَمُ أَيْنَ تَكُونُ مَصْلَحَةُ عِبَادِهِ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِمْ لِأَهْلِكُمْ⁽¹⁾، وَمَا وَرَدَ فِي السَّنَةِ النَّبُوَيَّةِ الْشَّرِيفَةِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَرْوَةِ بَطْنِ بُوَاطِ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهْنَيِّ، وَكَانَ النَّاصِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّيْسَةِ وَالسَّبْعَةِ، فَدَارَتْ عَقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاصِحٍ لَهُ، فَأَنْاَخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعْثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَا، لَعَنَكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ هَذَا الْلَّاعِنُ بَعِيرَةً؟ قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اتَّزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمُلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسَأَلُ فِيهَا عَطَاءً، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ".⁽²⁾

التعجُّلُ فِي طَلَبِ الشَّرِّ مِنْ قَبْلِ إِنْسَانٍ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى زَمْنِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَزَمْنِ رَسُولِنَا مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ تَعْدَاهُ أَيْضًا إِلَى عَصْرِنَا الْحَالِي الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ فَنَحْنُ نُرِي الْيَوْمَ كَيْفَ لَكُلُّ مَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا يَدْعُ عَلَى نَفْسِهِ، مُتَنَاسِيًّا بِأَنَّهُ كَلَمَا ضَاقَتْ حَلْفَاتُهَا فَرَجَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ يَعْلَمُ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ النَّبِيُّ: لَا يَتَمَنَّيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرُّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدًّا فَاعِلًا، فَلَيْقُلْ: اللَّهُمَّ أَحِينِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي".⁽³⁾

"الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ تَمَامَ الْحَدَّرِ وَلَا سِيمَا حَالَ غَضَبَهُ وَتَضَرُّرَهُ مِنْ أَنْ يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ لَدْنِهِ بِاللَّعْنَةِ أَوِ الْعَذَابِ أَوِ النَّارِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مَا لَا يُسْرُهُ تَحْقِيقُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ

(1) يَنْظُرُ: الْقُرْآنُ مِنْهَاجُ حَيَاةِ ص: 313.

(2) صَحِيحُ مُسْلِمٍ 8/233، كِتَابُ: الزَّهْدُ وَالرَّقَائقُ، بَابُ: حَدِيثُ جَابِرَ الطَّوِيلِ وَقَصْةُ أَبِي الْيَسِّرِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: 3009.

(3) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ 7/121، كِتَابُ: الْمَرْضِيِّ، بَابُ: تَمَنِي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 5671.

مقصود الدعاء جلب النفع ودفع الضر، وأما الدعاء على النفس أو المال أو الولد فليس فيه

أي منفعة، بل هو ضرّ محسّ ووبالٌ وهلاكٌ".⁽¹⁾

« الحذر من الدعاء على الأبناء عند موافقة القدر:

يجب أن نحذر من الدعاء وخاصة الأمهات والآباء على أبنائهم من الدعوات في أوقات الاستجابة، فعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمُظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ"⁽²⁾، ولكن من فضل الله ع على، ورحمته وحلمه بعباده أن الدعاء الذي يصدر بغير قصد حال الغضب والضجر لا يستجاب، ولأنه يعلم عدم القصد وإرادة خلاف الذي يدعون به ذلك، ولكن يجب على الأبناء الحذر من إغضاب والديهم والحرص على برهما وطاعتهما في المعروف لأنه قد تافق الدعوة ساعة استجابة فتُجاب الدعوة.

(1) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ص: 32.

(2) سنن الترمذى 314 / 4، أبواب: البر والصلة، باب: ما جاء في دعوة الوالدين، حديث رقم: 1905، [حكم الألبانى: حسن].

المطلب الثاني

أحوال البشر في الدعاء عند مسهم الضر

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَنَ الْضُّرُّ دَعَاهُ لِجَنِيدَهُ أَوْ قَاعِدَهُ أَوْ قَيْمَأَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ كَأَنَّ لَهُ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسْهَمَ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يومن: 12].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

تناسب الآية الكريمة مع سبقتها من الآيات من عدة جوانب، كالأتي:

1. بين الله تعالى في الآية السابقة أنه لو أنزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك ولقضى عليه، وبين في هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه، ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من أنه لو أنزل عليه العذاب لمات.

2. أن الله تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب، ثم بين في هذه الآية أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال، لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه، فإنه يتضرع إلى الله تعالى في إزالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقا في هذا الطلب، وهذا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس، لأن الغرض الأهم من كلتيهما هو الاعتبار بذميم أحوال المشركين تقطيعاً لحالهم وتحذيراً من الوقوع في أمثالها بقرينة تهية.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ﴾: فيه ثلاثة أقوال:

- أ. أعرض عن الدعاء، وموقف الابتهاج والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به.
- ب. مر في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبَتَّلَ، قبل مس الضر ونسي حال الجهد، ولم يتعظ بما ينزله.
- ج. مر طاغياً على ترك الشكر، واستمر على كفره.⁽²⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/219-220، والمحرر الوجيز 3/109، والتحرير والتواتر 11/109.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب 17/221، وزاد المسير 2/319، وأنوار التنزيل 3/107، ومدارك التنزيل 2/10.

2. الإعراب:

قوله تعالى: **﴿لِجَنِيْهِ﴾**: متعلق بحال مذوفة، من فاعل دعانا، أي: مضطجعاً لجنبه، أو قاعداً أو قائماً حالان معطوفان على الحال قبلهما.⁽¹⁾

قوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ زُتِيْنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ﴾** كذلك: مفعول مطلق أي مثل ذلك التزيين وزين.

جملة: **﴿مَسَّ إِلَيْنَانَ الْفُرْشَ﴾** في محل جر مضاد إليه.

جملة: **﴿دَعَانَا لِجَنِيْهِ﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي جواب شرط غير جازم.

جملة: **﴿كَشَفْتَأَعْنَهُ صُرْهُ﴾** في محل جر مضاد إليه.

جملة: **﴿كَانَ لَمْ يَدْعُنَا﴾** في محل نصب حال من الفاعل في (مر).⁽²⁾

جملة: **﴿لَمْ يَدْعُنَا﴾** في محل رفع خبر كأن.

جملة: **﴿مَسَّهُ﴾** في محل جر صفة لضر.

جملة: **﴿يَعْمَلُونَ﴾** في محل نصب خبر كانوا.⁽³⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. التقسيم أو صحة الأقسام: وهو عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً، وقوله تعالى: **﴿دَعَانَا لِجَنِيْهِ أَوْ قَاعِدَا أَوْ قَائِمَا﴾** استوفى جميع الهيئات التي يكون عليها أثناء دعاء الإنسان لخالقه.⁽⁴⁾

ب. قال تعالى: **﴿مَرَّ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا﴾** ذكر ابن عاشور في تفسيره أن (المرور) هنا مجازي بمعنى استبدال حالة بغيرها، شبه الاستبدال بالانتقال من مكان إلى آخر لأن الانتقال استبدال، أي انتقل إلى حال كحال من لم يسبق له دعاؤنا، أي نسي حالة اضطراره واحتياجه إلينا فصار كأنه لم يقع في ذلك الاحتياج.⁽⁵⁾

(1) ينظر: محسن التأويل/6/10، إعراب القرآن وبيانه/4/213، والبحر المديد / 455، والموسوعة القرآنية 10 /50.

(2) ينظر: الجدول 11 /88، والتبيان 2 /668.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه/4/213، والجدول 11 /88-89، والمجتبى 2 /426، وإعراب القرآن للدعاس 2 /18.

(4) ينظر: الجدول 11 /89.

(5) التحرير والتتوير 11 /111.

ح. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ "الكاف في (كذلك) للتشبيه والمعنى: كما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح المنكر زين للمسرفيين ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر ومتابعة الشهوات".⁽¹⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بَيْنَ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْ نَزْوَلِ الْبَلَاءِ، قَلِيلَ الشَّكْرِ عَنْ وَجْدَانِ النَّعَمَاءِ، فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ الشَّدَّةَ وَالْجَهْدَ وَالْمَرْضَ وَالْفَقْرَ اسْتَغْاثَ بِاللَّهِ يَعْلَمُ فِي كَشْفِ ذَلِكَ عَنْهُ وَيَكُونُ إِمَّا مُضطَجِعًا لِجَنْبِهِ، أَوْ قَاعِدًا إِذَا كَانَتِ الْعَلْتَهُ أَهُونَ، أَوْ قَائِمًا بِالْحَالِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا عَنْ نَزْوَلِ ذَلِكَ الْضَّرِّ بِهِ، وَلَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْدُ إِحْدَى هَذِهِ الْحَالَاتِ، فَلَمَّا فَرَّجْنَا عَنْهُ الْجَهْدَ الَّذِي أَصَابَهُ وَرَفَعْنَاهُ عَنْهُ، اسْتَمَرَّ عَلَى طَرِيقَتِهِ الْأُولَى قَبْلَ أَنْ يَصِيبَهُ الْضَّرُّ، وَنَسِيَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْبَلَاءِ أَوْ تَنَسَّاهُ، وَتَرَكَ الشَّكْرَ لِرَبِّهِ الَّذِي فَرَّجَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ حِينَ اسْتَعْذَ بِهِ، وَعَادَ لِلشَّرِكِ وَدَعَوْيِ الْأَلَّهِ وَالْأَوْثَانِ أَرْبَابًا مَعَهُ، كَمَا زَيَّنَ لَهُمْ هَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي وَصَفَنَا صَفَّهُ، اسْتَمْرَأَهُ عَلَى كُفْرِهِ بَعْدَ كَشْفِ اللَّهِ عَنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْضَّرِّ، كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلَّذِينَ أَسْرَفُوا فِي الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ يَعْلَمُ وَعَلَى أَنْبِيَاءِهِ، فَتَجَازَوْرُوا فِي الْقَوْلِ فِيهِمْ إِلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَعْلَمُ لَهُمْ بِهِ، مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ يَعْلَمُ وَالشَّرِكِ وَبِهِ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيْجَ⁽²⁾: "كَذَلِكَ زَيَّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الدُّعَاءِ عَنْ الْبَلَاءِ وَتَرَكَ الشَّكْرَ عَنِ الرُّخَاءِ"، فَأَمَّا مِنْ رِزْقِهِ اللَّهِ يَعْلَمُ الْهُدَى وَالسَّدَادُ وَالْتَّوْفِيقُ وَالرُّشَادُ، فَإِنَّهُ مُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ.⁽³⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿خِلْجَاتُ النُّفُوسِ وَأَوْضَاعُ النَّاسِ﴾:

الآية الكريمة تصور لنا نموذجاً بشرياً من الناس لا يختص بفترة معينة، وإنما يتكرر ويتولى على مدار الزمان والمكان، وهو نموذج شائع، ويشكل الغالبية العظمى -إلا من رحم ربِّي-،

(1) ينظر: مفاتيح العجيب 17/222.

(2) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: الإمام، العالمة، الحافظ، شيخ الحرمين، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة، مولى أمية بن خالد، وقيل: كان جده جريج عبداً لأم حبيب بنت جبير؛ زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أبي الأموي، فنسب ولاؤه إليه، وهو عبد رومي، وكان لابن جريج أخ اسمه محمد، لا يكاد يعرف، ولابن اسمه محمد. [ينظر: سير أعلام النبلاء 325-326/6].

(3) ينظر: جامع البيان 15/36-37، وال Kashaf 2/332-333، Tafsir ibn Kathir 4/252، و Tafsir Maqālāt ibn Sallimān 2/230، Bahr al-Ulūm 2/106، Wilāyat al-Tāwīl 2/431.

وقليل ما هم فحن نرى إعجاز القرآن الكريم وكيف صور لنا النفس البشرية بكافة أبعادها، وجميع حالاتها، ونراه يصدق على الجنس البشري في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، ولا عجب لأن الله عَزَّ وَجَلَّ خالق الإنسان ويعلم ما هو عليه، ولا تخفي عليه خافية في الأنفس والآفاق⁽¹⁾، فالإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء، قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء، فإذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهداً في الدعاء طالباً من الله عَزَّ وَجَلَّ إزالة وكشف ما نزل به من الضر والمحن والبلاء، ولكنه سرعان ما ينسى ربه، ولا يكون وفياً لفضل الله عَزَّ وَجَلَّ عليه، فإذا كشف الله عَزَّ وَجَلَّ كل ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع إلى ما كان عليه سابقاً من اندفاع واستهتار، ولم يشكر ولم يتعظ، وينطلق لا يعقب ولا يفكر ولا يتذمر، وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَنَ ضُرٌّ دَعَارِيَّهُ، مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً يَتَّهِنُ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنَّدَادًا لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِهِ، قُلْ تَمَّتْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8]، أما المؤمن العاقل فإنه على خلاف ذلك، فيكون صابراً عند البلاء شاكراً الله عند الرخاء والنعماء، كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية.⁽²⁾

﴿نَمْ مِنَ اللَّهِ هُنَّ لَمْنَكُرُ نِعْمَهُ﴾

الآية تبين صورة مبدعة لنموذج بشري مكرر، وإن الإنسان ليظل مدفوعاً مع تيار الحياة، يخطئ ويدنّب ويطغى ويسرف، والصحة موفورة، والظروف مواتية. وليس - إلا من عصم الله ورحم - من يذكر في إبان قوته وقدرته أن هناك ضعفاً وأن هناك عجزاً، وساعات الرخاء تُنسى، والإحساس بالغنى يُطغى⁽³⁾، وتحدث الآية عن ضجر الإنسان المنتشر اليوم وتبرمه وتضايقه من ابتلاءات الله عَزَّ وَجَلَّ له وهي صفة لا يحبها الله عَزَّ وَجَلَّ، فعنْ صُهْبَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَكَرٌ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"⁽⁴⁾، والسفهاء من الناس تمر بهم الأحوال الحسنة والسيئة، فلا يستقيدون من اختلافها شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الظُّرُرُ فَإِلَيْهِ تَجْشُرُونَ ﴾^٥ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الظُّرُرَ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: 53-54].

(1) ينظر: الجدول 11/89

(2) ينظر: لباب التأويل 2/431، والتفسير المنير 11/123.

(3) أيسر التفاسير 2/455.

(4) صحيح مسلم 4/2295، كتاب: الزهد والرقة، باب: المؤمن أمره كلّه خير، حديث رقم: 2999.

آداب الدعاء:

تجنبًا للصفات التي ذمها الله عَزَّلَ يجب أن نتحلى ببعض آداب الدعاء، منها:

- أن يكون الداعي مستقبلاً للقبلة رافعًا يديه خافضًا لصوته متضرعًا لربه ممتثلاً لأمره: **رَبَّكُمْ تَضَرَّعُوا وَخُفِيَّةٌ إِنَّمَا لَآتِيُّهُ الْمُعْتَدِينَ** [الأعراف: 55].
- يفتح الدعاء بذكر الله عَزَّلَ، ويصلى على النبي ﷺ ثم يسأل الله حاجته بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا ثم يختتم بحمد الله عَزَّلَ، والصلوة على حبيبه محمد ﷺ.
- أن يترصد الإنسان لدعائه الأوقات المحبوبة كيوم عرفة وأيام رمضان ويوم الجمعة ووقت السحر وليلة القدر.
- أن يغتنم الأحوال والأوقات التي ورد فيها أنها مواطن إجابة كزحف الصفوف في الجهاد أو في إقامة الصلاة أو بين الأذان والإقامة أو في السجود أو دُبُر الصلوات.
- أن يثني على الله عَزَّلَ، ويدعوه بخشوع ورغبة وريبة، فقد اثنى الله عَزَّلَ على من كان ذلك حاله فقال تعالى: **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحِيَا وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ أَرْغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ** [الأنبياء: 90].
- يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويلح في الدعاء ويكرره ثلثًا، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **كَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا**.⁽¹⁾
- أن يكون الداعي تائياً متظهراً متذللاً مكثراً من الطاعات والإحسان مبتعداً عن المال الحرام غير متوجل، وان يسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد، ففي الدعاء الفرج وفيه السعادة، والظفر وكل مانتمناه وترجوه من أمور الدنيا والآخرة.⁽²⁾

اللهم أوزعنا نشكر نعمك التي أنعمت علينا، وذكرنا الأحوال التي مننت علينا فيها بإجابة الدعاء؛ حتى نستكثر من الشكر الذي لا نطيق سواه ولا نقدر على غيره، وما أغناك عنه وأحوجنا إليه، قال تعالى: **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** [إبراهيم: 7].

(1) صحيح مسلم / 3، 1418، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ، حديث رقم: 1794، (جزء من حديث طويل).

(2) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال / 2 - 514 - 515.

المطلب الثالث

سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة والكافرة، واستخلاف خلائف بعدهم

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمْنَا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ بَخْرَى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۚ ۱۷ ۚ مِنْ جَعْلِنَّكُمْ خَالِقِينَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِتَنْظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۚ ۚ ۱۷﴾ [يونس: ۱۴-۱۳]

أولاً: مناسبة الآيات لما قيلها:

بعد أن أبان الله تعالى أنهم كانوا يتجلّون العذاب، وأوضّح أنه لا فائدة في إجابة دعائهم، ثم ذكر أنّهم كاذبون في هذا الطلب إذ لو نزل بهم ضر، تضرعوا إلى الله تعالى في إزالته وكشفه، بين هنا ما يجري مجرى التهديد والردع والزجر عما صنعوا هؤلاء المشركون، وهو أن الله تعالى قد ينزل بهم عذاب الاستئصال، كما أنزله في الأمم السابقة لهم، ليكون ذلك رادعاً لهم عن مطاليبهم تعجّيل العذاب.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معانٰي الكلمات:

الْقُرُونَ: الأُمُّ، وهو جمع قرن بالفتح، وأصله مدة طويلة من الزمان، وهو مائة سنة، وهو القوم المفترضون في زمن واحد⁽²⁾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَحْيَءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةً أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"⁽³⁾.

وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا : فِيهَا أَقْوَالٌ :

أولاً: قال ابن الأثيري: "منعهم الله بذلك من الإيمان جزاء على كفرهم".⁽⁴⁾

ثانياً: قال الزجاج⁽⁵⁾: "هذا في قوم علم الله بجهل أنهم لا يؤمنون، ولو أبواهم أبداً".

(1) ينظر: فتح الديار 2/ 488، والتفسير المنير 11/ 124، وتفسير المراغي 11/ 76، والتحرير 11/ 112-113.

(2) ينظر: تفسير المنار 11/258، وتقسيم المراغي 11/75، والتحرير والتتوير 11/113، واعراب القرآن 4/215.

(3) صحيح مسلم 7/184، كتاب: فضائل الصحابة، باب: خير القرون، حديث رقم 6560.

(4) ينظر: تفسير السمعان، 2/370، وزاد المسير في 2/323، ومعنى القرآن واعتراضه للزواج 3/10.

(5) **أبو إسحاق الزجاج**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتنين، وصنف كتاباً في معانى القرآن وله كتب عديدة منها: كتاب الأمالى، الاشتقاد، العروض، القوافي، شرح أبيات سيبويه، النواذر، والأئفاء، وغير ذلك، أخذ الأدب عن المبرد وشلبه - رحمة الله تعالى -، وكان يخترق الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، ببغداد-رحمه الله تعالى -، وقد أناف على ثمانين سنة.[ينظر: وفيات الأعيان 1/49-50].

2. الإعراب:

قوله تعالى: **﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾**: متعلق بـ(أهلنا)، وليس بحال من القرون؛ لأنه زمان.
﴿وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: يجوز أن يكون في محل نصب حال بتقدير (قد)؛ أي وقد جاءتهم،
 ويجوز أن يكون معطوفاً على ظلموا.⁽¹⁾

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَافُوا لِيَتُمْنَوْا﴾** فيها وجهان:
 أولاً: يجوز أن يكون عطفاً على (ظلموا).

ثانياً: ممكن أن يكون اعترضاً واللام لتأكيد النفي، يعني: وما كانوا يؤمنون حقاً، تأكيداً لنفي إيمانهم، وأن الله عَزَّلَ قد علم منهم أنهم يصررون على كفرهم، وأن الإيمان مستبعد منهم.⁽²⁾

﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: نعت للقوم منصوب وعلامة النصب الياء، وـ(القوم) مفعول به منصوب.

جملة قوله تعالى: **﴿أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي جواب قسم مقدر.

جملة: **﴿ظَلَمُوا﴾** في محل جر مضارف إليه، وجواب الشرط محذف دل عليه ما قبله أي:
 لما ظلموا أهلناهم.

جملة: **﴿جَعَلْنَاكُمْ خَلَقَ﴾** لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة القسم المقدرة
 المستأنفة في الآية السابقة.

جملة: **﴿لِنَنْظُرَ﴾** لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.⁽³⁾

جملة: **﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** في محل نصب مفعول به لفعل (النظر)، وهو بمعنى العلم المتعلق
 بالاستفهام (كيف)، وهو في محل نصب على الحال.⁽⁴⁾

3. الجوانب البلاغية:

قال تعالى: **﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** في النظر استعارة تمثيلية، حيث شبه حال العباد مع الله عَزَّلَ، بحال الرعية مع حاكمها، في إمهالهم للنظر في أعمالهم، وأستعير المشبه به للتشبيه للتقريب والتمثيل، لكن ليس كمثل الله عَزَّلَ شيء، والله المثل الأعلى.⁽⁵⁾

(1) ينظر: التبيان / 2، 668، والجدول / 11 / 90-91.

(2) ينظر: الكشاف / 2، 333، إعراب القرآن وبيانه / 4 / 218.

(3) ينظر: الجدول / 11 / 90.

(4) ينظر: الماجتبى / 2، 427، والجدول / 11 / 91، وإعراب القرآن للداعس / 2 / 19.

(5) ينظر: التفسير المنير / 11 / 124، وصفوة التفاسير / 1 / 578.

قوله تعالى: **﴿لَنَتَظَرَ﴾** معناه: لنبين في الوجود ما علمناه أولاً، والعلم الحقيقي الذي لا يتطرق الشك إليه، لكن جرى القول على طريق الإيجاز والفصاحة والمجاز.⁽¹⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

هكذا الإنسان وتلك سنة الله ﷺ في الأمم، ولن تجد لسننته تبديلاً فاعتبروا يا أولى الأ بصار، وفي هذه الآيات الكريمة إخبار من الله ﷺ لمعاصري الرسول ﷺ وخطاب لهم بإهلاك من سلف قبلهم من الأمم ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رُسُلَ الله ﷺ من قبلكم أيها المشركون بربهم، وذلك بسبب شركهم ومخالفتهم أمر الله ﷺ ونفيه وجاءتهم رسليم من عند الله، بالآيات والحج والأدلة التي ثبّين عن صدق من جاء بها، وخوف أهل مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لكيلاً يكذبوا محمداً ﷺ، وجاءتهم رسليم بالآيات البينات أنها حق، ولم تكن هذه الأمم التي أهلكناها ليؤمنوا برسليم ويصدقونهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله ﷺ وإخلاص العبادة له، وكما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسهم، وتکذيبهم رسليم، وردهم نصيحتهم، كذلك أ فعل بكم فأهلككم كما أهلكتم بتکذيبكم رسولكم محمداً ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بريكم، إن أنت لم تُثبّبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم فإن من ثواب الكافر بي على كفره عندي، أن أهلكه بسخطي في الدنيا، وأورده النار في الآخرة، ثم جعلناكم، أيها الناس، خلائق من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا، تخلفونهم في الأرض، وتكونون فيها بعدهم، لينظر ريكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنبهم وكفرهم بربهم، تختذلون مثالهم فيه، فستتحقون من العقاب ما استحقوا، أم تخالفون سبيلهم فتؤمنون بالله ﷺ ورسوله وتقررون بالبعث بعد الممات، فستتحقون من ريكم الثواب الجزيل⁽²⁾، عن أبي سعيد الخدري **رض**، عن النبي **صل**، قال: **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْفِفٌ فِيهَا، فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**.⁽³⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/223، والجواهر الحسان 3/240، والبحر المحيط 6/22، والتحرير والتوير 115/11.

(2) ينظر: جامع البيان 15/37-38، وتفسير ابن كثير 4/252، والبحر المحيط 6/21، وبحر العلوم 2/107، والتفسير الواضح 2/46.

(3) صحيح مسلم 8/89، كتاب الدعوات، باب: فتنة النساء، حديث رقم 7048.

﴿ هَلَكَ الْأُمَمُ بِظُلْمِهَا ﴾

سنة الله يَعْلَمُ في الأمم أنها تهلك إذا ما انتشر وتفشى الظلم فيها وأضحى هو مأكلها ومشريها، وأصبح المنكر معروفاً والمعلوم منكراً، فعند ذلك تتحقق سنة الله في هلاكها قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَكُمْ قَصَمْتُمَا مِنْ قَرَيْقَرَ كَانَتْ طَالِمَةً وَأَشَانَا بَعْدَهَا قَوْمًا مَاخَرِيْنَ ﴾ [الأنبياء: 11]، وقال تعالى: ﴿ فَكَانُوا مِنْ قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا وَهُوَ طَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيْهُ عَلَى عُرُوشَهَا ﴾ [الحج: 45]، والأمم الظالمة لها أجل محدود، وإذا انقضت المدة جاء أجلها فتهلك كما يهلك الإنسان ويموت، وعذاب الله يَعْلَمُ لا يقتصر على من تقدم من الأمم الظالمة بل إن سنته يَعْلَمُ في أخذ كل الظالمين سنة واحدة فلا ينبغي أن يظن أحداً أن الإهلاك قاصر على الأمم السابقة بل إن من شارك أولئك المتقدمين في أفعالهم أن يهلك مثهم، فلا يغتر الظالم ولا الأمم الظالمة بالإمهال وحلم رب العالمين عليهم فالله يمهل ولا يهمل، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ" قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: 102]⁽¹⁾، ولو نظرنا في تاريخ أمتنا لوجدنا دعوات ومذاهب وأعداء قد أهلكها الله يَعْلَمُ بعد أن علت في الأرض بالفساد، ولم يتبق منها إلا بعض آثارها، وذلك لتكون عبرة لمن يعتبر ويتعظ، وما كان يتصور أي إنسان هلاكها سواء من قوة عسكرية مثل: التتار والشيوخية، أو فكرية كالبهائية والقاديانية أو تصيرية صلبيّة، وما هلكت إلا لطغيانها وظلمها، فلكل ظالم نهاية.

المتأمل في واقع المسلمين اليوم يجد أنهم يذوقون صنوف العذاب وأصبحوا لقمة سائغة في أفواه الأعداء تنتهي حرمتهم ويُتعدى على أرضهم وتسلب أموالهم وتغتصب نسائهم وتسلب إرادتهم ويتحكم فيهم القاصي والداني، وال الحرب اليوم أصبحت معلنة اجتمعت حيث أحزاب الكفر وتحالفت على الإسلام ويعاونهم أخوة لنا من بني جلدتنا بكل ما يملكون من سلطة ومال وإعلام، فازدادت الفتن وكثير الأعداء وليس لنا إلا الله وحده.

﴿ إِسْتَخْلَافُ اللَّهِ بِكُلِّ الْعِبَادِ فِي أَرْضِهِ ﴾

الآية بشاره لهذه الأمة بأنها ستخلفهم في الأرض إذا آمنت بالله يَعْلَمُ واتبعوا النور الذي أنزل معه كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: 55]، وقد صدق الله يَعْلَمُ وعده فملكهم ملك الأكاسرة والقياصرة والفراعنة وكثير من الأمم غيرها.⁽²⁾

(1) صحيح البخاري 6/ 74، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَى ﴾، حديث رقم: 4686.

(2) ينظر: تفسير المراغي 11 / 77.

ولقد شرف وكرم الله ﷺ الإنسان باستخلافه في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَكِّةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾ [البقرة: 30]، وهذه الخلافة تقوم على أساس الإصلاح والأمر بالمعروف وتحقيق العدل بين الناس فيما يقع بينهم من مظالم ودفع الفساد والظلم عن الناس والنهي عن الفحشاء والمنكر ، وهذا كله يُعتبر جزء من وظائف الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، فمن يقم بذلك يمكن الله ﷺ له في الأرض، واستخلاف الله ﷺ للإنسان يقع تحت تكليف الأمانة التي حملها الإنسان واعتذر عن قبولها مخلوقات أعظم من خلق الإنسان وهي السموات والأرض والجبال، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْتَ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَاهُ مِنْهَا وَحَمَلَهَا أَلْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72]، كل الناس أفراداً وأمماً مُمَهُّلون مُراقبون في أعمالهم وسلوكيهم ومجزيون بأعمالهم خيرها وشرها لا محالة.

المطلب الرابع

مطالبة المشركين الرسول ﷺ بقرآن آخر أو تبديل بعض آياته

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ مَا يَأْتُنَا بَيْنَتِي قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي تَقْسِيَةً إِنَّ أَنْتَمْ لَا مَيُونَكُمْ إِلَّا إِنَّمَا أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَذْرَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْتُ فِيْكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقُلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِعَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يومن: 15-17].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن بدأ ذكر الله ﷺ شبهتين للمشركين ، وهمما ذكر الكتاب الحكيم وإنكار المشركين الوحي على رجل منهم وتخسيص محمد ﷺ بالنبوة، ثم أقام الحجة على الوحي والتوحيد والبعث بخلق العالم علوّيه وسفليّه، وبطبيعة الإنسان وتاريخه وغرايشه، أعاد هنا الكلام في شأن الكتاب نفسه، وتقنيد ما اقترحه المشركون على الرسول ﷺ بشأنه، وحجه بالبالغة عليهم في كونه وحياناً من عند الله ﷺ. (١)

ثانياً: سبب النزول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ مَا يَأْتُنَا بَيْنَتِي قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ﴾، اختلف في سبب نزولها إلى قولين، هما:

1. نزلت في مشركي مكة، قاله قتادة ومجاهد.
2. نزلت في خمسة أشخاص كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ وبالقرآن، هم: عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر بن هاشم، قالوا للنبي ﷺ: أَتْ بِقُرْءَانٍ لِيُسْ فِيهِ تَرْكُ عِبَادَةِ الالَّاتِ وَالْعَزِيزِ وَمَنَاهَ وَهَبْلٍ وليس فيه عنةما أَيْ بَدَلَهُ تكلم به من تلقاء نفسك، قاله مقاتل. (٢)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب 17/223، وتقسيم المراجعي 11/78، والتفسير المنير 11/128 ، تفسير المنار 11/261.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب 17/224-223، والكشف والبيان 5/123-124، والتحرير والتواتر 11/118.

ثالثاً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

أَوْبَدَهُ : في قول المشركون للرسول ﷺ ثلاثة أوجه:

- أنهم سألوه أن يحول الوعد وعيدهاً والوعيد وعداً، والحلال حرام والحرام حلال.
- سألوه أن يسقط ما في القرآن من عيب آهتهم وتسفيه أحالمهم.
- أنهم سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور، قاله الزجاج.⁽¹⁾

وَلَا أَذْرِكُمْ : فيه ثلاثة أوجه:

- ولا أعلمكم به، أي القرآن، قاله ابن عباس.
- ولا أنذركم به، قاله شهر بن حوشب.⁽²⁾
- ولا أشعركم به، قاله قتادة.⁽³⁾

الراجح: ما ترجحه الباحثة وترتضيه أن جميع المعاني المذكورة سابقاً جائزة، وتدل على الإعلام والإبلاغ الذي كلف به الرسول ﷺ، من رب العزة.

2. الإعراب:

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾**، الجملة في محل جر مضارف إليه.

﴿بَيْتَنِتِ﴾ حال منصوبة وعلامة النصب الكسرة.

جملة: **﴿أَنْتِ إِنْ شَرِّعْتِ غَيْرَ هَذَا أَوْبَدَهُ﴾** في محل نصب مقول القول، والمصدر المؤول: **﴿أَنْ أَبْدِلَهُ﴾** في محل رفع فاعل يكون.

قوله تعالى: **﴿فُلْ مَا يَكُوْنُ لِيَ أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾**، الجملة في محل نصب مقول القول.

جملة: **﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُؤْخَذُ إِلَيْكَ﴾** لا محل لها من الإعراب تعليلية، وكذلك قوله تعالى: **﴿إِنْ أَخَافُ﴾** لا محل لها من الإعراب تعليل آخر.

(1) تفسير القرطبي 8/319، تأویلات أهل السنة 6/19، والنکت والعيون 2/427.

(2) شهر بن حوشب: الأشعري الشامي الحمصي، ويقال الدمشقي أبو سعيد، أسماء بنت يزيد من كبار التابعين توفي سنة 112هـ، قال عنه ابن حجر صدوق كثير الإرسال، روى عن مولاته أسماء، وأبو هريرة، وابن عباس وغيرهم، قيل توفي سنة 98هـ، وقيل 112هـ. [ينظر: سير أعلام النبلاء 4/378].

(3) ينظر: والنکت والعيون 2/427، إعراب القرآن، النحاس 2/143، لباب التأویل 2/433.

وجملة: **﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبَّكَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** لا محل لها من الإعراب اعتراضية، وجواب الشرط مذوف دل عليه ما قبله أي: فإني أخاف عذاب الله، و(عظيم) صفة ليوم مجرور.

وجملة: **﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾** في محل نصب مقول القول.

قوله تعالى: **﴿لَيَقْتَلُنَّ فِي كُمْ عُمُرًا﴾** الجملة لا محل لها من الإعراب، وهي تعليلية.

وجملة: **﴿تَعْقُلُونَ﴾** لا محل لها من الإعراب، معطوفة على جملة مذوفة مستأنفة أي أغاب عنكم ذلك فلا تعلقون.⁽¹⁾

قوله تعالى: **﴿أَوْ كَذَّبَ﴾** مفعول به الواو، حرف عطف و(كذب) عطف على افترى وبآياته متعلقان بكذب، والمعنى: لا أحد أظلم من افترى على الله الكذب، وزيادة كذبا مع أن الافتاء لا يكون إلا كذبا لبيان أن هذا مع كونه افتاء على الله هو كذب في نفسه فربما يكون الافتاء كذباً في الإسناد فقط.

﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الجملة تعليل لكونه لا أظلم من افترى على الله كذبا أو كذب بآياته، والجملة تقع خبر إن.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: **﴿وَإِذَا ثُنِّيَ عَنْهُمْ أَيَّاً نَا بَيْنَتِ﴾**، فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عنهم (آياتنا) التي في الكتاب العزيز، أي وإذا تلا التالي عليهم.⁽³⁾

ب. قوله تعالى: **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِنَ الْفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** خروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى استفهام إنكارى وتوبىخى معناه النفي، أي لا أحد أظلم من ذلك، ونفي الأظلمية كما هو المشهور كنایة عن نفي المساواة، والمراد أنه أظلم من أي ظالم.⁽⁴⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجادين للحق المعرضين عنه، أنهم إذا قرأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله تعالى، وحججه الواضحة الدالة على الحق، قال الذين لا يخافون

(1) ينظر: الجدول 11/92-95، وإعراب القرآن للدعاس 2/19، وإعراب القرآن، للنحاس 2/142.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/219، وإعراب القرآن للدعاس 2/20.

(3) فتح البيان 6/28.

(4) ينظر: التفسير المنير 11/127، والجدول 11/96، وصفوة التفاسير 1/578.

عقاب الله عَزَّلَهُ، ولا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالبعث، للرسول ﷺ أتت بقرآن غير هذا أو غيره، فقل لهم يا محمد: ما يكون لي أن أبدل من عندي، وقل لهم: ما أتبع في كل ما أمركم به أيها القوم، وأنهَاكم عنه، إلا ما ينزله إلَيْ ربي، ويأمرني به، وإنِّي أخْشى من الله عَزَّلَ إِنْ خالَفْتْ أَمْرَهُ، وغَيْرَتْ أَحْكَامَ كِتَابِهِ، وَبَدَلْتَ وَحِيَهُ، فَعَصَيْتَهُ بِذَلِكَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

ثم لَقَنَ الله عَزَّلَ الجواب وقال له: قل لهم يا محمد لو شاء الله عَزَّلَ ما تلَوْتَ هذا القرآن عليكم، أيها الناس، بأنَّ كَانَ لَا يَنْزَلُهُ عَلَيَّ فَيَأْمُرُنِي بِتَلَوْتِهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَعْلَمُكُمْ بِهِ، فَقَدْ مَكَثْتُ فِيْكُمْ أَرْبَعينَ سَنَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ أَنْتُلُوهُ عَلَيْكُمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحِيَهُ إِلَيْ رَبِّيِّ، أَلَا تَعْقُلُونَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ مُنْتَهِلًا مَا لَيْسَ لِي مِنَ الْقَوْلِ، كُنْتُ قَدْ اَنْتَهَلْتُ فِي أَيَّامِ شَبَابِيِّ وَحَدَّاثِيِّ، وَقَبْلِ الْوَقْتِ الَّذِي تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ؟ فَقَدْ كَانَ لِي الْيَوْمُ، لَوْ لَمْ يُوحِي إِلَيَّ وَأَوْمَرْ بِتَلَوْتِهِ عَلَيْكُمْ، مَنْدُوحةً عَنْ مَعَادِتِكُمْ، وَمَتَّسِعًّ، فِي الْحَالِ الَّتِي كَنْتُ بِهَا مِنْكُمْ قَبْلِ أَنْ يُوحِي إِلَيَّ وَأَوْمَرْ بِتَلَوْتِهِ عَلَيْكُمْ.

يقول ﷺ: قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتم به من عند ربكم إلى الكذب، أيُّ خلق أشدُّ تَعْدِيَاً واجرَاماً، مَنْ اخْتَلَقَ عَلَى الله كَذِبًا، وَافْتَرَى عَلَيْهِ بَاطِلًا أَوْ كَذِبَ بِحَجَجِهِ وَرَسْلِهِ وَآيَاتِ كِتَابِهِ؟ يَقُولُ لَهُ وَلَيْسَ الَّذِي أَضْفَتُمُونِي إِلَيْهِ بِأَعْجَبِ مِنْ كَذِبِكُمْ عَلَى رَبِّكُمْ، وَافْتَرَائِكُمْ عَلَيْهِ، وَتَكْذِيبِكُمْ بِآيَاتِهِ، إِنَّهُ لَا يَنْجُحُ الَّذِينَ اجْتَرَمُوا الْكُفُرَ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا لَقُوا رَبَّهُمْ، وَلَا يَنْالُونَ الفلاح، وهذا وعدٌ وتأكيدٌ لما سبق. ⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿مَفَاظَاتٌ تَبُوءُ بِالْفَشْلِ﴾:

نلمس في الآيات الكريمة كيف كانت تأتي الوفود للرسول ﷺ للمفاوضات لتبيين مدى الفشل الذي أصاب زعماء قريش في عدم حصولها على التنازل الكلي عن الإسلام، الأمر الذي جعلها تتجأ إلى طلب الحصول على شيء من التنازل، ويلاحظ أن الذي طلبوه في المرة الأولى، أكبر مما طلبوه في المرة الثانية، وهذا يدل على تدرجهم في الطلب من الأكبر إلى الأصغر، عَلَيْهِمْ يجدون آذاناً صاغية لدى قائد الدعوة الإسلامية، كما أنهم كانوا يغيّرون الأشخاص المتفاوضين، فالذين تفاوضوا مع الرسول ﷺ في المرة الأولى غير الذين كانوا في المرة الثانية، حتى لا تتكرر الوجوه، وفي ذات الوقت تتوسيع الكفاءات، والعقود المفاوضة، وقوه الحجة والأسلوب تختلف من شخص لآخر، فربما أثر ذلك في نظرهم بعض الشيء، وفي هذا درس للدعاة إلى يوم القيمة؛

(1) ينظر: جامع البيان 15/40-46، وتقسيم ابن كثير 4/253-254، وبحر العلوم 2/107-108، وتقسيم السمعاني 2/371، وزاد المسير 2/320-321.

بأن لا تنازل عن الإسلام ولو كان هذا التنازل شيئاً يسيراً، فالإسلام دعوة ربانية ولا مجال فيها للمساومة إطلاقاً، مهما كانت الأسباب والدافع، والمبررات، وعلى حملة الإسلام اليوم الحذر من مثل هذه العروض، والإغراءات المادية، التي قد لا ت تعرض بطريق مباشر، فقد تأخذ شكلاً غير مباشر، في شكل وظائف علياً، أو عقود عمل مجانية، أو صفقات تجارية مريحة، والبحث عن فرص عمل، وعقود مجانية في البلاد العربية الغنية، الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي وهذا ما تخطط له المؤسسات العالمية المشبوهة لصرف الدعاة عن دعوتهم وبخاصة القياديين منهم، وبنظرة فاحصة للعالم الإسلامي اليوم، نلاحظ أن بعض المناصب العليا أشغالت بعض الدعاة.⁽¹⁾

نرى اليوم أيضاً كيف يقوم الكيان الصهيوني بعمل هُدن وصفقات وفي كل مرة يتم التنازل فيها عن بعض النقاط، وغُنِّيَ دل ذلك فإنما يدل على قوة المقاومة الإسلامية.

ـ ظلم الكاذب لنفسه ووقوعه في الهاك:

لا يوجد على الأرض كلها إنسان أشد ظلماً من هؤلاء الذين يفترون الكذب على الله، فلم يقتصر هذا الظلم على زمن الرسول وتكلميته للآيات القرآنية، فنحن نرى اليوم الكذب على الله من أقوال بعض الأشخاص، ومن الأمثلة على ذلك: رأيت في المنام كذا وكذا، وجاء ملك وقال لي كذا وكذا، وإلى غير ذلك من الافتراط الكاذبة، التي ليس لها صحة، وإنما هي اختلاق خرافات، ومن نسج الخيال، والافتراء على الله تعالى بتأويل آياته تأويلاً غير صحيح، أو الافتراء على النبي ﷺ بأنه قال كذا، وهو لم يقل، أو بتوجيه الآيات والأحاديث توجيهها مغايراً للحقيقة، هذا الذي يفترى على الله الكذب هو الأشد ظلماً.

فلا فوز ولا فلاح للمجرمين الكافرين، والإجرام مصيره الخيبة حتماً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: 17]، فمهما طال الزمان فإن النصرة والتمكين للحق دوماً، فهذا الذي يفترى على الله الكذب ظالماً مجرم، وهذا الذي يكذب بالحق ظالماً مجرم، ظالم بحق نفسه، مجرم بحق الآخرين، فهو يصد الناس عن سبيل الله تعالى.

(1) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص: 174 - 175.

المطلب الخامس

عبادة المشركين للأصنام وادعاء شفاعتها

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْهَيُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ [يومن: 18].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن وضح الله تعالى في الآيات السابقة أن المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أحد أمرين: إما الإتيان بقرآن غير هذا أو تبديله لأن فيه نبذة لآلهتهم وطعنا فيها وتسفيتها لآرائهم في عبادتها، أنكر الله تعالى عليهم هنا عبادة الأصنام وبين لهم حقاره شأنها إذ لا تستطيع نفعاً ولا ضرراً، فكيف يليق بالعقل أن يعبدوا من دون الله تعالى، ويجعل لها الشفاعة عنده وليس لديهم برهان على ما يدعون الله تعالى وعما يشركون. ⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

شُفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ : فيها قولان:

أ. شفعاونا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل، وهذا القول غاية الجهالة من المشركين حيث ينتظرون الشفاعة في المال من لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال.

ب. شفعاونا في إصلاح معايشنا في الدنيا، لأنهم لا يُفْرُونَ بالبعث، قاله الحسن. ⁽²⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ الجملة مستأنفة لحكاية جنائية أخرى من جنایاتهم.

قوله تعالى: ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ظرف متعلق بمحذف حال من فاعل يعبدون، أي متتجاوزين الله تعالى.

جملة: ﴿ لَا يَضْرُهُمْ ﴾ صلة الموصول (ما) لا محل لها من الإعراب.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/226-227، تفسير المراغي 11/81، والتحرير والتوير 11/124، والتفسير القرآني للقرآن 6/975.

(2) ينظر: فتح البيان 6/33، وتفسير القرطبي 8/322، وزاد المسير 2/322، ومدارك التزيل 2/12، ولباب التأويل 2/434.

جملة: **﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾** لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة الصلة.

قوله تعالى: **﴿شَفَعْتُوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** خبر و(نا) مضارف إليه والجملة مقول القول، و**﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾** ظرف متعلق بمحذف حال.⁽¹⁾

جملة: **﴿هَتَّلَاءَ شُفَعْتُوْنَا﴾** في محل نصب مقول القول.

جملة: **﴿قُلْ أَتَنْبَيْهُنَّ اللَّهَ﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي استئناف بياني، وجملة قوله تعالى: **﴿أَتَنْبَيْهُنَّ اللَّهَ﴾** في محل نصب مقول القول.

وجملة: (نسب) **﴿سُبْحَنَهُ﴾** لا محل لها من الإعراب اعتراضية دعائية.

وجملة: **﴿يُشْرِكُوْنَ﴾** لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي (ما).⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

قال تعالى: **﴿وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُوْنَ هَتَّلَاءَ شُفَعْتُوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** اختيار صيغة المضارع في يبعدون ويقولون لاستحضار الحالة العجيبة من استمرارهم على عبادتها، وملازمتهم لها، أي عبدوا الأصنام ويعبدونها تعجباً من تصميمهم على ضلالهم.⁽³⁾

4. القراءات:

قوله تعالى: **﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾** فيها قراءتان:

أولاً: قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر **﴿يُشْرِكُوْنَ﴾** بالباء.

ثانياً: قرأ يحيى بن ثابت والأعمش وأبو حمزة والكسائي وخلف (شركون) بالباء.

التجييه: من قرأها بالياء قرأها على معنى المغایبة، ومن قرأها بالباء على وجه المخاطبة، وأن ذلك أتى عقيب المخاطبة فأجرى الكلام على لفظ ما تقدمه.⁽⁴⁾

(1) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/220-221، والجدول 11/96، إعراب القرآن، للداعس 2/20.

(2) ينظر: الجدول 11/97، وإعراب القرآن للداعس 2/20-21.

(3) ينظر: التحرير والتوير 11/125.

(4) ينظر: حجة القراءات ص: 329، الكشاف 2/336، والكشف والبيان 5/125، وبحر العلوم 2/108، تقسيم البغوي 2/414.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يُنكر الله ﷺ على المشركين الذين عبدوا مع الله ﷺ غيره، وهم الذين وصفتهم للرسول ﷺ، حيث أنهم يعبدون من لا يضرهم شيئاً ولا ينفعهم، في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك يتمثل في الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها، وقد كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله فوجه الله لنبيه محمد ﷺ الخطاب: وقل لهم: أتخبرون الله أن ما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيما؟ وذلك باطلٌ ولا تعلم حقيقته وصحته، بل يعلم الله ﷺ أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر، تنزيهًا لله وعلواً عما يفعله هؤلاء المشركين، وبهذا ثبت بطلان الشرك في الألوهية وهو عبادة غير الله مهما يكن المعبود، وبطلان الشرك في الريوبوبيه بادعاء وساطة المعبود في الخلق والتدبیر، أو الشفاعة عند الله إذ ليس لمعبود بذاته ولا بتأثير خاص له عند خالقه يحمله على نفع من شاء ولا ضر من شاء أو كشف ضر عنه كما يعتقد عباد الأولياء من البشر إلى اليوم، فكل ذلك للرب وحده ولا يعلم إلا بوجيهه، فادعاء ذلك لغيره كذب لا مستد له، وكل معبود في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعًا وفطرة، والله ﷺ أعلى وأجلٌ من أن يوصف له شريك.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

ـ بـيان أنَّ الله ﷺ القادر النافع:

كل ما في السموات والأرض خاضع لله عزٌّ وجلٌّ مقهور بأمره، مسلم له، عبد له كما قال ﷺ في كتابه العزيز: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83]، فكل من في السموات والأرض أسلم الله ﷺ، والمطلوب من الإنسان أن ينسجم مع الكون كله في التسليم لله ﷺ فكيف له أن يعبد مخلوق مثله؟؟ فالله الخالق القادر النافع الضار هو أولى وأحق بأن يُعبد فهو الذي خلق البشر وهو أعلم بما يصلح لهم، وما يسعدهم وما ينجيهم، وما ينفعهم وما يضرهم فأكرمهم به.

لم يقتصر ذلك على زمن الجاهلية فتشاهد جلياً كيف أن بعض الشباب يطلقون على أنفسهم عبدة الشياطين ويفخرون بذلك ولا نراهم قد انتفعوا بشيء بل على العكس تماماً نجد كيف لحق بهم الضرر الجسدي والنفسي وكل هذا بسبب تغييرهم لخلق الله ﷺ الذي خلقهم بأحسن صورة، وهذا لم يزدهم إلا خسارة في الدارين.

(1) ينظر: جامع البيان/15-46-47، وتفسير ابن كثير/4-356-257، وبحر العلوم/2-108، وتفسير المراغي/11-82، وتفسير الكريم الرحمن ص: 360.

وهذه الفئة من الناس لا يمكن أن تمر علينا من غير أخذ العبر والعظة بما حدث فيهم من ابتعادهم عن دين الله ﷺ، فلا دين بعد الدين الإسلامي ولا شرع بعد ما شرعه الله لنا كما قال

﴿إِلَيْهِ أَكَلَتْ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَمْمَتْ عَيْنَكُمْ نَعْمَقِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾ [المائدة: 3].

» طلب الشفاعة من غير صاحب الشفاعة:

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرِيكَ لَهُ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]، عندما يقوم الإنسان بطلب الحاجة من الموتى وسؤالهم الشفاعة، وطلب الإعانة منهم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم غفران الذنوب، وتغريم الكروب كل ذلك يدخل في دعاء غير الله، وكله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ﷺ إلا بالتوبة، فنرى اليوم كيف تتوجه الجموع إلى بعض قبور الأولياء والصالحين في باقى الأرض والطلب والتسلل منهم بأن يكونوا شفعاءهم عند رب العزة، ولنا بسيرة الرسول خير شاهد ودليل ذلك قول عائشة ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يُفْتَنْ مِنْهُ: "لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" (١)، فها هو الرسول ﷺ وهو على فراش الموت نرى مدى حرصه على أمنته، ونهيه عن اتخاذ المقابر مساجد؛ لئلا يتَّخِذُ ذريعة إلى الشرك بالله ﷺ، والفعل إذا كان يُفضِّي إلى مفسدة، وليس فيه مصلحة راجحة يُنْهَى عنه، وقد وقع و فعله خلق كثير في عصرنا الذي نعيش، واعتقدوه من القراءات، وهو من أعظم السيئات، فيجب علينا أن ننقي الله ﷺ في أفعالنا وحركاتنا وأقوالنا، خوفاً بأن نقع في الشرك من حيث لا نحتسب.

(١) صحيح البخاري 2/ 102، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ، حديث رقم: 1390.

المبحث الثالث

المقصود والأهداف لسورة يونس من الآية (19-25)

حال المكذبين مع عدل رب العالمين

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: فطرة الله الناس على الدين الحق.

المطلب الثاني: مطالبة المشركين نزول آية كونية من رب العالمين.

المطلب الثالث: إنكار الفضل، وزوال الأجر.

المطلب الرابع: عادة الكفار المكر واللجاج، وعدم الإنصاف عند الإفراج.

المطلب الخامس: المثل البليغ للحياة الدنيا.

المطلب السادس: دعوة الله إلى دار السلام، والهداية إلى طريق الاستقامة.

المطلب الأول

فطرة الله الناس على الدين الحق

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَجَهَةٌ فَاتَّخَذُوكُمْ كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكُمْ لَقَضَى بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يومن: 19].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن أقام الله تعالى الدلالة القاهرة على فساد القول بعبادة الأصنام، بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد، والمقالة الباطلة، ذكر هنا بيان ما كان عليه الناس من الوحدة في الدين، وما صاروا إليه من الاختلاف والفرقة فيه.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَجَهَةٌ فَاتَّخَذُوكُمْ كَلِمَةً : فيها عدة أقوال، كالتالي:

أ. قال مجاهد: "عهد آدم، فاختلفوا حين قتل أحد أبني آدم أخاه، فتفرقوا مؤمناً وكافراً".

ب. قال الضحاك: "المراد أصحاب سفينة نوح، اتفقوا على الحنيفية ودين الإسلام".

ج. قال الكلبي: "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً كَافِرَةً عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ فَتَرَقَّدُوا مُؤْمِنًا وَكَافِرًا".

د. قال الزجاج: "وَمَا كَانَ النَّاسُ يَعْنِي: العرب كانوا على الشرك قبل مجيء محمد ﷺ، فتفرقوا واختلفوا بعده، فآمن بعضهم وكفر بعضهم".

ه. قال الزجاج أيضاً: "لَدُوا عَلَى الْفَطْرَةِ وَاتَّخَلُوا بَعْدَ الْفَطْرَةِ".⁽²⁾

الراجح: ما تميل إليه الباحثة هو القول الخامس أنَّ الله تعالى خلق الناس على فطرة الإسلام، واختلفوا بعد ذلك إلى مؤمن وكافر، ودليل ذلك قول الكريم المنان في كتابه العزيز: ﴿ فَأَقْمِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا فَطَرَ اللَّهُ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: 30].

وكذلك قول خير الأنام، عن أبي هريرة رضي الله عنه: "مَا مِنْ مُؤْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدُهُ أَوْ يُنَصَّرِّهُ، أَوْ يُمَجْسِّنِهُ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هُلْ تُحِسِّنُونَ فِيهَا مِنْ جَدَعَاءِ".⁽³⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/228، ونفسير المراغي 11/83، والتفسير المنير 11/135.

(2) الكشاف 2/336، والبحر المحيط 6/28، والجواهر الحسان 3/241، وبحر العلوم 2/109، وتأويلات أهل السنة 6/25، والنكت والعيون 2/428.

(3) صحيح البخاري 2/94، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، حيث رقم: 1358.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ : فيه ثلاثة أقوال:

أ. ولو لا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم لقضى بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدين.

ب. أن لكل أمة أجلاً، وللنبي مدة لا يتقدم ذلك على وقته.

ج. أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه، ولا يعجل العصاة بالعقوبة إنعاماً عليهم.⁽¹⁾

2. الإعراب:

جملة: **وَمَا كَانَ النَّاسُ** لا محل لها من الإعراب استثنافية، وهي مسوقة لبيان أن الفطرة والتشريع تتطلب وحدة البشر ولكنهم إعراضاً منهم وميلهم لأهواء النفس ومتطلباتها اختلفوا، أو معطوفة على جملة (يعدون).

قوله تعالى: **فَأَخْتَلَفُوا** الجملة لا محل لها من الإعراب، وهي معطوفة على الاستثنافية.

جملة: **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ** لا محل لها من الإعراب، وهي معطوفة على الاستثنافية، وجملة: (سبقت) في محل لها من الإعراب، رفع صفة لكلمة.

جملة: **لَقُضِيَّ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**، (قضى بينهم): لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة: (يختلفون) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.⁽²⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

لم تكن الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة، وهي فطرة الإسلام والتوحيد التي فطر عليها كل أحد، فاختلفوا في دينهم، باتباع الهوى وعبادة الأصنام، فافترقت بهم السبل في ذلك، وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة الضالون، ولو لا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما إلا بعد انقضاء آجالهم، لقضي بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم، وبنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، وينجي أهل الحق.⁽³⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/229-230، زاد المسير 2/322، والتفصير المنير 11/135، وتأويلات أهل السنة 6/25، والنكت والعيون 2/429.

(2) ينظر: الجدول 11/98، وإعراب القرآن للدعاس 2/21، وإعراب القرآن للنحاس 2/143، وإعراب القرآن وبيانه 4/4.

(3) ينظر: جامع البيان 15/47، وتفصير البغوي 2/414-415، وأنوار التنزيل 3/108، ومحاسن التأويل 6/15، والموسوعة القرآنية 10/54، وتبسيط الله ذاته العلية ص: 30.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

﴿جِلَ الخَلْقَ عَلَى فَطْرَةِ اللَّهِ﴾:

الأصل في الإنسان أنه خلق على دين الفطرة والتوحيد، وهذا دليل على عدل الخالق ورحمته بِعَذَابِهِ بعباده، فإنه خلق كل إنسان موحداً، وحكم بيقائه على التوحيد إلى البلوغ، ثم تركه للعقل والتفكير في الوحي الإلهي، فكل مخلوق أخذ عليه هذا الميثاق، وقد نجد في وقتنا الحاضر من يقول: نحن الآن لا نذكره، فنجيب عليه يكفي أن يخبرنا الوحي بوقوعه، فنؤمن به كسائر أخبار الغيب التي أخبرنا الله بِعَذَابِهِ عنها، فنصدقها وإن نسيناه، ثم إنك تشعر في نفسك بهذا الميثاق وهذه الفطرة، فأنت تشعر أن قضية وجود الله بِعَذَابِهِ لا تحتاج إلى دليل بالنسبة للمؤمن السليم الفطرة، ولا يوجد عنده جدلاً في هذه القضية، ولكن ينتج ذلك عند تلوث الفكر بالشبهات والوسوس الشيطانية، وحب النفس والمال، وমمن استمع لأهل الإلحاد والانحراف وأشباههم.

إن أقوى دليل عند الإنسان على وجود الله بِعَذَابِهِ هو الفطرة، وهذه مسألة غير قابلة للنقاش عنده؛ لأنها مغروسة في الأعمق، فهذا أقوى برهان على أن الله بِعَذَابِهِ خلقنا عليها، فنحن في كل حين نحس بالانجذاب إلى التوحيد، والإقرار بألوهيته تبارك وتعالى، وهذه الفطرة هي فطرة الإسلام، والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول بالعقائد الصحيحة السليمة من الشوائب والتشوهات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ ذَرِّيْتُمْ وَأَشَهَدَمُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُنْتُ بِرَبِّكُمْ قَاتُلُوا بِلَّيْ شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172].

﴿الإِيمَانُ بِاللَّهِ يُوحِدُ الْأُمَّةَ﴾:

يجهل كثير من الناس في يومنا الذي نعيش مدى ضرورة الإيمان بالله بِعَذَابِهِ، وفيما أنزل على نبيه محمد بِعَذَابِهِ، حيث بينت هذه الآية لأولي الألباب والأفتداء أن تتحقق الجماعة المسلمة لا يمكن أن يكون أو ينهض إلا على التوحيد لله رب العالمين، وفيه تحذير من الإخلال بهذا التوحيد أو الإتيان بما يؤثر فيه أو ينقصه أو يذهبه من شركيات وبدع لأن ذلك سيؤدي إلى الفرقة المذمومة المحذر منها، ويعمل على اختلاف المذاهب وكثرة الفرق في الأسرة المسلمة، ولما كانت الجماعة لا تتحقق إلا بالاجتماع على التوحيد الخالص لله بِعَذَابِهِ كانت هذه وصية الله لأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَهُ فَبَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213]، الشرك هو أساس الخلاف والفرق في وحدة الأمة.

الإشارات القرآنية المتعلقة بالتطور، وما نتج عنه من تنوع واختلاف تحمل توجيهها مؤكداً ليقوم الإنسان للاقتداء بالمجتمعات الإنسانية والوقوف على تفاصيل تطورها وأثاره الإيجابية والسلبية،

ويجب علينا العمل على عودة المسيرة الإنسانية إلى سابق وحدها، ويكون ذلك بذل الجهد - بما فيه جهد المال والنفس - قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ أُمِّكُمْ أَمَّةٌ وَيَجِدُهُمْ وَآنَا بِرَبِّكُمْ فَأَنَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينُ الْحَقِّ يُظَهِّرُهُ عَلَى الْأَدِينَ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبه: 33]، والأمة المسلمة لا تفرزها المصادر الدموية، أو العرقية وإنما هي تجميع وتركيب وإخراج مستمر لـ"أمة" لا يقتصر تكوينها على جنس من الأجناس، أو عرق من الأعراق وإنما هي أمة مفتوحة لجميع العناصر الصالحة من الإنسانية كلها، والتي ترغب المشاركة في وظيفة الأمة المسلمة، وتسهم في تكاليفها ومتطلبات البذل في سبيلها.⁽¹⁾

﴿القضاء الحق بين الخلق﴾:

سبق القضاء والقدر وتم حكم الله ﷺ بأنه لا يقضي بين العباد فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيمة، ولو لا ذلك الحكم السابق والتأجيل المتقدم، لقضى الله ﷺ بين الناس في الدنيا وجازاهم على ماقدموه، فأدخل المؤمنين الجنة بحسن عملهم واتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، والكافرين النار بکفرهم وجهودهم، وموعدهم يوم القيمة الذي جعله الله ﷺ لحكمة بالغة، وهي إعطاء الفرصة الكافية للإنسان في تصحيح عقيدته، وتعديل وضعه، والتوبة من عصيانه وكفره وضلاله، حتى لا يؤخذ على حين غرة⁽²⁾، فواجب على عباد الله، أن يتقووا الله ﷺ، ويعلموا أنهم ملقوه، ولا يغفلوا عن الحساب والمجازاة على الأعمال وقضاء الله ﷺ بين عباده.

(1) ينظر: أهداف التربية الإسلامية ص: 507-509.

(2) ينظر: التفسير المنير / 11 / 137.

المطلب الثاني

مطالبة المشركين نزول آية كونية من رب العالمين

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ أَيْكَهُ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ ﴾ [يومن: 20].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن حكى الله ﷺ عن المشركين إنكارهم للوحى إلى بشر مثهم ورد عليهم مقالتهم بالحجج التي ثبتت بطلان شركهم وإنكارهم للبعث، ثم حكى عنهم مطالبة الرسول ﷺ بالإثبات بقرآن غير هذا الذي يدل في نظمه وأسلوبه وعلومه وهدايته على أنه وحي من كلام الله ﷺ، ذكر في هذه الآية النوع الرابع من شبّهات القوم والاحتاج على إنكار نبوته بعدم إنزال آية كونية غير القرآن مع ما فيه من الآيات العلمية والعلقانية الدالة على النبوة والرسالة ثم رد على ذلك.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

فَانْتَظِرُوْا : فيها قولان:

أ. انتظروا نزول الآية التي طلبتموها واقتربتموها.

ب. قضاء الله ﷺ بيننا بإظهار الحق على المبطل.⁽²⁾

2. الإعراب:

جملة: ﴿ وَيَقُولُونَ لَا مَحْلٌ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جَمْلَةٍ يَعْبُدُونَ.﴾

وجملة: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ أَيْكَهُ فِي مَحْلٍ نَصْبٍ مَقْوِلَ الْقَوْلِ.﴾

وجملة: ﴿ فَقُلْ لَا مَحْلٌ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ غَيْرَ جَازِمٍ مَقْدَرٌ أَيْ إِنْ يَقُولُوا هَذَا الْقَوْلُ فَقُلْ.﴾

جملة: ﴿ الْغَيْبُ لِلَّهِ فِي مَحْلٍ نَصْبٍ مَقْوِلَ الْقَوْلِ.﴾

قوله تعالى: ﴿ فَانْتَظِرُوْا ﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب، في محل جزم جواب شرط مقدر أي إن لم تؤمنوا فانتظروا.

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/230، وتقسيير المراغي 11/84، وفتح القدير 2/493.

(2) ينظر: تقسيير القرطبي 8/323، وفتح القدير 2/493، وفتح البيان 6/35، وزاد المسير 2/322.

الجار وال مجرور: **﴿مِنَ الْمُنَظَّرِينَ﴾** متعلق بمحذف خبر إن، وعلامة الجر الياء.

وجملة: **﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنَظَّرِينَ﴾** لا محل لها من الإعراب في حكم التعليل.⁽¹⁾

3. الجانب البلاغي:

أ. قوله تعالى: **﴿فَانْتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنَظَّرِينَ﴾** **﴿مَعَكُم﴾** المعية مجازية مستعملة في الإشراك في مطلق الانتظار.⁽²⁾

ب. التعبير بالمضارع في قوله تعالى: **﴿وَيَقُولُونَ﴾** يفيد تكرار ذلك القول، ولاستحضار صورة ما قالوه، وهو الموقف السلبي لمن يريد جعل الوقت في صالحه فالمحاورة مستمرة وطلب الدليل بعد الدليل يحسبون أنهم بذلك قد فازوا بالوقت.⁽³⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يقول المشركون من أهل مكة هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون علماً ودليل نعلم به أن محمداً محق فيما يقول؟ وذلك لفطر عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغيّ، فوجه الله ﷺ الخطاب للرسول ﷺ فقل لهم يا محمد لا يعلم أحد يفعل ذلك إلا هو الله ﷺ ، والسر والخفى من الأمور لا يعلمها إلا الله ﷺ، فانتظروا أيها القوم، قضاء الله بيننا، بتعجيز عقوبته للمبطل منا، وإظهاره المحق عليه، إني معكم من ينتظر ذلك. فحقق الله ﷺ وعده لرسوله محمد ﷺ، وقضى بينه وبين المشركين بأن قتلهم يوم بدر بالسيف، فبذلك أنجز الله ﷺ وعده، ونصر عبده.⁽⁴⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿اللهُ يَعْلَمُ وَحْدَهُ عَالَمُ الْغَيْبِ﴾

كما تبين لنا بأن في الآية القرآنية أمر من الله ﷺ لنبيه ﷺ أن يعلن حقيقة أنه لا يعلم الغيب، وأنّ الغيب كله لله وحده، فلا أحد يعلم الغيب إلا هو، ومما استأثر الله ﷺ به، قال تعالى: **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [النمل: 65]، قال تعالى: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا**

(1) ينظر: الجدول 11/99، والمجتبى 2/429، وإعراب القرآن للدعاس 2/21.

(2) التحرير والتواتر 11/132.

(3) ينظر: فتح البيان 6/35، وزهرة التفاسير 7/3540-3541.

(4) ينظر: جامع البيان 15/48، وال Kashaf 2/337، والكشف والبيان 5/126، وتفصي البغوي 2/415، وأنوار التنزيل 3/109، و مدارك التنزيل 2/13.

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْأَبْحَرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ^ك [الأنعام: 59]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على أن الله ^{عَزَّوَجَلَّ} استأثر بعلم الغيب، لكن يُطلع الله ^{عَزَّوَجَلَّ} بعض عباده كالرسل والملائكة على بعض المغيبات، فيعلمون منها بقدر ما أعلمهم الله ^{عَزَّوَجَلَّ} فقط، قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْرِهِ أَحَدًا﴾ ^ل إِلَّا مَنْ أَرْتَضَنِي مِنْ رَسُولِي فَإِنَّهُ يَسْأَلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَرَصَدًا ^ك [الجن: 26-27]، وما أنت به الرسول فهي من إخبار الله ^{عَزَّوَجَلَّ} لهم، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ لَا أَنَا أَنْكِرُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَفِيرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ لِّقَوْمٍ يَوْمَنَ﴾ ^ك [الأعراف: 188]، فإن علم الله ^{عَزَّوَجَلَّ} صفة ذاتية له، قائمة به، لا تتفاوت عنه، وعلمه ^{عَزَّوَجَلَّ} كامل ولا يلحقه نقص بوجه من الوجه، فهو يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ولا ريب في هذه الأخبار الصادقة عن الرسل جميعاً، ولا شك فيها ولا نحرفها ولا نؤولها.

◀ الرد على المدعين علمهم بغير رب العالمين:

برزت ظاهرة سيئة في هذا الوقت وهي الإخبار عن الحوادث المستقبلية، وذلك استناداً إما للظنون الكاذبة والتخمين الوهمية، الغير مستندة إلى دليل قاطع، وبرهان ساطع، ومن هؤلاء الذين يدعون علم الغيب الكهان والعرافون والسحرة، وما يتلقون علمه يكون من شياطين الجن، وهم يصدقون ويُكذبون، ونحن نعلم أن الجن لهم قدرة على الاطلاع على كثير من أحوال الناس الظاهرة والخفية، لأنهم يرون بني آدم من حيث لا يراهم، مصداقاً لذلك ما ذكر في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرَكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَوُهُمْ﴾ ^ك [الأعراف: 27]، ولهم قدرة على سرعة الانتقال، كما في قصة العفريت مع سيدنا سليمان ^{العليّ}، وبين شياطين الجن والإنس تعاون، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلَنَا إِلَكُلَّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوَسِّي بَعْضُهُمْ لِإِنْ يَعْضِنُ بُخْرُقَ الْقَوْلِ عَزِيزًا﴾ ^ك [الأنعام: 112]، وإن ما يخبر به الكاهن من أخبار سماوية ومستقبلية فالغالب عليه فيها الكذب، وما يصدق منها يكون مما يتلقاه عن مسترق السمع، فيكذب معه مئة كذبة، كما جاء عن أبي هريرة ^{رض}، يقول: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ^{عَزَّوَجَلَّ} قال: إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِفَوْلِهِ، كَانَهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانِ، فَإِذَا فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكُذا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفِيَّانَ بِكَفَهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيَهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيَهَا الْآخِرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرَبِّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابَ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرَبِّمَا أَفْلَأَهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيُكَذِّبُ مَعَهَا مِائَةً

كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ⁽¹⁾، وأما ادعاء البعض بأنه يقرأ الأفكار ليعلم ما في نفوس الناس، فهو من التكلف ومن قفو ما ليس له به علم، وادعاء لمعرفة الغيب.

أمّا الفراسة الإيمانية فهي من نور الإيمان، وهي من نوع الإلهام الإلهي، يرزقه الله تعالى عباده وأولياء الصالحين، ولا يكون الإنسان بها عالماً بكل أحوال الناس، إنما يكشف الله لصاحب هذه الفراسة بعض أحوال الناس، ومن يراهم، أو بعض الأمور المتوقعة، وهي من الخوارق الكشفية التي تعين على نصرة الحق، ودحض الباطل، وذلك مخالف تماماً لفراسة الشيطانية فهي ما تلقيه الشياطين في قلوب أوليائها، مما فيه إعانة لهم على الباطل، وإضلال للناس بهم.

(1) صحيح البخاري / 6 / 122، كتاب: تفسير القرآن، باب: «حَتَّىٰ إِذَا فَرَّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رُّكُنُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» حديث رقم: 4800.

المطلب الثالث

إنكار الفضل، وزوال الأجر

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءٍ مَّسْتَهِمْ إِذَا لَهُمْ مَّكْرُرٌ فِي أَيَّالِنَا قُلِّ اللَّهُ أَسْعَ مَكْرُرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يومن: 21].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما بين الله تعالى في الآية السابقة أن القوم لما طلبوا من رسول الله ﷺ آية أخرى سوى القرآن، وذلك زيادة عناد ومكر ولجاج، وأجاب عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَأَنْتَظِرُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ مِّنْ أَنْتَظِرِينَ﴾ [يومن: 20]، ذكر جواباً آخر وهو أن أولئك المشركين لا يقنعون بالآيات إذا رأوها بأعينهم، بل يكابرون حسّهم ولا يؤمنون.⁽¹⁾

ثانياً: سبب النزول:

سبب نزول الآية الكريمة: أن النبي ﷺ لما دعا على أهل مكة بالجذب فقحطوا سبع سنين أتاه أبو سفيان فقال: "ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدّقناك"، فدعا لهم، فسُقُوا ولم يؤمنوا.

هذه الآية وإن كانت قد نزلت في كفار مكة، فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى عند زوال المكره عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير.⁽²⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

رَحْمَةً: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءٍ مَّسْتَهِمْ﴾، فيه أربعة أوجه:

أ. رخاء بعد شدة.

ب. عافية بعد سقم.

ج. خصباً ومطراً بعد جدب وقحط.

د. إسلاماً بعد كفر وهو المنافق، قاله الحسن.⁽³⁾

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/230، وغرائب القرآن 3/571، وتفسير المراغي 11/87، والتفسير المنير 11/142-143.

(2) ينظر: زاد المسير 2/322-323، ومدارك التنزيل 2/13، والبحر المحيط 6/30.

(3) النكت والعيون 2/429، وبحر العلوم 2/109، والمحرر الوجيز 3/112.

الراجح: ما نراه الباحثة بأن جميع المعاني السابقة تحتملها الآية وتدل على رحمة الله تعالى، ومدى لطفه وحسن تدبيره لعباده.

إذا هم مَكْرُرٌ فِي آيَاتِنَا: فيها عدة معاني، وهي كالتالي:

أ. تكذيباً بالقرآن.

ب. تكذيباً بنعمة الله تعالى واستهزاء، ويقولون: سقينا بنوء كذا ولا يقولون: هذا من رزق الله تعالى.

ج. قال القببي⁽¹⁾: إذا هم مَكْرُرٌ فِي آيَاتِنَا يعني: قولهم بالطعن والحيلة ل يجعلوا ل تلك الرحمة سبباً.⁽²⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿أَذْقَنَا﴾ في محل جرّ مضاف إليه.

جملة: ﴿مَسْتَهِمْ﴾ في محل جرّ صفة لضراء.

جملة: ﴿لَهُمْ مَكْرُرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وهي جواب شرط غير جازم.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْأَعُ مَكْرُرًا﴾، (قل) لا محل لها من الإعراب، والجملة استئنافية، وجملة: ﴿الَّهُ أَسْأَعُ﴾ في محل نصب مقول القول.

وجملة: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ﴾ لا محل لها من الإعراب، تعليلية، لسرعة مكر الله تعالى وتعجيله العقوبة.

جملة: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ في محل رفع خبر إنّ.

جملة: ﴿مَا تَنْكِرُونَ﴾ لا محل لها من الإعراب، صلة الموصول (ما)، والعائد محنوف.⁽³⁾

(1) القببي: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب اللغوي الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة جداً، وترتيد مصنفاته عن ستين مصنفاً في أنواع العلوم، من كتبه: غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، ومختلف الحديث، وأدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار. [ينظر: تهذيب الأسماء واللغات 2 / 280].

(2) ينظر: بحر العلوم 2 / 110، والكشف والبيان 5 / 126، وتقسيم البغوي 2 / 415.

(3) ينظر: الجدول 11-100 / 110، وإعراب القرآن للداعس 2 / 21، والمجتبى 2 / 429، وإعراب القرآن وبيانه 4 /

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: **﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾** الذوق يأتي بمعنى إدراك الطعام بالفم، واستعمل في هذه الآية الكريمة مجازاً في إدراك غيره.⁽¹⁾

ب. قوله تعالى: **﴿قُلْ أَللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾** المكر: إخفاء الكيد، وهو من الله **﴿إِنَّمَا الْأَسْرَارَ مَكْرًا﴾** إما الاستدراج أو الجزاء على المكر، وتسمية عقوبة الله **﴿مَكْرًا﴾** من باب (المشكلة).⁽²⁾

4. القراءات:

قوله تعالى: **﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْنُبُونَ مَا تَمَكُّرُونَ﴾** اختلف القراء في (يَكْنُبُونَ وَتَمَكُّرُونَ) على النحو الآتي:

أ. قرأ العامة بالناء (تَمَكُّرُونَ).

التوجيه: من قرأ بذلك قرأها على المخاطبة، ومبالغة لهم في الإعلام بحال مكرهم، والتفاتاً لقوله: (قل الله) أي: قل لهم، فناسب الخطاب.

ب. قراءة الحسن ومجاحد وقتادة ويعقوب: بالياء (يَمْكُرُونَ).

التوجيه: من قرأها على هذا النحو قرأها على الغيبة، جرياً على ما سبق.⁽³⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يخبر الله **﴿وَكَلَّ﴾** في الآية الكريمة بأنه إذا رزق المشركين فرجاً بعد كرب، ورخاء بعد شدة أصابتهم، وراحة بعد بلاء عمّ بهم، يستهزؤون ويذمرون بآياته، فيخبر الله **﴿وَكَلَّ﴾** سيدنا محمد **ﷺ** بأن يقول لهؤلاء المشركين المستهزئين من حجنا وأدلتنا، بأن الله **﴿وَكَلَّ﴾** أسرع مِحَالاً بهم، وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء، واستدراجاً لهم وعقوبةً منهم، وإمهالاً حتى يظنونه خافياً لا يخفى على بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، وإن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم، أيها الناس، يكتبون عليكم ما تمكرون من التكذيب في آياتنا، وهذا إعلام بأن ما تظلونه خافياً لا يخفى على الله **﴿وَكَلَّ﴾** وهو منقم منكم.⁽⁴⁾

(1) ينظر: التفسير الواضح / 2 / 51.

(2) ينظر: فتح البيان / 37، التفسير المنير / 11-141-142، تفسير الشعراوي / 10 / 5839، وصفوة التفاسير .584 / 1

(3) ينظر: الهدى / 295، وغيث النفع ص: 285، وال Kashaf / 2 / 337، والمحرر الوجيز / 3 / 112، والبحر المحيط / 6 / 31، والموسوعة القرآنية / 5 / 303.

(4) ينظر: جامع البيان / 15 / 49-50، وتفسير ابن كثير / 4 / 258، ومدارك التنزيل / 2 / 14، ومحاسن التأويل / 6 / 16.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿ معرفة الناس ربهم عند مسهم الضر: ﴾

الإنسان بطبيعته البشرية التي خلق عليها ضعيف وفقير إلى الله ﷺ، و حاجته الماسة إليه ﷺ، في حفظ حياته وبقائه، والإنسان بغرائزه وطبعاته التي لا تتغير تبعاً للزمان والمكان، عندما يلم به ألم أو كرب وشدة يلجم إلى الله ﷺ، ويدعوه أن يفكه عنه وأن يحقق له مبتغاه، وأنه فرصة للتقرب إلى الله ﷺ، وأن التقرب منه سبحانه سبب كل فرج ونعمة، ولكن سرعان ما إذا انقضت الحاجات وزالت غمته تعود المياه إلى مجاريها، ويبداً بالابتعاد عن الله ﷺ، والعودة إلى طغيانه وحاله التي كان عليها، والمتأمل في سنة الله ﷺ يجد أنَّ كثيراً من ابتلاهم وكشف عنهم الابتلاء يعودوا إلى الشر فربما كان الابتلاء بعد ذلك قاصماً والفتنة بعده مهلكة، فينبغي ألا يطمع الإنسان في عفو الله طمعاً يجرئه على معصيته، يقول الله ﷺ: ﴿ وَمَا يُكْمِنُ فِيْنَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الظُّرُّفُ إِلَيْهِ تَبَشَّرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل: 53-54]، نرى اليوم كثير من شباب الأمة الإسلامية ما إن حلَّ به مصيبة أو مرض يلجم إلى الله وإن عافاه ورفع الله عنه فيعود إلى ما كان عليه من ضلال، وكذلك الناس في حالة الحروب نراهم كيف يكون حالهم من صلاة وصيام وقيام وتضرع إلى الله ﷺ، وبعدما يكشف الله عنهم، ويبعد عنهم عدوهم يعودوا لحياتهم التي كانوا عليها من ضلال، متناسين ما كانوا عليه وكيف فرج الله عنهم ورفع كربهم.

﴿ الله ﷺ خير الماكرين: ﴾

المكر السيئ صفة أعداء الله ﷺ في كل مكان وزمان، وطريقتهم الثابتة في التعامل مع الإسلام وأهله؛ وقد بين ﷺ الله لنا في كتابه العظيم المبين، أن أعداءه قد قابلوا رسله بالمكر، واتخذوا المكر وسيلة لمحاربة الحق الذي نزل به كتب الله ﷺ، وأرسلت به رسلاً، وأعداء الدين الإسلامي يمكرون به سراً وجهاً، ليلاً ونهاراً، ومكرهم بال المسلمين قد يكون في صورة تخفي عليهم، أو بإظهار فعل الإضرار بصورة النفع، أو إظهار الطيب وإبطان الخبث، وقد مكر الكافرون بخير البرية ومعلم البشرية رسولنا محمد ﷺ، في جميع أشكاله وكل صوره، فكان في مكة يتعرض لمكر الكفار في كل حين، وكذلك في المدينة، وصور الله ﷺ لنا بشاعة المكر برسولنا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا يَمْكِرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْسِوَكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكِرُونَ وَيَمْكِرُ اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِيرِينَ ﴾ [الأفال: 30]، ولكن الله ﷺ ربط على قلبه، وتكلف بحفظه، وواده

بنصره، وعدم إيصال الأذى والمكر إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 54].

اليوم نشاهد في زماننا الذي نعيشه مكر اليهود ونقضيهم للهدين والمعهود فهم معروفون بنقض الوعود، فبعدما يقومون بتوثيق الهدن مع أبناء شعبنا الشرفاء نجدهم يغدرون كلما ستحت لهم الفرصة في ذلك، فهم يجتهدون في إيقاع الضر بكل ما يستطيعون؛ ولا يستطيعون - في الغالب - إيصال الضرر للMuslimين إلا بالمكر، كذلك ما يقومون به من تفريق المسلمين ونشر الخلافات بينهم وإضعاف قوة الصف، وتفرق الكلمة، وإيجاد الفجوة بين الحكام والشعوب، أو إفساد الحكام ثم استغلال ذلك كله لضرب المسلمين بعضهم ببعض، وإهلاك أنفسهم بأيديهم، والعدو هو وحده المستفيد الأول والأخير.

من صور مكرهم نشر الفتنة والبدع من خلال إنشاء البدع والمذاهب المنحرفة، والأفكار الهدامة، قال الله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْرُونَ السَّيِّعَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤُلَيْكُمْ هُوَ يُبُرُّ ﴾ [فاطر: 10]. يجب أن نحذر من أعداء الله عَزَّلَ لأنهم يمكرون مكرًا عظيماً لا يمكن أن تخيله ولا ندرك منه إلا القليل، قال الله عَزَّلَ في وصف مكر أعداء الدين لأهل الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعَنَدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: 46]. فنسأل الله عَزَّلَ أن يجتث مكرهم من أصله، ويقتلعه من أساسه وبيطنه، ويسقط بنيان خططهم الخبيثة.

﴿الإِنْسَانُ مَحَاسِبٌ عَلَى أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ﴾

يا نفس احذري فعليك رقيب وعتيد يدونان كل ما تقولين وتعلين، قال تعالى: ﴿ مَا يَفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 18]، فنحن نتعجب كثيراً عندما نسمع عن أشخاص فقدوا احترامهم لأنفسهم من خلال الشبكة العنكبوتية - الانترنت - ونتعجب أكثر عندما نجدهم بين البشر مرموقين ومحترمين، وهذا يكون التساؤل، لماذا نسوا الرقيب الذي لا يغفل ولا ينام؟ وكيف يغفلون عقاب الله عَزَّلَ لهم؟؟

يجب علينا أن نري أنفسنا على مراقبة الله لنا في جميع أعمالنا وأقوالنا ظاهرة وباطنة، وعلى تعظيمه وتقديره والخوف منه على الدوام، وعندما نتيقن أن الله عَزَّلَ يرانا دائماً، ويسمعنا ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور سنتجنب بذلك السقوط في وحل الرذيلة والمعصية، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَيْنَكُمْ لَحَافِظَتِينَ ﴿١٠﴾ كِرَاماً كَبِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: 10-12]

المطلب الرابع

عادة الكفار المكر واللجاج، وعدم الإنصاف عند الإنفراج

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُسَرِّئُكُمْ فِي الْأَلْبَرِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ إِلَيْهِمْ بِرِيحٍ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلَّوْا أَنْتُمْ أُحِيطُ بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ يُنْبَيِّنَا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَافِ لَنَكُونُنَا مِنَ الْشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَهُمُ إِذَا هُمْ يَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْحَقَّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَنْتَعِنَ الْحَبْوَةُ الَّذِي نَأَى بِنَا مِنْ رِحْمَكُمْ فَنَتَّيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يومن: 22-23].

أولاً: مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة طبيعة النفس البشرية في قوله تعالى: ﴿وَلَذَا أَذَّقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرُرٌ فِي أَيَّاَتِنَا﴾ [يومن: 21]، كان هذا الذكر والكلام أمراً كلياً، وقاعدة عامة لا ينكشف معناه تمام الانكشاف إلا بذكر مثال كامل، فذكر الله تعالى لنقل الإنسان من الضر الشديد إلى الرحمة مثلاً، ولمكر الإنسان مثلاً، حتى تكون هذه الآية كالمفسرة والشارحة للآية التي قبلها، وذلك لأن المعنى الكلي لا يصل إلى أفهم السامعين إلا بذكر مثال جلي واضح يكشف المراد انكشافاً تماماً عن حقيقة ذلك المعنى الكلي، والنزلة التي لا يكشفها إلا الله تعالى.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي

1. معاني الكلمات:

أُحِيطَ بِهِمْ: فيها قولان:

أ. دُنوا من الهلاك، والباء، وأصله من إحاطة العدو بقوم أو بلد.⁽²⁾

ب. أحاطت بهم الملائكة.⁽³⁾

الراجح: ما تراه الباحثة من خلال المعنى العام للآيات أن القول الأول هو الانسب والصواب، لأنهم كانوا في موضع اختبار وامتحان من الله تعالى.

2. الإعراب:

جملة: ﴿كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ﴾ في محل جرّ مضاد إليه.

قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا﴾، (الهاء) تعود على الفلك، ويجوز أن تعود على (الريح الطيبة ريح عاصف).

(1) ينظر: مفاتيح الغيب 17/232، وفتح القدير 2/494، والبحر المحيط 6/31-32، وتبسيير الكريم الرحمن ص: 361.

(2) ينظر: فتح القدير 2/494، وزاد المسير 2/324، والموسوعة القرآنية 10/55، وأيسر التفاسير 2/460.

(3) زاد المسير 2/324، ومعاني القرآن وإعرابه 3/14.

وفرحوا بها عطف على و(جرين)، ويجوز أن تكون جملة حالية من الضمير (بهم)، و(قد) مضمرة.

جملة: **﴿أَجِئْتَ يِهْمَهُ﴾** في محل رفع خبر أن.

قوله تعالى: **﴿دَعَوْا اللَّهَ مُغْرِبِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾** جملة **﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾** بدل من ظنوا بدل اشتتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم ذلك لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهاك فهو ملتبس به، أو استثنافية مبنية على سؤال يخطر للذهن وهو فماذا صنعوا فقيل دعوا الله.

جملة: **﴿لَيْنَ أَنْجَيْتَنَا﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي تفسير لمعنى الفعل دعوا.

جملة: **﴿لَنْكُونَنَّ مِنَ الشَّكِّرِينَ﴾** لا محل لها من الإعراب، جواب القسم، وجواب الشرط ممحوف دل عليه جواب القسم.

جملة: **﴿يَبْغُونَ﴾** في محل رفع خبر المبتدأ هم.

قوله تعالى: **﴿يَكَاهِنَا النَّاس﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي استثنافية.

وجملة: **﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾** لا محل لها من الإعراب، معطوفة على الاستثنافية الأخيرة.

جملة: **﴿تَعْمَلُونَ﴾** في محل نصب خبر كنتم.⁽¹⁾

قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا بَغَيْتُمْ﴾** رفع بالابتداء وخبره **﴿مَنَعَ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا﴾**، ويجوز أن يكون خبره **﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾** وتضمر مبتدأ أي ذلك متع الحياة الدنيا، أو هو متع الحياة الدنيا، وبين المعنيين فرق لطيف إذا رفعت متعاً على أنه خبر بغيكم فالمعنى إنما بغي بعضكم على بعض، وإذا كان الخبر على أنفسكم فالمعنى إنما فسادكم راجع عليكم.⁽²⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُسِرِّئِلُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْأَقْلَمِ وَجَرَيْنَ إِلَيْهِمْ بِرِيحٍ﴾** ابتداء الكلام بالخطاب ومن ثم الالتفات إلى الغيبة ثم العودة إلى الغيبة، للإذان بما لهم من سوء الحال، الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوى أحوالهم.⁽³⁾

(1) ينظر: الجدول 11/103-105، وإعراب القرآن، للدعاس 2/22-23، وإعراب القرآن وبيانه 4/224-226.

(2) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس 2/144، والتبيان 2/670.

(3) ينظر: المثل السائر 2/143، تفسير القرطبي 8/324، وإعراب القرآن وبيانه 4/226، والجدول 11/104، وزهرة التفاسير 7/3544، ومعاني القرآن وإعرابه 3/13.

ب. قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُثِرَ فِي الْفَلَكِ وَجَرِيَنَ إِلَيْهِمْ بِرِيحٍ كُلُّهُ كَمَا جَاءَتْ كُنَيْةَ لِإِشَارَةِ إِلَى خُوفِهِمْ رَكُوبُ الْفَلَكِ، أَيْ حَتَّىٰ إِذَا أَقْدَمْتُمْ مَعَ خُوفِكُمْ وَرَكْبَتُمُ الْفَلَكَ، وَالْفَلَكُ تَكُونُ جَمِيعًا أَوْ مُفَرِّدًا وَهِيَ هَذَا جَمْعُ بَدْلِيلٍ (جَرِيَنَ) فَإِنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى جَمْعٍ مَا لَا يَعْقُلُ مُثْلُ بَهْنِ فَلُولٍ مِّنْ قِرَاعِ الْكَتَابِ.﴾⁽¹⁾

ج. "المشكلة": أفرد لفظ الريح للمشكلة لوجهين لأنه في مقابلة قوله ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ كَاصِفٌ كُلُّهُ، وَلَاَنَّ الرَّحْمَةَ تَقْنَصِي هَذِهِ الْرِّيحَ فَإِنَّ السُّفِينَةَ إِنَّمَا تَسِيرُ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ وَلَوْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهَا الرِّيَاحُ هَلَكَتْ وَلَذَا أَكَدَ بِوَصْفِ الطَّيِّبَةِ.﴾⁽²⁾

د. الاستعارة التبعية: في قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ أَحْيَطُ بِهِمْ كُلُّهُ أَيْ غَلَبَ عَلَى ظُنُونِهِمْ أَهْلَكُوا، فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الْإِحْاطَةَ اسْتِعَارَةً لِسَدِّ مَسَالِكِ الْخَلَاصِ، تَشَبِّهُ لَهُ بِإِحْاطَةِ الْعَدُوِّ بِإِنْسَانٍ، ثُمَّ كَنِّيَ بِنَّتَكَ الْإِسْتِعَارَةَ عَنِ الْهَلَكَةِ، لِكُونِهِمْ مِنْ رَوَادِهَا وَلَوَازِمِهَا.﴾⁽³⁾

ه. المجاز المرسل: في قوله ﴿ إِنَّمَا بَعَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كُلُّهُ لَأَنَّ الْبَغْيَ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْأَنْفُسِ وَإِنَّمَا هُوَ الْوَبَالُ وَلَمَّا كَانَ الْبَغْيُ هُوَ سَبَبُهُ، ذُكْرُهُ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ الْمَرْسَلِ وَالْعَلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ.﴾⁽⁴⁾

4. القراءات:

أ. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ كُلُّهُ اخْتَلَفَ الْقَرَاءُ فِي (يُسَيِّرُكُمْ) كَالآتِيِّ: أَوْلًا: قَرَأَ كُلَّ مِنْ: أَبْنَى عَامِرٌ، وَأَبْنَى جَعْفَرٌ، (يُسَيِّرُكُمْ) بِيَاءً مَفْتُوحَةً، وَبَعْدَهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ، وَبَعْدَ النُّونِ شِينٌ مَعْجَمَةٌ مَضْمُوَّةٌ.﴾

التوجيه: هو الذي يُسَيِّرُكُمْ وبِفِرْقَتِكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْنَافُ فَأَنْتُشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْغُوْا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ كُلُّهُ﴾ [الجمعة: 10].

ثانيًا: قرأ الباقيون (يُسَيِّرُكُمْ) بِيَاءً مَضْمُوَّةً، وَبَعْدَهَا سِينٌ مَهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ، وَبَعْدَهَا يَاءٌ مَكْسُوَّةٌ مَشَدَّدَةٌ، مِنْ (التسِيرِ).

التوجيه: أي يحملكم على السير، وَيُمْكِنُكُمْ مِنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُجْرِمِينَ كُلُّهُ﴾ [النَّمَل: 69].⁽⁵⁾

(1) زهرة التفاسير /7 3544.

(2) إعراب القرآن وبيانه /4 227.

(3) ينظر: فتح البيان /6 39، والجدول /11 104.

(4) ينظر: زهرة التفاسير /7 3545، وإعراب القرآن وبيانه /4 227، والجدول /11 104-106.

(5) ينظر: النشر /2 282، والهادى /295، وغيره النفع ص: 285-286، القراءات وأثرها في علوم العربية .487/1

ب. قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا أَنَّاسٌ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَّتَّعَ الْحَكِيمُ أَنْتُنَّا﴾ اختلف القراء في (متاع) على النحو الآتي:

أولاً: قرأ حفص (متاع) بمنصب العين.

التوجيه: قرأها على هذا الوجه اعتباراً أنه مصدر مؤكّد لعامله، أي تتمتّعون متاع الحياة الدنيا.

ثانياً: قرأ الباقيون (متاع) برفع العين.

التوجيه: من قرأ بذلك قرأها على أنه خبر لمبدأ محنوف، والتقدير: ذلك هو متاع الحياة الدنيا، وإنما أن تكون (متاع) خبر لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾.⁽¹⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يُخْبَرُ اللَّهُ بَعْدَكُمْ فِي هَاتِينَ الْآيَتَيْنِ، عَنْ مَظَاهِرِ مَكْرِ الْمَاكِرِينَ بِآيَتِهِ ﴿إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾، وَكُفْرِهِمْ بِنَعْمَهِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِمْ، فَاللَّهُ بَعْدَكُمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُكُمْ فِي الْبَرِّ عَلَى الدَّوَابِ، وَفِي الْبَحْرِ عَلَى السُّفَنِ، وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُكُمْ إِذَا سَافَرْتُمْ فِي بَرٍ أَوْ بَحْرٍ، وَجَرَتِ الْفَلَكُ بِالنَّاسِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، لِيْنَةً الْهَبُوبُ لَا عَاصِفَةٌ وَلَا ضَعِيفَةٌ، وَفَرَحَ رَكَبُ الْفَلَكِ بِالرِّيحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَسِيرُونَ بِهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَتِ الْفَلَكُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، وَجَاءَ رَكَبُ الْسَّفِينَةِ الْمَوْجُ وَأَحْاطُهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَظَنَّوْا أَنَّ الْهَلَكَةَ قَدْ دَنَا مِنْهُمْ وَأَحْاطَ بِهِمْ، كَانَ مَفْرُزُهُمْ إِلَى اللَّهِ بَعْدَكُمْ وَأَخْلَصُوا الدُّعَاءَ لِهِ فِي ذَلِكَ الْحَينِ، دُونَ أَوْثَانِهِمْ وَأَلْهَتْهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا، قَالَ: هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ بَعْدَكُمْ مَا يَدْعُونَ، وَيَقُولُونَ لِئَنَّ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا، لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَاكِرِينَ لَكَ عَلَى نِعْمَكَ، وَتَخْلِيصُكَ إِيَّا نَا مَا نَحْنُ فِيهِ، بِإِخْلَاصِنَا لِلْعِبَادَةِ لَكَ، وَإِفَرَادِ الطَّاعَةِ دُونَ الْإِلَهَ وَالْأَنْدَادِ، فَلَمَّا أَنْجَى اللَّهُ بَعْدَكُمْ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ، وَجَاءَتِ رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْدَكُمْ فِي إِبَانِهَا، فَتَهَدَّى الْعَاصِفَةُ، وَيَخْفَتْ صَوْتُ الرِّيحِ، وَيَذَهِبُ عَنِ الْجَهَدِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، أَخْلَفُوا اللَّهَ بَعْدَكُمْ مَا وَعَدُوهُ، وَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَعَاثُوا فِيهَا الْفَسَادَ، وَيَتَجَازُوا إِلَى غَيْرِ مَا أَذِنَ اللَّهُ بَعْدَكُمْ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَعَاصِيهِ عَلَى ظَهِيرَهَا.

يُوجَهُ اللَّهُ بَعْدَكُمْ الْخُطَابُ لَهُمْ قَائِلًا: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا اعْتَدَأْتُمُ الَّذِي تَعْتَدُونَهُ عَلَى أَنفُسِكُمْ، وَإِيَّاهَا تَظْلَمُونَ، وَهُوَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ مَتَّعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلَّ ذَلِكَ بِلَاغٍ تَبَلُّغُونَ بِهِ فِي عَاجِلٍ دُنْيَاكُمْ، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَادُكُمْ وَمَصِيرُكُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، فَنَبْرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَعَاصِي، وَنَجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الَّتِي سَلَفَتْ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَكُونُ إِلَّمٌ مَعْصِيَتِكُمْ إِلَّا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيَحْمِدِ اللَّهَ بَعْدَكُمْ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومُنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.⁽²⁾

(1) ينظر: الهدى 2/296، وشرح طيبة النشر 2/369، ومنار الهدى 1/327، والنشر 2/283.

(2) ينظر: جامع البيان 15/54-50، وتفسير ابن كثير 4/259، وبحر العلوم 2/110-111، والتفسير القرآني للقرآن 6/982، وتفسير البغوي 2/415-416.

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿كُشِّفَ اللَّهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:

نشاهد في هذه الآيات البيان الإلهي لسفه عقول المشركين، حيث إنهم يلتجئون إلى الله الواحد عند كل كرب في البحر والبر لتقنهم أن أصنامهم لا تملك دفع المكره عنهم وأن الله عَزَّلَ وحده هو الكافش للبلاء، ثم يصرفون على عبادتها وإشراكها مع الله في الألوهية.

عجب هذا المخلوق الإنساني لا يذكر الله عَزَّلَ إلا في ساعة العسرة، ولا يتوب إلى فطرته وينزع عنها ما غشاها من شوائب وانحرافات إلا في ساعة الكربة، فهذه عقول المشركين، حيث إنهم يلتجئون إلى الله الواحد عند كل كرب في البحر والبر لتقنهم أن أصنامهم لا تملك دفع المكره عنهم وأن الله وحده هو الكافش للبلاء، ثم يصرفون على عبادتها وإشراكها مع الله عَزَّلَ في الألوهية، فإذا أمن فإما النسيان وإما الطغيان، ذلك إلا من اهتدى فبقيت فطرته سليمة حية مستجيبة في كل آن، مجلوة دائمًا بجلاء الإيمان، عندئذ فقط، وفي وسط هذا الهول المتلاطم، تتعرى فطرتهم مما ألم بها من أوضاع، وتتفض قلوبهم ما ران عليها من تصورات، وتتبض الفطرة الأصيلة السليمة بالتوحيد وإخلاص الدينونة لله دون سواه، والعقل السليم لا يرضى بالتجاء صاحبه إلى إله في الشدة وإله آخر في الرخاء؛ لأن الإله المنجي من الكربات جدير أن يكون إلهًا معبودًا وحده في الرخاء، بعد أن تهدا العاصفة ويطمئن الموج، وتهدا الأنفاس اللاهثة، وتسكن القلوب الطائرة، وتصل الفالك آمنة إلى الشاطئ، ويوقن الناس بالحياة، وأرجلهم مستقرة على اليابسة.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْعُرُورُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّدُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْنَاهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 67]، ولا يمكن لسفينة الحياة أن تمضي في مسيرتها ما لم تتعترضها الرياح الهدارة، وتحيط بها الأمواج العاصفة، ومهما كانت مهارة الريان وقدراته الفنية، فإن أعاصر القدر أشد هولاً من أن يجتتها بإمكاناته الفردية، لذا كان لابد له من المساعدة الإلهية التي تمده بالعون، وتتقذه من الخوف والذعر، وإن كريم الصفات، وجميل الأخلاق، لا ينسى فضل الله حين يأتيه، بل يحمده ويشكره، أما لئيم النفس خبيث الصفات، فإنه سرعان ما ينسى فضل الله عليه ومدده في وقت حاجته، فيتابع مسيرة الحياة، بالظلم والبغى والاعتداء على حقوق الناس، وهذا العنت والسلط سيرتد عليه بالويل والثبور، إن عاجلاً أو في يوم تنشر فيه صحائف الأعمال، ويلقى

(1) ينظر: في ظلال القرآن / 3 - 1773 - 1774.

المرء كتاباً لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، ويقمع المجرم من سوء عمله، ويتمنى لو أنه كان ترباياً.

والله نسأل أن يحفنا باللطف والرحمة، ليثبت أقدامنا على صراطه المستقيم، وينور قلوبنا بشرعه القويم، حتى نبقي عابدين مخلصين له الدين، ولحلوة محبته ذاتين، ولساعات أعمارنا بطاunte مالئتين، ولفرص السعادة الحقيقة مغتمنين آمين يا رب العالمين.⁽¹⁾

بيان تكبير الإنسان وعنداته: ←

هذه هي المشكلة الآن عندنا، مشكلة الناس الذين نجوا ومع ذلك فهم مصرون على الباطل، والمعاصي، والفواحش، والخمور، والربا، وترك الصلوات، فهم لا يتعظون من أول عبء، وهذه شبه قاعدة عندهم، فلا بد أن تأتي ضربة أولى وثانية وثالثة ورابعة حتى يتعظوا، حيث إنه مع كل ضربة ومحنة يستيقظ بعض من الناس، ومع كل شدة يستيقظ آخرون وهكذا حيث أن الشعوب وكما متعارف عليها لا تستيقظ من أول محنـة والإنسان لا يتعلم من أول خطأ، وهذا ليس من صفة المؤمن التي ذكرت في السنة النبوية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُلْدُغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ⁽²⁾ وهذا يتبيّن لنا كيف كان حرص رسولنا الكريم ودعوتنا إلى الانتباه وتوكّي الحذر كي لا نقع مرتين في نفس الحفرة والاعظام من زلات الغير.

نجد الناس - إلا من رحم ربِّي - يدخلون في المحنَّة وتقع عليهم شدةٌ ومع ذلك يخرجون كأن شيئاً لم يقع، فما زالوا منغمسين في المعاصي والأوحال، نقلوا فسادهم من مكانٍ إلى آخر، ومن عجائب البحر التي تدل على إدراكه وعبوديته لله تعالى: أنه يعظم عليه أن يرى ابن آدم يعصي الله تعالى مع حلم الله تعالى عليه، ويتمنى هلاك عصاة بني آدم، وإغراقهم، ويستطيع لكنه مأمور، ومنا من لا تحرك فيه المعصية ساكناً، تشتَّهَ حرمات الله تعالى، وتُشَجَّعُ حدوده، وتُضَيَّعُ فرائضه، ويعادي أولياؤه، فشاهدنا جميعاً في الآونة الأخيرة ما حدث من فيضانات مثل: تسونامي، وغيرها، وما كل ذلك إلا ليكونوا آية لغيرهم، وكم لله تعالى من آية، فتأملوا يا أولياء الآيات!

(1) ينظر : القرآن منهاج حياة ص: 291-292.

(2) صحيح البخاري 8/31، كتاب: الأدب، باب: لَا يُلْدَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُرْمَتِينَ، حديث رقم: 6133.

المطلب الخامس

المثل البليغ للحياة الدنيا

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَّلَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَطَ بِهِ نَبَاثُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ أَنَّاسٌ وَالْأَغْنُونَ حَمَّ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَرَبَ أَهْلُهَا أَنْهِمْ فَنِدَرُونَ عَلَيْهَا أَتَهَا أَمْرُهَا لَيَلَّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَفَنْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَهَيْصِلُ الْأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَنْفَعُكُرُونَ﴾ [يومن: 24].

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما ذكر الله ﷺ ما تقدم من مداع الدنيا ومن البغي في الأرض وإفساد العمران، والإفراط في حب التمتع بما في الدنيا من الزيينة واللذات، جاء بكلام مستأنف يكشف ويبين حالها وسرعة زوالها وانقضائها، وأنها تعود بعد أن تملأ الأعين برونقها، وتجتلب النفوس ببهجتها، وأنها بحال ما تعر وتسوء، تض محل ويؤول أمرها إلى الفناء. ⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

بِالْأَمْسِ : أراد بالأمس مطلق الزمان الماضي البعيد لا خصوص اليوم الذي قبل يومك، ولذلك أعرّب وأدخل عليه (أي) ولو قال أمس للزم البناء على الكسر والتجرد من أى، وكان بلا ألف ولام ولا إضافة، نكرة. ⁽²⁾

2. الإعراب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَّلَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حال الدنيا وسرعة تقصيبها وأنها بعد أن تستهوي الأعين برونقها تحمل أهلها على أن يسفك بعضهم دم بعض ويمشقو الحسام فيما بينهم لتعكير صفو السلم الذي يجب أن يسود بينهم. ⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿فَأَخْنَطَ بِهِ نَبَاثُ الْأَرْضِ﴾، الباء للسبب؛ أي اخلط النبات بسبب اتصال الماء به، وقيل: المعنى خالطه نبات الأرض؛ أي اتصل به فرياه، وهي في محل جر معطوفة على جملة أنزلناه. ⁽⁴⁾

(1) ينظر: فتح القدير 2/497، البحر المحيط 6/36، وتفسير المنار 11/284، وتفسير المراغي 11/92.

(2) ينظر: التبيان 2/672، والجدول 11/109، وإعراب القرآن وبيانه 4/230.

(3) إعراب القرآن وبيانه 4/229.

(4) ينظر: التبيان 2/671، الجدول 11/108.

جملة: **﴿أَنْذَتِ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا﴾** في محل جر مضاد إليه.

جملة: **﴿أَتَهَا أَمْرُنَا﴾** لا محل لها من الإعراب، وهي جواب شرط غير جازم.

جملة: **﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾** لا محل لها من الإعراب، معطوفة على جملة جواب الشرط.

قوله تعالى: **﴿كَانَ لَمْ تَفَنِ بِالْأَمْسِ﴾** في محل نصب حال من مفعول جعلناها، وجملة: **﴿لَمْ تَفَنِ﴾** في محل رفع خبر كأن.

جملة: **﴿نُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾** لا محل لها من الإعراب، استثنافية.

جملة: **﴿يَنْفَكِرُونَ﴾** في محل جر صفة لقوم.⁽¹⁾

3. الجوانب البلاغية:

أ. في هذه الآية الكريمة تشبيه تمثيلي ومركب، حيث إنه تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة وهو هنا يحتمل شيئاً:

- أنه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الارتفاع ثم الانقطاع.
- أنه شبهها بالنبات في جفافه وذهابه حطاما في أدنى مدة ووقيت، بعد ما التف وتکاشف وزين الأرض بخضرته ورفيفه.

التمثيل القرآني له إشارات ببيانية تعييناً عن بلوغها، وأطيااف نورانية يعيها المصوّر عن تصوّيرها.

ب. قوله تعالى: **﴿حَقَّ إِذَا أَنْذَتِ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ﴾** استعارة مكنية حيث شبه الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النبات كالعروس التي تزين بالحلي والثياب، وأخذت الثياب الفاخرة من كل لون، واستعير لتلك البهجة والنضارة لفظ الزخرف.⁽²⁾

ج. قوله تعالى: **﴿أَتَهَا أَمْرُنَا﴾** الأمر هنا كنایة عن العذاب والدمار الذي يقع بهم من الله عجل، وذلك بسبب إعراضهم واغترارهم بالحياة الدنيا.⁽³⁾

(1) ينظر: الجدول 11/108-109، وإعراب القرآن وبيانه 4/229-230، وإعراب القرآن، للناس 2/144، وإعراب القرآن، للدعاس 2/23.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/231، والكشف 2/340، زهرة التفاسير 7/3549، والبحر المحيط 6/38، والتحرير والتوكير 11/143-141.

(3) ينظر: التفسير المنير 11/147، وصفوة التفاسير 1/584.

د. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ استعارة مصರحة، والأصل جعلنا نباتها هالكاً، حيث إنه شبه الهالك بالحصيد، وأقيم اسم المشبه به مقامه، ولا ينافيه تقدير المضاف، كما توهם، لأنه لم يشبه الزرع بالحصيد بل الهالك به هو الذي شبه به⁽¹⁾، وذهب السكاكي⁽²⁾ إلى أنَّ في الكلام استعارة بالكلية حيث شبهت الأرض المزخرفة والمزينة بالنبات الناضر المونق الذي ورد عليه ما يزيده ويعنيه وجعل الحصيد تخيلاً.⁽³⁾

4. القراءات:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتِ﴾ اختلف القراء في قراءة ﴿وَأَزْيَّنَتِ﴾ على النحو الآتي:

أ. قرأ عامة قراء الحجاز والعراق: (وَأَزْيَّنَتْ)، بالتشديد.

التوجيه: تأتي بمعنى وتزيين، ولكنهم أدخلوا التاء في الزياني لقارب مخرجيهما، وأدخلوا ألفاً ليوصل إلى قراءته، إذ كانت التاء قد سكنت، والساكن لا يُنْتَدَأ به.

ب. قرأ الحسن، وأبو العالية، وأبي رجاء، والأعرج، وجماعة آخر غيرهم، أنهم قرأوها: (وَأَزْيَّنْتْ)، بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزياني.

التوجيه: على معنى حضرت زينتها كما تقول أحصد الزرع، ومن قرأوا بذلك على مثال "أَفْعَلْتَ".⁽⁴⁾

قال أبو جعفر: "والصواب من القراءة في ذلك: (وَأَزْيَّنَتْ) لإجماع الحجة من القراء عليها".⁽⁵⁾

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يضرب الله ﷺ للعباد مثل للحياة الدنيا فيقول الله ﷺ إنما مثل ما تباهون في الدنيا وتقاخرون به من زينتها وأموالها، مع ما قد وُكّلَ بذلك من التكثير والتغليس وزواله بالفناء والموت، كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض، فنبت بذلك المطر أنواع من النبات، فاتصل كل واحد

(1) ينظر: الجدول 11/110.

(2) يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكي: من أهل خوارزم، عالمة وإمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، منكمل فقيه متقن في علوم شتى، وهو أحد أفضل العصر الذين سارت بذكراهم الركبان، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وصنف (مفتاح العلوم) في اثنى عشر علمًا أحسن فيه كل الإحسان، وله غير ذلك. [معجم الأدباء 6/2846].

(3) الجدول 11/110.

(4) ينظر: جامع البيان 15/58، المحرر الوجيز 3/114، زاد المسير 2/325، البحر المحيط 6/38.

(5) جامع البيان 15/59.

بالآخر فاختلط، مما يُكُلُّ النَّاسُ من الزروع والأشجار ونحو ذلك، وسائل العشب المرعي، وحسب أهل الزرع أَتَهُمْ قَاوِرُونَ على غلاتها وعلى ما انبتت وأنها ستتم لهم الآن، وبأنهم سيقطفونها ويحصدونها، جاء الأرض قضاونا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلاً وإما نهاراً، فجعلنا ما عليها مقطوعة مقلوبة من أصولها، كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتةً قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس، فكذلك يأتي الفناء على ما تباهون به من دنياكم وزخارفها، فيفيتها وبهلكها كما أهلك أُمُّرُّا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجهتها، حتى صارت كأن لم تغن بالأمس، كأن لم تكن قبل ذلك نباتاً على ظهرها، وبينما لكم أيها الناس، مثل الدنيا وعرفناكم حكمها وأمرها، كذلك ثُبُّين حجنا وأدَلَّتَا لمن تفَكَّرَ واعتبر ونظر، ونبين علامات غرور الدنيا وزوالها، ونذكر واحدة منها بعد الأخرى، على الترتيب ليكون توالياً وكثرتها سبباً لقوة اليقين، وموجاً لزوال الشك والشبهة، وخصّ به أهل الفكر، لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبُّه في الصدور، وأما الغافل المعرض، فهذا لا تتفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدفت الآيات إلى تحقيق المقاصد التالية:

﴿زوال الدنيا وزخارفها﴾:

الدنيا زائلة لا محال فهي عرضة للآفات، ولقد نهى الله ﷺ في هذه الآيات وأمثالها، عن الإغترار بالدنيا وحطامها، والانخداع بها، وبزخارفها البراقة، وعن الاطمئنان إليها، فهمي دار زائلة فانية هذا واقعها، وهذه هي حقيقتها، فهل يأمنها أو يرکن إليها مؤمن؟؟، هل يطمئن إليها أو يعادي أو يوالي من أجلها؟؟، فيجب علينا الحذر من الاطمئنان إليها، ويجب أن نتقي الله ﷺ، وأن نكون من أبناء الآخرة ولا نكون من أبناء هذه الدنيا الفانية، وعن أنس بن مالك ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبَّ وَيُؤْتَى بِأَشَدَّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةً قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسًا قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». ⁽²⁾

(1) ينظر: جامع البيان/15-55-57، وبحر العلوم/2-111، وتفسیر البغوي/2-416، وتبیین الکریم الرحمن ص: 361.

(2) صحيح مسلم/4-2162، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: صَبْغَ أَنْعَمَ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغَ أَشَدَّهُمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ، حديث رقم: 2807.

يجب أن ننزل دنيانا لآخرتنا، ونطوعها ونستخدمها فيما ينفع عند الله ﷺ، فلن يصاحبنا منها إلا العمل الصالح، يقول حبينا المصطفى في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةً جَارِيَةً، وَعِلْمً يَنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ⁽¹⁾، ونبهنا الرسول ﷺ لعدم الإغترار به، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أَخْذَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاةِكَ لِمَوْتِكَ⁽²⁾، لذلك علينا أن لا ننخدع بهذه الدنيا الدينية، ونكشف القناع عنها، ونرفع الارتياب فيها، ونحن نرى حال الناس في هذه الأيام، وكيفية اغترارها بشهوات الحياة الفانية، فقال تعالى: ﴿رُّبَّنَ لِلشَّاءِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْأَيْكَلَةِ وَالْبَيْنَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُغَنَّطَةِ مِنَ الْأَذْهَبِ وَالْفِنَكَةِ وَالْغَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَمْتَنِيِّ وَالْحَرَبِ ذَلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَأَنَّهُ عِنْدَهُ حَسْنُ الْمَعَابِ﴾ [آل عمران: 14]، فصاحب الدنيا المبتدى بحبها المغدور بما فيها من المتعة تخدعه، حتى تزيل قدمه، ثم يجازى بعمله، فما أسرع تقلب أحوالها وتبدل حياتها بالموت، وعمارها بالخراب وتفرق الأحباب، ومن أعمل فكره وتفكر في هذه الحياة الدنيا وجدها محفوفة بالأنكاد والأكدار، والأضرار، وبالهموم والأحزان، فصرفوها وحوادثها تتبه الغافلين، وثوّقظ النائمين، وقد ضرب الله مثلاً لها في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْمَعْوِةِ الْدُّنْيَا كُلَّهُ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَاطَ بِهِ بَأْثَرَ الْأَرْضِ فَأَضَبَحَ هَشِيمًا نَذْرُوهُ أَرْبَعَ﴾ [الكهف: 45]، هكذا الدنيا لأهلها ولمن يطلبها ويسعى للفوز بها؛ فما فوق التراب تراب، فاللهم حب إلينا الإيمان وأهل الإيمان من الغائبين والحاضرين يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عننا، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق.

﴿بِيَانِ فَضْلِيَّةِ التَّفْكِيرِ وَأَهْلِهِ﴾

العبرة لمسلمي عصرنا في هذه الآية الكريمة وبضرب المثل فيها وغيرها من آيات القرآن الكريم، التي اهتدى بها العرب فخرج من شركه وخرافاته وأميته وبداوته إلى نور التوحيد والعلم والحكمة والحضارة، ثم اهتدى بدعوته إليها الملايين من شعوب العجم، فشاركته في هذه السعادة والنعم، ونجد أنه لم يتبق في يومنا هذا أثر لهذه الآيات إلا ترتيلها في بعض المواسم والماتم، ولا يخطر ببالهم أنه يجب عليهم التفكير للاهتداء بها، ولو تفكروا لاهدوا، وإذا لعلوا أن كل ما يشكو منه البشر من الشقاء بالأمراض الاجتماعية والروحية، والرذائل النفسية، والعداوات القومية،

(1) سنن الترمذى / 3، 53، أبواب: الأحكام، باب: في الوقف، حديث رقم 1376. [حَدِيثُ حَسَنٍ صَحِحٍ].

(2) صحيح البخارى / 89، كتاب: الزمان، باب: قُولُ النَّبِيِّ ﷺ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ، حديث رقم:

والحروب الدولية، إنما سببه التناقض في متع هذه الحياة الدنيا، وأن من تفكر في هذا وكان على بصيرة منه، فهو جدير بأن يلتزم القصد والاعتدال في حياته الدنيوية المادية، ويصرف جل ماله وهمته في إعلاء كلمة الله ﷺ وعزّة أهل ملته، وقوة دولته، والاستعداد لآخرته، فيكون من أهل سعادة الدارين، وما صرف الناس عن هذا الاهتداء بكتاب الله، وهو أعلى وأكمل ما أنزله الله، إلا علماء السوء المقلدون الجامدون، وزعمهم الباطل أنه لم يبق في البشر أحد أهلا للاهتداء به بعد الرسول ﷺ.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا﴾ [يومن: 108]، فيجب عليهم التفكير والاهتداء دائمًا بآيات القرآن الكريم وما يضره الله ﷺ من امثال لعباده المؤمنين، فنسأل الله ﷺ أن نهتدي بهديه ويرشدنا الصواب في القول والعمل.

(1) ينظر: تفسير المنار / 11 / 285.

المطلب السادس

دُعْوَةُ اللَّهِ إِلَى دَارِ السَّلَامَةِ، وَالْهُدَى إِلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يومن: 25].

أولاًً: مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى غرور المشركين الجاهلين بمتاع الدنيا وبين سرعة زوالها، ونفر عباده عن الميل إليها، رغب ووضح ما يدعو إليه من سعادة الآخرة في الجنة.⁽¹⁾

ثانياً: التفسير التحليلي:

1. معاني الكلمات:

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾: فيها عدة معانٍ:

أ. قال قتادة: "السلام من أسماء الله تعالى، وأضيفت دار النعيم وهي الجنة إليه تعظيمًا ل شأنها".

ب. السلام بمعنى السلمة، سميت الجنة دار السلام لأن من دخلها سلم من الآفات، ومن جميع الشوائب والمصائب، والمناقص والأذار، والعداوة، والخصام، ولا إزعاج فيها ولا عذاب.

ج. المراد بالسلام التحية سميت الجنة دار السلام، لأن أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام

والملائكة تسلم عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مَنْ كُلَّ بَأْبٍ﴾ [سورة سلم: ٣٣]

﴿فَنَعَمْ عَقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 23-24].⁽²⁾

2. الإعراب:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى﴾ الجملة لا محل لها من الإعراب، استئنافية.

قال تعالى: ﴿يَدْعُو﴾، الجملة في محل رفع خبر المبتدأ (الله).

جملة: ﴿وَيَهْدِي﴾ في محل رفع معطوفة على جملة يدعو.

جملة: ﴿يَشَاءُ﴾ لا محل لها من الإعراب، وهي صلة الموصول (من)، و (مستقيم) صفة لصراط مجرير.⁽³⁾

(1) ينظر: تفسير ابن كثير 4/261، وتفسير المنار 11/286، وفتح البيان 6/47.

(2) ينظر: فتح البيان 6/47، وتفسير المنار 11/286، وتفسير البغوي 4/129، وزهرة التفاسير 7/3552، ومعاني القرآن واعرابه 3/15.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 4/230، والجدول 11/110-111.

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

يَحِثُ اللَّهُ عَبَادُهُ بَأْنَ لَا يَطْلُبُوا الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، فَإِنْ مَصِيرُهَا إِلَى فَنَاءٍ وَزُوْلَ، كَمَا مَصِيرُ النَّبَاتِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ بَعْلَهُ لَهُمْ مُثْلًا إِلَى هَلَكٍ وَبَوَارٍ، وَلَكِنْ اطْلُبُوا الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، وَلَهَا فَاعْمَلُوا، وَمَا عَنِ اللَّهِ بَعْلَهُ فَالْتَّمَسُوا بِطَاعَتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ يَدْعُوكُمْ إِلَى دَارِهِ، وَهِيَ جَنَّاتُهُ الَّتِي أَعْدَهَا لِأُلُوِّلَائِهِ وَأَضَافَهَا إِلَى اسْمِهِ تَعْظِيْمًا لَهَا، تَسْلِمُوا مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ فِيهَا، وَتَأْمُنُوا مِنْ فَنَاءِ مَا فِيهَا مِنَ التَّعْيِمِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَعْدَهَا لِمَنْ دَخَلَهَا، وَهُوَ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَيُوفِّقُهُ لِإِصَابَةِ الْطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بَعْلَهُ سَبِيلًا لِلَّوْصُولِ إِلَى رَضَاءِهِ، وَطَرِيقًا لِمَنْ رَكِبَهُ وَسَلَكَ فِيهِ إِلَى جَنَانِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَذَلِكَ عَدْلُهُ وَحِكْمَتُهُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَجَةٌ بَعْدِ الْبَيَانِ وَالرَّسُلِ، فَالْدَّعْوَةُ عَامَةٌ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ بَالْدَلَالَةِ وَالْهَدَايَةِ.⁽¹⁾

رابعاً: مقاصد وأهداف النص:

هدف الآيات إلى تحقيق المقصود التالي:

◀ الأمان والسلام في دار المقام:

مكانة السلام في الإسلام ظاهرة جلية في كثير من آيات القرآن الكريم، وسميت الآخرة دار السلام لحث المسلم على السعي نحو السلام والتعم بظلاله ونعمته، قال ﷺ: ﴿لَمَنْ دَأْرُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 127]، وفي كل مرة يبين الله عزّ وجلّ فضله على عباده ورحمته بهم وهو الذي يدعو إلى سبل السلام بإتباع منهج الإسلام كما قال ﷺ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رَضْوَانَكُهُ سُبْلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: 16]، كذلك يدعوهם ويحثهم على العمل الصالح وترك المعاصي والبعد عن الضلال ليدخلهم جنته، يجب أن يكون قلب العبد سليماً من الشهوات والشبهات سليماً من أمراض الكبر والبغض والحسد والحقد، قلب يديم فيه العبد الإنابة إلى الله عزّ وجلّ ليس على الدوام في الدنيا والآخرة، وأيضاً أن يكف المسلم نفسه عن إيقاع الضرر بإخوانه، فيسلموا أذنيه، وأن يفتشي السلام بين العباد ويلتزم في تحية الإسلام، وكل ذلك يؤدي به إلى دار السلام، التي وصفها لنا نبينا محمد ﷺ، عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُونُ فِيهَا وَيَشْرُبُونَ، وَلَا يَتَفَلَّوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَعَوَّطُونَ وَلَا يَمْنَحِطُونَ" قالوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: "جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرْسْحٌ الْمِسْكُ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ" (2)، والأحاديث النبوية الصحيحة في وصف الجنة كثيرة، وكل

¹⁾ ينظر: جامع البيان 15/59، ومدارك التنزيل 2/17، وتنيسير الكريم الرحمن ص: 362.

(2) صحيح مسلم 4 / 2180، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها وتبشيرهم، حديث رقم:

ذلك نعمة من الله يعجل لعباده المؤمنون الذين تركوا الحياة الدنيا ابتغاء مرضاة الله ﷺ، وليركز لهم الله يعجل وينعم عليهم بدخول جنته، فهي باقية بنعيمها وأهلها في أمان ما دامت السماوات والأرض، والأمر المهم هنا، بيان ذلك الفرق الشاسع بين دار الدنيا الفانية، ودار السلام الباقية، بين دار المرور والغرور، ودار القرار والحبور، وبين دار تلاشى في لحظة، وتزول على حين غفلة، فإذا هي حصيد، كأن لم تكن شيئاً مذكورة، وبين دار مستقرة لا زوال لها ولا فناء، قال تعالى: ﴿وَمَا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَوْمَ الْجَنَّةِ خَلِيلُنَّ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاهُ إِنَّمَا مَجْدُ ذُرِّيَّتِهِ﴾ [هود: 108]، فشتان ما بينهما، وشتان بين من كانت وجهته الدار الأولى الفانية، ومن كانت وجهته الدار الآخرة الباقية، وعلى أصحاب القلوب اليقظة والعقول النيرة أن يتعظوا.

اللهم أنت السلام وملك السلام وإليك السلام، أحيينا يا ربنا بالسلام،
وأدخلنا يا ربنا الجنة دار السلام.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

أحمد الله عَزَّلَ الذي بنعمه تتم الصالحات، أحمده أولاً وأخيراً أنْ أعاذه ووقفني وبسر لي إتمام هذه الرسالة، والوصول إلى خاتمتها، بعد دراسة ممتعة لآيات الحزب الحادي والعشرين من القرآن الكريم، واستخلاص وبيان ما فيه من المقاصد والأهداف، واستتباط أهم الهدایات منه، ومن خلال هذه الدراسة لآيات الكريمة توصلت الباحثة لمجموعة من النتائج والتوصيات، من أهمها:

أولاً: النتائج:

1. أن علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله عَزَّلَ فهماً صحيحاً، ويُعين على استخراج دقائق معانيها وتَدَبُّرها، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله عَزَّلَ، ومقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، ومن خلاله يظهر بيان إعجاز القرآن وبلاعنته.
2. اشتمال القرآن الكريم على كثير من القضايا العقدية، والأحكام، والأخلاق، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن، التي جعلها الله عَزَّلَ هداية لنا، وتدور جميعها على الدعوة إلى الله عَزَّلَ، وبيث هذا من خلال المقاصد، والأهداف والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور.
3. أن غزوة تبوك من أعظم المغازي التي كان لها أثر كبير في التربية بالأحداث، وتنقية الصف المسلم، وانكشاف المنافقين على حقيقتهم.
4. أظهرت السورة القدرات العالية التي كان ينتمي بها النبي ﷺ من سمات القيادة الرشيدة والحكمة، في الجوانب السياسية والعسكرية والأمنية، التي ينبغي أن يستفيد منها القادة.
5. الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين حصاده النصر والتمكين، وفي ذلك مفارة في الدارين.
6. الأمر بدعاء الله عَزَّلَ وحده وإخلاص الدين له وتخصيصه بالعبادة، فيجب اتباع ما أنزله ولا يجوز اتباع الأولياء من دونه في العقائد والعبادات.
7. وجوب اتباع أوامر الدين، وبيان سنة الله بالابتلاء للأمم بالبأساء والضراء، وتأرة بالرخاء والنعماء، وبيان أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب في نزول البركات والخيرات.
8. إن الإسلام العظيم جاء لإصلاح البشرية، فكما أصلح المجتمع الجاهلي، فهو الأجرى على قيادة العالم اتباعه، وإصلاح وتغيير الفساد الذي اعترى الفرد والجماعة والأمة، فحرى بالعلماء والدعاة والمصلحين اتباعها وتوضيحها للناس.

9. إنّ مقاصد وأهداف القرآن الكريم لا تتحصر في جانبٍ واحدٍ، بل تأخذ جوانب متنوعةً، ونواحي متعددةً، لتشمل جميع نواحي الحياة، ومتطلباتها.
 10. اشتغال سورة التوبة في مجلها على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وكذلك الرد على ضلالات المنافقين، بتصحيح تصوراتهم، ومحاربتهم وكشف مكائدهم.
 11. سعة رحمة الله لتشمل جميع خلقه بما فيهم العصاة، وقبول التوبة من عباده، وإنّ أهل العبودية لهم خصوصيةٌ عند الله تعالى بمنحهم الرحمات والكرامات.
 12. الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
 13. بيان الكثير من السنن الريانية التي قدرها الله تعالى على خلقه، ومنها: وسنة الإستخلاف، والابتلاء، وغيرها.
- ثانياً: أهم التوصيات:**
- في ضوء الدراسة التي قمتُ بها، والنتائج التي توصلتُ إليها، خرجت بالتوصيات التالية:
1. القرآن الكريم معينٌ لا ينضب على مر العصور والأزمنة، فحبذا الكشف عن كنوزه وأسراره من خلال أهدافه ومقاصده.
 2. عودة الأمة بقاؤها إلى القرآن في جميع مناحي الحياة، لتعيد تشكيلها من جديد، وتغيير ما بأنفسها، ليتحقق الله تعالى وعده الذي لا يُخلف، بتغيير واقع الأمة للأفضل.
 3. الاهتمام بدراسة النواحي القيادية والإدارية، التي كان يتمتع بها النبي ﷺ، في كافة مؤسساتنا، وتأصيل ذلك تأصيلاً شرعاً وتربوياً، فإنه ﷺ القدوة الكاملة.
 4. ضرورة إصلاح الفرد قبل المجتمع، فلابد أن يبدأ كل واحدٍ بنفسه قبل غيره.
 5. أن يهتم العلماء والداعية بنشر هذه التعليمات والهدايات بين الناس، وأن يتمثلوا بهدي النبي ﷺ، وكذلك ممارسة أساليب جديدةٍ تواكب التقدم العلمي الذي وصل إليه الناس.
 6. تعليم النساء أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله تعالى وتقرير الوحي والرسالة، لتشتتهم نشأة قوية صحيحة.
 7. ننصح أخواتنا وأخواننا الباحثين وطلبة العلوم الشرعية، ببذل المزيد من الجهد لاستخراج الكنوز الثمينة من بطون كتب العلماء، خاصة ما يتعلق بمواضيع القرآن الكريم، دستور الأمة الحالى، وعنوان عرّتها ورفعتها، وربطها بواقع الأمة، للخروج بحلول عملية لأزماتها الحالية، لتبرز معالم الطريق المستقيم، على خطى الأنبياء والمرسلين.

8. نوصي أساتذة الجامعات والقائمين عليها، بمزيد من العناية لمثل هذه الأبحاث، وتوجيهه طلبة العلم في الدراسات العليا لها، حتى يتم ربط هذه الأمة بدينها وتراثها، والانطلاق نحو الغد المشرق للإسلام وال المسلمين، بإذن الله تعالى.

9. أوصي نفسي وأخواتي والقراء بتقوى الله تعالى، والعمل على مرضاته، والثبات على طريق الحق، واتباع هدي النبي ﷺ، حتى نلقه تعالى.

ختاماً ...

ما هذه الرسالة إلا جهُدٌ متواضعٌ بذلت فيه ما بوسعي؛ وما هي إلا مجهدٌ بشري، للخروج بما يخدم الإسلام والمسلمين، وأسأل الله تعالى أن أكون قد ساهمت في خدمة كتابه العزيز، وسهّلت الاستفادة منه، للقارئ والدارس، كما أسأله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يلهمنا السداد والصواب، فما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهوٍ ونسيان فمن نفسي والشيطان، قال العmad الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".⁽¹⁾

وأخيراً أسأل الله تعالى أن تكون هذه الرسالة فاتحة خيرٍ لي وللأمة، وأرجو من المولى تعالى أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإنه خير مأمول، وأكرم مسئول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) روضة الناظر وجنة المناظر 1/42.

الفهرس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية
الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس المحتويات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
البقرة		
242	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً﴾
19	183	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ ...﴾
255	213	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَهُ فَبَعَثَ اللَّهُ الْيَسَرَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ ...﴾
147	256	﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّلْغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ...﴾
171	261	﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ ...﴾
97	276	﴿يَمْحُى اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾
25	281	﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا تُرْجَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ...﴾
221	282	﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾
آل عمران		
276	14	﴿رُزِّيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الْشَّهَوَاتِ مِنَ الشَّكَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ ...﴾
148	28	﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَفَرِيْنَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ...﴾
265	54	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَارِ﴾
250	83	﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَمُونَ﴾
221	102	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْانِيهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
142	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ...﴾
182	144	﴿وَسَيَعْزِزِيْ اللَّهُ أَشْكَارِيْنَ﴾
النساء		
251	36	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
193	61	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ ... ﴾
176	71	﴿ فَأَنْفِرُوا ثُمَّ إِذَا أَنْفَرُوا جَمِيعًا ﴾
147	89	﴿ وَدُولَوْ تَكَفَرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءٌ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أُولَيَّةَ حَتَّى ... ﴾
14	105	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا أَرْبَكَ اللَّهُ ﴾
56	108	﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعْهُمْ ﴾
148	144	﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَنْ تَنْجُذُوا الْكَافِرِينَ أَوْ لَيَأْتِهَا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾
84 ، 57	145	﴿ إِنَّ الْمُنْتَقِيَنَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّادِرِ وَلَنْ يَهْدِ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾
19	165	﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَئِلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ... ﴾
25	176	﴿ يَسْقَئُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُقْتِي كُلَّمَا فِي الْكَلَدَةِ ﴾
المائدة		
251	3	﴿ أَلَيْوَمْ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَمْتَعْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنًا ﴾
279	16	﴿ يَهْدِي بِدِيَ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ ﴾
57	38	﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَلُمُو أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ ﴾
148	81	﴿ وَلَوْكَأُنْوَيْمُثُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا أَنْجَذَوْهُمْ أَوْ لَيَأْتِهَا وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَدِسْقُونَ ﴾
50	90	﴿ إِنَّمَا الْخَنْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَمُ يَجْسُسُونَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ ﴾
الأنعام		
45	62	﴿ هُمْ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾
259	112	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَنَ إِلَيْنِسَ وَالْجِنَّ يُوَحِّي بَعْضُهُمْ إِلَكَ ... ﴾
279	127	﴿ هُمْ دَارُ أَسْلَمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَإِنْهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الأعراف		
259	27	﴿إِنَّمَا يَرَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا نُوْرُهُمْ﴾
237	55	﴿أَدْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
68	156	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾
255	172	﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبِّكَ مِنْ بَيْنِ عَادَمَ مِنْ طُهُورِهِ ذَرَّيْهُمْ وَأَشَهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ...﴾
259	188	﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ ...﴾
الأنفال		
264	30	﴿وَإِذَا يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوْكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ ...﴾
184 ، 24	57	﴿فَشَرِّدْنَاهُمْ مَنْ خَلَقُهُمْ﴾
التوبة		
25	1	﴿بَرَآءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
182	5	﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾
256	33	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ ...﴾
176	41	﴿أَنْفَرُوا خَفَافًا وَثِقَالًا﴾
50	42	﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَرْجَنَا مَعَكُمْ﴾
217	62	﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ أَنْ يُرِضُوهُ﴾
94	84	﴿وَلَا تُصْلِي عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبْدَأَ﴾
39	87	﴿وَطَبِيعَ عَلَىٰ قَلْبِهِمْ﴾
36	91	﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَيِّلٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
36	93	﴿إِنَّمَا السَّيِّلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَدِّنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنَّ ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
42	94	﴿ يَعْتَذِرُونَ لِكُمْ إِذَا رَجَعْتُمُ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ ... ﴾
48 ، 48	95	﴿ سَيَعْلَمُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمُ إِلَيْهِمْ لِتُعَرِّضُوهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ... ﴾
53	96	﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِرَضْوَاهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ ... ﴾
59	97	﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفَّارًا وَنَفَاقًا وَاجْدَرُ الْأَيْمَانُ مُحْدُودًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... ﴾
71	98	﴿ وَيَرِيقُونَ بِكُوْدَالَوَأَبَرَّ عَيْنَهُمْ دَأْبَرَةُ السَّوْءِ ... ﴾
66	99	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُمَا ... ﴾
75	100	﴿ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ ... ﴾
107 ، 81	101	﴿ وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرْدُوا عَلَى ... ﴾
107 ، 86	102	﴿ وَآخَرُونَ أَعْرَفُو بِنُوْبِهِمْ حَلَطُوا عَمَلًا صَلِحًا وَمَا هُوَ بِسَيِّقٍ ... ﴾
91 ، 70	103	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَنُزِّكُهُمْ بِهَا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ ... ﴾
98	104	﴿ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ ... ﴾
أ	105	﴿ وَقُلْ أَعْمَلْنَا فَسِيرِيَ اللَّهُ عَمَلَكُو وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرِّدُونَ إِلَى عَلِيِّ الْغَيْبِ ... ﴾
105	106	﴿ وَمَا خَرَوْنَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ... ﴾
113	107	﴿ وَالَّذِينَ أَخْذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَقْرِيَّابًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾
120	108	﴿ لَا نَقْنُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أَسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَنَّ لَهُ يَوْمٌ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ ... ﴾
126	109	﴿ أَفَمَنْ أَسَسَ بِمِنْكَنَةٍ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مَمَّا ... ﴾
126	110	﴿ لَا يَرَأُ أَبْنَيْتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ... ﴾
135	111	﴿ إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّ فِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفَسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِإِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... ﴾
135	112	﴿ الْمُتَّقِبُونَ الْمُكَبِّدُونَ الْمُحْمِدُونَ الْسَّتِّحُونَ الْرَّكَبُونَ ... ﴾
143	113	﴿ مَا كَاتَ لِلَّهِيَ وَالَّذِينَ مَا مَنُوا أَنْ سَتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُفْلِي ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
143	114	﴿ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ لِإِبْرَاهِيمَ لَأَنِّيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَبَّأَنَّ ﴾
149	115	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُ حَتَّىٰ يَتَّبِعُنَّ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ... ﴾
149	116	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُحَمَّدٌ وَيُمَيِّزُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُورٍ اللَّهُ مِنْ ﴾
159، 154	117	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الْقَوْمِ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي ... ﴾
158، 108	118	﴿ وَعَلَى الْأَنْذَارِ الَّذِينَ حَذَّفُوا حَقَّهُ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّتْ وَضَاقَتْ ... ﴾
159	119	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا آتَقُوا اللَّهَ وَكُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾
166	120	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ... ﴾
166	121	﴿ وَلَا يُفْقِدُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيَّا إِلَّا كَثَبَ لَهُمْ ﴾
174، 168	122	﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ ... ﴾
180	123	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا فَلَمُّا أَذْلَلُوا الَّذِينَ يُلُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَحْذُرُوا فِيمَكُمْ ... ﴾
186	124	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً فِي مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَهُنَّ هَذِهِ إِيمَانًا فَمَا الَّذِينَ ... ﴾
190	125	﴿ وَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدُوهُمْ رِجْسًا إِلَيْهِ رِجْسٌ وَمَا نَوْا ... ﴾
83	126	﴿ أَوْلَاءِنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّاتٍ فَمَمَّا لَا ... ﴾
190	127	﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ بَعْضٌ هَلْ يَرَدُكُمْ مِنْ أَحَدٍ شَّرَّ ﴾
195	128	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ ... ﴾
195	129	﴿ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقْلُ حَسِيْرٍ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ ﴾
يونس		
205	1	﴿ الَّرٰ زَلَكَ مَا يَنْتَ الْكَنْبِ ﴾
205	2	﴿ أَكَانَ لِلَّتَّاينِ عَجِيْبًا أَنَّا أَنْجَيْنَا إِلَيْ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَّا أَنْذَرْنَا النَّاسَ وَشَرِّ الَّذِينَ ... ﴾
210	3	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
214	4	﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًا إِنَّمَا يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِي الَّذِينَ ...﴾
217	5	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدْرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُ مَا عَدَ ...﴾
217	6	﴿إِنَّ فِي أَخْيَالِهِ أَيْلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا حَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيْمَنِي﴾
222	7	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ لِقَاءً نَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ ...﴾
222	8	﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ الْأَنْتَرِيَّا كَأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ﴾
222	9	﴿إِنَّ الَّذِينَ مَاءَمُوا وَعَمِلُوا أَصْنَلَحَتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَنِهِمْ تَجْرِي مِنْ﴾
222	10	﴿دَعَوْنَاهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَنَاهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَمَا يَخْرُ دَعَوْنَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾
228	11	﴿وَتَوَعَّدُهُمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجَلُهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ...﴾
233	12	﴿وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَدَنَ الظُّرُّ دَعَانَا لِجَنِيَّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ...﴾
238	13	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاهُتُمُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيْتِ ...﴾
238	14	﴿جَعَلْنَاكُمْ خَلَقِيْفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾
31	15	﴿وَإِذَا تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَا يَأْتُنَا بِيَنْتَزِتُ فَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءً نَا أَتَتِ ...﴾
243	16	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا نَتَوْتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَذْرَكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْسَتِ فِيْكُمْ﴾
247	17	﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾
248	18	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ ...﴾
253	19	﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةٌ وَجِدَةٌ فَاتَّخَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ...﴾
257 ، 31	20	﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزَلَ عَلَيْهِ مَا يَأْتِهِ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْفَيْبُ لِلَّهِ فَأَنْتَظِرُوْا ...﴾
266	21	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّةٍ مَسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرُرٌ فِيْهِ أَيْاً نَأْتَنَا قُلْ أَللَّهُ ...﴾
266	22	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ يَرْبِحُ ...﴾
266	23	﴿فَلَمَّا آتَجَنَّهُمْ إِذَا هُمْ يَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ الْعَقَى يَكُبُّهُمُ النَّاسُ إِنَّمَا يَعْيِكُمْ ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
272	24	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ...﴾
278	25	﴿وَاللَّهُ يَدْعُونَا إِلَى دَارِ الْسَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾
97	26	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُسْتَقِيمٍ وَزِيَادَةً﴾
30	94	﴿إِنَّمَا كُتُبَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسُقْلِ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْحُكْمَ بِمِنْ قِبْلَكَ ...﴾
277	108	﴿فَمَنْ أَهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا﴾
هود		
241	102	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ مِنْ شَدِيدٍ﴾
280	108	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ شَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلَلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا ...﴾
الرعد		
278	24 - 23	﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنُعَمِّلُ عَنْكُمْ الْأَذَارِ﴾
132	31	﴿وَلَا يَرَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحْلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَسَنٌ ...﴾
إبراهيم		
237	7	﴿إِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾
265	46	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَنْزُلَ﴾
النحل		
15	9	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَقْدُ الْسَّكِيلِ﴾
55	38	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ﴾
236	53	﴿وَمَا يُكُمْ مِنْ نَعْمَلٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الظُّرُفُ فَإِلَيْهِ يَتَحَشَّرُونَ ...﴾
242	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمُعْدُلِ وَإِلَيْهِ الْخَسَنُ وَلَا يَنْهَا يَذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الإسراء		
175	44	﴿لَا نَفْعَلُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
62	67	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا يَجْعَلْنَا إِلَيْهِ أَعْرَضْتُمْ ...﴾
الكهف		
276	45	﴿وَأَضْرَبْتُ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَطَ بِهِ بَنَاتٍ﴾
132	59	﴿وَتِلْكَ الْقُرْيَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾
الأنبياء		
241	11	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ طَالِمَةً وَأَشَانَا بَعْدَهَا قَوْمًا مَخْرِبِينَ﴾
212	37	﴿خُلِقَ الْإِنْسَنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ عَيْنِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾
237	90	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحِيَّ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ...﴾
الحج		
78	30	﴿فَاجْتَبَنَا بِنُو الْرِّبَسِ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾
241	45	﴿فَكَلَّا إِنَّمَا قَرْيَةَ أَهْلَكَنَاهَا وَهِيَ طَالِمَةٌ فِيهِ خَاوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشَهَا﴾
المؤمنون		
256	52	﴿وَلَنَ هَذِهِ أُمَّةٌ مُنْكَرٌ أَمْمَةٌ وَحْدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَلَنَقُولُونَ﴾
النور		
241	55	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَكِلُوا الْقُبْلَةِ حَتَّى لَيَسْتَقْبِلُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ...﴾
الفرقان		
60	65	﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾
النمل		
41	56	﴿أَخْرَجُوا إِلَّا لَوْطًا مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَّاسٌ يَنْظَهَرُونَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
268	69	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِنْقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾
العنكبوت		
19	45	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
الروم		
253	30	﴿فَأَقْدَمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطَرَ اللَّهُ أَلَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾
السجدة		
132	21	﴿وَلَنْ يَقْنَعُهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَذَقَ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
الأحزاب		
242	72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْتُ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَ ...﴾
فاطر		
265	10	﴿وَالَّذِينَ يَسْكُنُونَ السَّيْعَانَ لَمْ يُمْلِئُنَ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُنْتَكَ هُوَ بُورٌ﴾
178	28	﴿إِنَّمَا يَخْشَىَ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَتُوا﴾
ص		
17	29	﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَرُوا مَا إِيَّاهُمْ وَلِسَذَّكْرُ أُفُوْلُ الْأَبْلَبِ﴾
الزمر		
236	8	﴿وَإِذَا مَسَ الْأَنْسَنَ ضُرُّ دَعَارِيَهُ مُنْبِيًّا إِلَيْهِ شَمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ شَيْءَ مَا ...﴾
178	9	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِيَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
194	45	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ...﴾
90	53	﴿قُلْ يَعْبُادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ ...﴾
الأحقاف		
ت	15	﴿قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْتَمْتَ عَلَيَّ﴾

الصفحة	رقمها	الآلية
محمد		
1	24	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَنْ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾ (٤٦)
85	29	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنَّ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ... ﴾
الفتح		
188	4	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّيْكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾
172	29	﴿ يُعِذِّبُ الْرُّزَاعَ لِيَغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾
ق		
265	18	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنِهِ ﴾
الذاريات		
189	21-20	﴿ وَفِي الْأَرْضِ مَا يَنْتَهِ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ ﴾
19	56	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾
الواقعة		
80	11-10	﴿ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُغَرَّبُونَ ﴾
المجادلة		
178	11	﴿ يَرْقَعُ اللَّهُ الَّذِينَ إِمَانُهُمْ كُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ ﴾
55	14	﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
الحشر		
160	8	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَفَّنُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ ... ﴾
157	9	﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾
57	13	﴿ لَا أَنْتَ أَشَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الجمعة		
268	10	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَنْتَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾
الطلاق		
221	2	﴿وَمَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرِجًا﴾
الملك		
83	4	﴿إِنَّمَا أَتَيْجُ الْبَصَرَ كَثِيرٌ يَنْقَلِبُ إِلَيْكُمُ الْبَصَرُ حَاسِدًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾
القلم		
55	17	﴿إِذَا أَنْسَمُوا لِيَصِرُّ مِنْهَا مُضَيِّعِينَ﴾
الجن		
259	27-26	﴿عَنِّيْلُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢٦ ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَقَنَّ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ...﴾
الانفطار		
265	12 - 10	﴿وَلَنَّ عَلَيْكُمْ لَهُنْفَطِينَ﴾ ١٠ ﴿كَرَامًا كَبِيرًا﴾ ١١ ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	حکمه	مكان وروده	طرف الحديث
25		صحيح البخاري	آخر آية نزلت ﴿يَسْقَطُونَكُمْ فَلَمْ يُقْتَيْكُمْ فِي ...﴾
65		صحيح البخاري	أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَقْدَ ...
276		صحيح البخاري	إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُسْتَأْنِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا ...
259		صحيح البخاري	إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ ...
276	حديث حسن صحيح	سنن الترمذى	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: ...
52		صحيح البخاري	أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُذَاقًا حَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ ...
14	حكم الألباني: حديث مشهور صحيح	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أَلَا إِنِّي أَوْتَيْتُ الْقُرْآنَ وَمَثْلَهُ مَعَهُ
143		صحيحي البخاري و مسلم	أَمَّا وَاللَّهِ لَا سُنْعَفَرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ
240		صحيح مسلم	إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ حَضِيرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ ...
163		صحيح البخاري	إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرِّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ...
241		صحيح البخاري	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ...
279		صحيح مسلم	إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَسْرِيُونَ، وَلَا يَنْقُلُونَ وَلَا ...
110		صحيح مسلم	أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ هَلْ لَهُ مِنْ ...
136	حكم الألباني: حسن	سنن أبي داود	إِنْ سِيَاحَةً أَمْتَيَ الْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى
147	حديث حسن بشواهده	مسند أحمد	أَيْ عَرَى إِلَيْهِ أَوْثَقُ؟، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: "حَسَنَةُ، وَمَا ...
52		صحيح مسلم	إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةُ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْقُقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ
189		صحيح مسلم	الْإِيمَانُ بِضُعْ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ
125	حكم الألباني: صحيح	سنن النسائي	الْبُصَاقُ فِي الْمَسْدِحِ حَطِيَّةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا
170		صحيح مسلم	تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُرْجِعُهُ إِلَّا جِهَادًا ...
232	حكم الألباني: حسن	سنن الترمذى	ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ...

الصفحة	حکمه	مكان وروده	طرف الحديث
238		صحيح مسلم	" خَيْرٌ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... "
123	حكم الألباني: صحيح	سنن ابن ماجه	" صَلَالَةٌ فِي مَسْجِدٍ قِبَاءَ كَعْمَرَةٍ "
236		صحيح مسلم	" عَجَّابًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ... "
178	حكم الألباني: صحيح	سنن الترمذى	" فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفْضَلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ "
159		صحيح البخارى	" فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا ... "
237		صحيح مسلم	" كَانَ إِذَا دَعَا دَعَاءَ ثَلَاثَةَ ... "
183		صحيح البخارى	" كُلُّمَا يَلِيكَ "
197		صحيح البخارى	" كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ ... "
76	إسناده صحيح، رجاله ثقة رجال الشيوخين	مسند أحمد	" لَا بَلْ يُبَيَّأُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ، لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفُتْحِ ... "
20		صحيح مسلم	" لَا تَجْعَلُوا بيوتَكُمْ مقابِرًا، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي ... "
57	حكم الألباني: صحيح	سنن ابن ماجه	" لَا تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلِيَصُدِّقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ ... "
231		صحيح مسلم	" لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ... "
198	حكم الألباني: حسن	سنن الترمذى	" لَا تَرْوُلُ قَدْمَ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسَأَلَ ... "
132		صحيح البخارى	" لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدِ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... "
231		صحيح البخارى	" لَا يَمْتَنِي أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرُّ أَصَابَهُ ... "
189		صحيح البخارى	" لَا يَرْزِنِي الرَّازِنِي حِينَ يَرْزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْحَمْرَ ... "
194		صحيح مسلم	" لَا يَعْدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِعِلْمٍ إِلَّا حَقَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ... "
271		صحيح البخارى	" لَا يُلْدُعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَنِ "
66		صحيح مسلم	" لَا سَلَمُ، وَغَفَارٌ، وَشَيْءٌ مِنْ مُرْبَيَّةَ، وَجُهَيَّةَ، أَوْ شَيْءٌ ... "
251		صحيح البخارى	" لَعْنَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالْأَصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ... "
169		صحيح البخارى	" لَغْدَوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا "

الصفحة	حكمه	مكان وروده	طرف الحديث
171		صحيح مسلم	لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةٍ نَاقَةٌ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ"
103		صحيح مسلم	لَهُ أَشْدُ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ ...
70		صحيح البخاري	اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانِ، فَأَنَّاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: "...
110		صحيح مسلم	لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُوْنَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ ...
170	حكم الألباني: حسن صحيح	سنن ابن ماجه	مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ ...
171		صحيح البخاري	مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، ...
253		صحيح البخاري	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُوَلَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ...
157		صحيح البخاري	مَثُلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ
41		صحيح مسلم	مَثُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ، وَتَرَاحِمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثُلُ الْجَسَدِ ...
58	حكم الألباني: صحيح	سنن الترمذى	مَنْ التَّمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخْطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ ...
225	حكم الألباني: صحيح	سنن ابن ماجه	مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ ...
171		صحيح مسلم	مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ ...
178		صحيح البخاري	مَنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْهَمُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا فَاسِمٌ ...
ت	حكم الألباني : صحيح لغيره	سنن الترمذى	"مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"
120	حكم الألباني: صحيح	سنن الترمذى	"نزلت هذه الآية في أهل قباء {فيه رجال يحبون أن...}
170		صحيح البخاري	هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعُ دَمِيَتْ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ"
158		صحيح البخاري	يَا أَمَّ سَلَمَةَ تَبَّ عَلَى كَعْبٍ" قَالَتْ: أَفَلَا أَرْسَلْ إِلَيْهِ فَأَبْشِرْ؟....
58		صحيح مسلم	يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاعَتُكُمْ إِلَى ...
-216 275		صحيح مسلم	يُؤْتَى بِأَنْعَمَ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ...

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
238	أبو إسحاق الزجاج
151	الأنباري
147	البراء بن عازب
176	الرُّقانِي
16	الشاطبي
244	شهر بن حوشب الأشعري
76	السدي
66	الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني
46	الطُّوطُوشِيُّ
71	عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري
235	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح
15	عثمان بن جني الموصلي
16	علال الفارسي
60	قتادة بن دعامة بن قتادة
262	القطبي
76	مجاشع بن مسعود
16	محمد الطاهر بن عاشور
37	المعروف الكرخي
30	مقاتل بن حيَّان
274	يوسف بن أبي بكر بن محمد أبو يعقوب السكاكى

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيہب بن محمد (المتوفى: 1429هـ)، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، 1417هـ.
- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (المتوفى: 1413هـ)، الناشر: دار الصميمي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثانية، 1414هـ.
- إنقان البرهان في علوم القرآن: فضل حسن عباس، مطبعة: دار الفرقان - الطبعة الأولى 1997م.
- الإنقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/1974م.
- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تاريخ الطبع: 1405هـ.
- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.
- أحكام القرآن: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبرى، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسى الشافعى (المتوفى: 504هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزه عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت - الطبعة: الثانية، 1405هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -.
- الأساس في التفسير: سعيد حوى، الناشر: دار السلام، الطبعة: الأولى 1405هـ - 1985م.
- أسباب النزول، للإمام السيوطي، دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر، الناشر: دار الفجر للتراث - القاهرة -، الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002م.

11. أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، المحقق: علي محمد مغوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: 1415هـ - 1994م
12. الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد مغوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى 1415هـ.
13. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون 1428هـ-2007م.
14. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكنى الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: 1415هـ - 1995م.
15. إعانة المستقיד بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة 1423هـ - 2002م.
16. إعراب القرآن العظيم: ذكريا بن محمد بن أحمد بن ذكريا الأنباري، زين الدين أبو يحيى السندي (المتوفى: 926هـ)، حقه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير)، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
17. إعراب القرآن الكريم: أحمد عبيد الدعاس، أحمد محمد حميدان، إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي - دمشق -، الطبعة: الأولى، 1425هـ.
18. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سوريا، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.
19. إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن بونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1421هـ.
20. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.

21. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان: محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان - مكتبة فرقـ الدخـانـي - الـريـاضـ - المـملـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـوـدـيـةـ، الطـبـعـةـ الـثـانـيـةـ، 1408هـ - 1988م.
22. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، 1418هـ.
23. الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أصوات على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: 1386هـ)، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها عالم الكتب - بيروت -، سنة النشر: 1406هـ - 1986م.
24. أهداف التربية الإسلامية: د. ماجد عرسان الكيلاني الأردني، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى.
25. إيجاز البيان عن معاني القرآن: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الأولى، 1415هـ.
26. أيسر النفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ - 2003م.
27. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندـي (المتوفـى: 373هـ).
28. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفـى: 745هـ) - المحقق: صدقـيـ محمدـ جميلـ، النـاـشرـ: دـارـ الفـكـرـ - بيـرـوـتـ - الطـبـعـةـ: 1420هـ.
29. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدـيـ بن عـجـيـةـ الحـسـنـيـ الأـنـجـرـيـ الفـاسـيـ الصـوـفـيـ (المـتـوفـىـ: 1224هـ)، المـحـقـقـ: أـحـمـدـ عـبـدـ اللهـ القرـشـيـ رسـلـانـ، النـاـشرـ: الـدـكـتـورـ حـسـنـ عـبـاسـ زـكـيـ - القـاهـرـةـ -، الطـبـعـةـ: 1419هـ.
30. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفـىـ: 774هـ)، المـحـقـقـ: عـلـيـ شـيـرـيـ، النـاـشرـ: دـارـ إـحـيـاءـ التـرـاثـ الـعـرـبـيـ، الطـبـعـةـ: الأولىـ، 1408هـ - 1988م.

31. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م.
32. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهدایة.
33. تاريخ إربل: المؤلف: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفى (المتوفى: 637هـ)، المحقق: سامي بن سيد خمس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر - العراق -، عام النشر: 1980م.
34. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.
35. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكري (المتوفى: 616هـ)، المحقق: علي محمد الجاجي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
36. التحرير والتتوير "تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشر التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس -، سنة النشر: 1984هـ.
37. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: سمير المجنوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م.
38. تسبیح الله ذاته العلیة فی آیات کتابه السنیة: عmad بن زهیر حافظ، الناشر: الجامعۃ الاسلامیة بالمدینۃ المنورۃ، الطبعة: 1423هـ - 2003م.
39. التسهیل لعلوم التنزیل: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزی الكلبی الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام - بيروت -، الطبعة: الأولى - 1416هـ.
40. تفسیر ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمی التونسي المالکی، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، المحقق: جلال الأسيوطی، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى، 2008م.

41. تفسير الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى القرآن (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
42. تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (المتوفى: 283هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
43. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب التزول]: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة: 1383هـ.
44. تفسير الشعراوي - الخواطر -: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطبع أخبار اليوم، نشر عام: 1997م.
45. تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
46. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
47. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.
48. تفسير القرآن العزيز: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمین المالكي (المتوفى: 399هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشه - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.
49. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الثالثة - 1419هـ.

50. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ - 1999م.
51. تفسير القرآن الكريم: عبد الله شحاته، دار الغريب القاهرة - مصر - ، الطبعة الثانية 2000م.
52. تفسير القرآن: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية - ، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
53. التفسير القرآني للقرآن - المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ) - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
54. تفسير الماتريدي (تأویلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.
55. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر - ، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.
56. التفسير المظيري: المظيري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام نبی التونسی، الناشر: مكتبة الرشیدیة - الباكستان - ، الطبعة: 1412هـ.
57. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق - ، الطبعة : الثانية ، 1418هـ.
58. التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية - ، الطبعة: الثانية، 1430هـ - 2009م.
59. التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت - ، الطبعة: العاشرة، 1413هـ.
60. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، الطبعة: الأولى، (1393هـ = 1973م) - (1414هـ = 1993م).

61. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة -، الطبعة: الأولى، يناير : 1997م.
62. التفسير الوسيط: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق -، الطبعة : الأولى، 1422هـ.
63. تفسير آيات الأحكام: محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر : 10/01/2002م.
64. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت -، الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
65. تهذيب اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام ابن تيمية، هذب وخرج أحاديثه: شحاته محمد صقر - الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر)، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوبي، ط2، 1412هـ-1992م، الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
66. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، عنيت بنشره وتصححه وتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -.
67. تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف الناظمية - الهند -، الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ.
68. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت -، الطبعة: الثالثة، 1406هـ.
69. توفيق الرحمن في دروس القرآن: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريمي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، حقه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض -، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم - بريدة -، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
70. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: 1233هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423هـ/2002م.

71. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معاً اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
72. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رض - شخصيته وعصره -: علي محمد محمد الصّلّابي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر -، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.
73. التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (المتوفى: 1414هـ) - الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.
74. الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (1973م)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى.
75. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملاني، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
76. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (بصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
77. جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأسبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.
78. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة -، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
79. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الرشيد - دمشق -، مؤسسة الإيمان - بيروت -، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

80. الجديد في شرح كتاب التوحيد: محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، دارسة وتحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، الناشر: مكتبة السوادي، جدة -المملكة العربية السعودية-، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
81. جمال القراء وكمال الإقراء: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمданى المصرى الشافعى، أبو الحسن، علم الدين السخاوى (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: د. مروان العطية، ود. محسن خرابه، الناشر: دار المأمون للتراث دمشق - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
82. الجوادر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1418هـ.
83. الجوادر المضية: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ.
84. حجة القراءات: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ)، محقق الكتاب وتعليق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
85. حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام: عامر بن حسن صبري، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
86. الحد الفاصل بين الإيمان والكفر: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: الدار السلفية - الكويت -، الطبعة: الخامسة، 1408هـ - 1988م.
87. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة -، عام النشر: 1425هـ.
88. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، 1413هـ - 1992م.
89. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت -.
90. دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: 1426هـ)، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م.

91. **دَرْجُ الدُّرُرِ فِي تَقْسِيرِ الْأَيِّ وَالسُّورَ:** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحسين، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسى، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
92. **الرَّحِيقُ الْمُخْتَومُ:** صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى.
93. **رَوَانِيُّ التَّفْسِيرِ (الْجَامِعُ لِتَفْسِيرِ الْإِمَامِ ابْنِ رَجْبِ الْحَنْبَلِ):** زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلَامِيُّ، الْبَغْدَادِيُّ، ثُمَّ الدَّمْشَقِيُّ، الْحَنْبَلِيُّ (المتوفى: 795هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
94. **رُوحُ الْبَيَانِ:** إِسْمَاعِيلُ حَقِّيُّ بْنُ مُصْطَفَى الْإِسْتَانْبُولِيُّ الْخُنْفِيُّ الْخُلُوَّيُّ، الْمَوْلَى أَبُو الْفَدَاءِ (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت -.
95. **رُوحُ الْمَعْانِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِيِّ:** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
96. **رَوْضَةُ النَّاظِرِ وَجَنَّةُ الْمَنَاظِرِ فِي أَصْوَلِ الْفَقَهِ عَلَى مَذَهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ:** أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلاني، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1423هـ-2002م.
97. **زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدى، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
98. **زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ:** محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
99. **سَرَاجُ الْقَارِئِ الْمُبَدِّي وَتَذَكَّارُ الْمُقْرَئِ الْمُنْتَهِي (وَهُوَ شَرْحٌ مُنْظَمٌ حَرَزُ الْأَمَانِي وَوَجْهُ التَّهَانِيِّ لِلشَّاطِبِيِّ):** أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعى المقرئ (المتوفى: 801هـ)، راجعه شيخ

- المقارئ المصرية: علي الضباع، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر -، الطبعة: الثالثة، 1373هـ - 1954م.
100. سراج الملوك: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطروشى المالكى (المتوفى: 520هـ) - الناشر: من أوائل المطبوعات العربية - مصر-، تاريخ النشر: 1289هـ - 1872م.
101. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام رينا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشرييني الشافعى (المتوفى: 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة -، عام النشر: 1285هـ.
102. سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد الفزوي، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي -.
103. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت -.
104. سنن الترمذى: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) - تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، محمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر -، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.
105. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن فايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعه: الثالثة، 1405هـ / 1985م.
106. السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث -: علي محمد محمد الصالabi، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، الطبعة: السابعة، 1429هـ - 2008م.
107. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدنى: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2004م.

108. شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين التويني (المتوفى: 857هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
109. شرح طيبة النشر في القراءات: شمس الدين أبو الخير ابن الجزي، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ض - الطبعة: الثانية، 1420هـ - 2000م.
110. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البهقي (المتوفى: 458هـ)، حقيقه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتأريخه وأحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند -، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند - الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
111. الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى (المتوفى: 393هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت -، الطبعة: الرابعة 1407هـ - 1987م.
112. الصحيح المسند من أسباب النزول: مُعْنِيُّ بْنُ هَادِيِّ بْنُ مُعْنِيِّ بْنِ قَائِدَةَ الْهَمْدَانِيِّ الْوَادِعِيِّ (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة -، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، 1408هـ - 1987م.
113. صدق الله العظيم وكذب النبوءات: علي بن نايف الشحود، الطبعة: الثانية، 1433هـ - 2012م.
114. صفوۃ التفاسیر، محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت -، الطبعة: الرابعة 1402هـ - 1981م.
115. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: حسين بن محمد المهدى - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية -، راجعه: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدى - مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدى، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة 2009م.
116. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (1403هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.

117. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنّة - المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنوافض، والنوافض - د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير - الرياض -، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان - الرياض -.
118. علم مقاصد السور: محمد عبد الله ربيعة، جامعة القصيم، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
119. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
120. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1416هـ.
121. غيث النفع في القراءات السبع: علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن التورى الصفافسي المقرئ المالكي (المتوفى: 1118هـ)، المحقق: أحمد محمود عبد السميم الشافعى الحفيان، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
122. فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِتْوَجِي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صَيَّدا - بيروت -، عام النشر: 1412هـ - 1992م.
123. فتح القدير: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
124. فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات: محمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: 1430هـ)، الناشر: دار البيان العربي - القاهرة -، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
125. فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات: محمد إبراهيم محمد سالم (المتوفى: 1430هـ)، الناشر: دار البيان العربي - القاهرة -، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
126. الفوائح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلام القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجوي، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر، الغورية - مصر -، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.

127. في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، مصر - القاهرة - المكتب المصري الحديث، الطبعة: الأولى.
128. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق، بيروت - القاهرة -، الطبعة: السابعة عشر، 1412هـ.
129. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق - سوريا - الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، تصوير: 1993م.
130. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادی (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسی، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان -، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م.
131. القراءات وأثرها في علوم العربية: محمد محمد سالم محبس (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة -، الطبعة: الأولى، 1404هـ - 1984م.
132. القرآن منهاج حياة: غازي صبحي آق بيق، قام بتنسيقه وفهرسته الباحث في القرآن والسنّة: علي بن نايف الشحود، في 26 رجب 1429هـ، الموافق 29/7/2008م.
133. القرآن واعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة.
134. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت -، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.
135. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002م.
136. كيف نتعامل مع القرآن: محمد الغزالى، الناشر: دار نهضة - مصر -، الطبعة : الأولى.
137. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
138. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنفي الدمشقي النعmani (المتوفى: 775هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد

139. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويسي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت -، الطبعة: الثالثة - 1414هـ.
140. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (2002م)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى.
141. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر -، الطبعة: الثالثة.
142. مباحث في علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص: محمد عباس الباز، الناشر: دار الكلمة - القاهرة -، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.
143. مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة 1421هـ - 2000م.
144. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: 637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة -.
145. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب -، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.
146. المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - عام النشر: 1426هـ.
147. مجلة البيان (238 عدداً)، المؤلف: تصدر عن المنتدى الإسلامي.
148. محسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

149. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاري (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
150. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودرائية: خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية -، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
151. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويقي (1407هـ)، المحقق: روحية النحاس، وأخرون، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - دمشق -، الطبعة: الأولى.
152. مخطوطه الجمل - معجم وتقسيير لغوي لكلمات القرآن -: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر -، الطبعة: الأولى، 2003م - 2008م.
153. مدارك التزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدبو، راجعه وقدم له: محبي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت -، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
154. مراح لبید لکشف معنی القرآن المجید - المؤلف: محمد بن عمر نووی الجاوی البنتی إقلیما، التاری بلدا (المتوفى: 1316هـ)، المحقق: محمد أمین الصناوی، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1417هـ.
155. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وأخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.
156. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -.
157. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَيُسَمَّى: "الْمَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمٍ كُلٌّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى": إبراهيم بن عمر بن حسن الرياط بن علي بن أبي بكر الباقي (المتوفى: 885هـ)، دار النشر: مكتبة المعرف - الرياض -، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

158. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة : الأولى، 1420هـ.
159. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت -، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.
160. المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
161. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.
162. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
163. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة دمشق (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثلثي - بيروت -، دار إحياء التراث العربي.
164. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
165. معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.
166. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
167. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
168. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علاء الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الخامسة، 1993م.
169. المقاصد العامة للشريعة: يوسف حامد العلم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الرياض -، الطبعة: الثانية، 1514هـ - 1994م.

170. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعى (المتوفى: نحو 1100هـ)، المحقق: عبد الرحيم الطرهونى، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر -، عام النشر: 2008.
171. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقانى (المتوفى: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
172. موارد الظمان لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: 1422هـ)، الطبعة: الثلاثون، 1424هـ.
173. المواقفات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبى (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
174. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.
175. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألبانى "موسوعة تحتوى على أكثر من (50) عملاً ودراسة حول العلامة الألبانى وتراثه الخالد": أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتى بن آدم، الأشقرى الألبانى (المتوفى: 1420هـ)، صنَّعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعман - الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن -، الطبعة: الأولى، 1431هـ - 2010م.
176. موسوعة الفقه الإسلامي: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري - الناشر: بيت الأفكار الدولية - الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
177. الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ) - الناشر: مؤسسة سجل العرب - الطبعة: 1405هـ.
178. الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1420هـ.
179. موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

180. الناسخ والمنسوخ - وتزيل القرآن بمكة والمدينة - : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (المتوفى: 124هـ)، رواية: أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1418هـ - 1998م.
181. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1986م.
182. الناسخ والمنسوخ: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقربي (المتوفى: 410هـ)، المحقق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1404هـ.
183. نزول القرآن على سبعة أحرف: مناع بن خليلقطان (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة -، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.
184. النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزي، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
185. نظرات في كتاب الله: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: 1368هـ)، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة -، عام النشر: 1423هـ - 2002م.
186. نظرية المقاصد عند ابن عاشور: إسماعيل الحسني، ط1: 1416هـ - 1995م، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
187. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
188. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصّاب (المتوفى: نحو 360هـ)، تحقيق: الجزء 4: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان ، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
189. النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -.
190. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: 30/01/2003.

191. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر: محمد محمد سالم محبين (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
192. الهدية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتقسيمه، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسى القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنّة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.
193. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (2000م)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت -، الأجزاء: 29.
194. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1412هـ - 1992م.
195. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى، النيسابوري، الشافعى (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودى، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت -، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
196. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى، النيسابوري، الشافعى (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد مغوض، الدكتور أحمد محمد صيرفة، وغيرهم، قدمه وفظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
197. وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، الناشر: فصلات للدراسات والترجمة والنشر - حلب -، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
198. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلkan البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت -، الطبعة: الجزء الرابع، 1971م.

الموقع الالكتروني:

خامساً: فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	آية قرانية
ب	إهداء
ت	شكر وتقدير
1	مقدمة
1	أولاً: أسباب اختيار البحث
2	ثانياً: أهمية البحث
2	ثالثاً: أهداف البحث
2	رابعاً: الدراسات السابقة
التمهيد	
المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف	
12	المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية، وبيان متطلباتها.
15	المطلب الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وبيان أهميتها.
19	المطلب الثالث: طرق معرفة مقاصد السور، وأهم مصنفاتها.
22	المبحث الثاني: تعريف عام بسورتي التوبية، ويونس
22	المطلب الأول: تعريف عام بسورة التوبية
29	المطلب الثاني: تعريف عام بسورة يونس
الفصل الأول	
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة التوبية من الآية (93-110)	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف من الآية (93 - 99)، المتلخفين عن غزوة تبوك من المنافقين والأعراب و موقف الإسلام منهم	
36	المطلب الأول: مؤاخذة المتلخفين الأغنياء عن الغزوة بغير عذر.
42	المطلب الثاني: اعتذار المنافقين المتلخفين عن غزوة تبوك.

الصفحة	الموضوع
48	المطلب الثالث: حلف المتخلفين عن غزوة تبوك الأيمان الكاذبة.
53	المطلب الرابع: موقف المسلمين من المنافقين المتخلفين عن الغزوة.
59	المطلب الخامس: كفر بعض الأعراب ونفاقهم.
66	المطلب السادس: حقيقة إيمان الأعراب.
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة التوبية من الآية (100 - 106)، الفئات الإيمانية المختلفة في المدينة	
75	المطلب الأول: الطبقات الإيمانية في المجتمع المدني.
81	المطلب الثاني: جزاء المنافقين في المدينة ومن حولها.
86	المطلب الثالث: ندم بعض من تخلف عن الغزوة.
91	المطلب الرابع: حكم أخذ الصدقة.
98	المطلب الخامس: قبول التوبية والأمر بالعمل الصالح.
105	المطلب السادس: الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف من الآية (107 - 110)، مسجد الضرار ومسجد التقوى وموقف الرسول ﷺ منها	
113	المطلب الأول: مسجد الضرار (المنافقين).
120	المطلب الثاني: مسجد التقوى (قباء).
126	المطلب الثالث: موقف الرسول ﷺ من مسجد الضرار، ورد فعل المنافقين.
الفصل الثاني	
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة التوبية من الآية (111 - 129)	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف من الآية (111 - 119)، الولاء والبراء	
135	المطلب الأول: صفات المؤمنين الصادقين.
143	المطلب الثاني: الولاء للمؤمنين، والبراء من المشركين.
149	المطلب الثالث: شروط المؤاخذة (العقاب) على الذنب.
154	المطلب الرابع: التوبية العامة وشروطها.

الصفحة	الموضوع
158	المطلب الخامس: التوبية الخاصة على الثلاثة الذين خلوا عن غزوة تبوك.
	المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة التوبية من الآية (120 - 123)، الجهاد في سبيل الله
166	المطلب الأول: فريضة الجهاد على أهل المدينة والأعراب، وجزاؤه.
174	المطلب الثاني: الجهاد فرض كفایة، وطلب العلم فريضة.
180	المطلب الثالث: السياسة الحربية في قتال الكفار.
	المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة التوبية من الآية (124 - 129)، نزول القرآن على أمين الأئم
186	المطلب الأول: ثبت قلوب المؤمنين عند نزول القرآن الكريم.
190	المطلب الثاني: موقف المنافقين من نزول السور القرآنية.
195	المطلب الثالث: صفات الرسول ﷺ ذات الصلة بأمته.
الفصل الثالث	
الدراسة التحليلية لمقاصد الأهداف سورة يونس من الآية (1-25)	
	المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (1-10)، القدرة الإلهية
201	المطلب الأول: الحروف المقطعة.
205	المطلب الثاني: إنكار العرب مهمة الرسول ﷺ.
210	المطلب الثالث: العبادة لخالق السموات والأرض.
214	المطلب الرابع: وعد الله حق.
217	المطلب الخامس: إثبات القدرة الإلهية في السنن الكونية.
222	المطلب السادس: المؤمن والكافر وعاقبة كُلِّ منهما.
	المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (11-18)، سنن الله في الإستخلاف و موقف الناس منه
228	المطلب الأول: استعجال الإنسان الخير دائمًا.
233	المطلب الثاني: أحوال البشر في الدعاء عند مسمهم الضُّرُّ.
238	المطلب الثالث: سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة والكافرة، وإستخلاف خلائف بعدهم.

الصفحة	الموضوع
243	المطلب الرابع: مطالبة المشركين الرسول ﷺ بقرآن آخر أو تبديل بعض آياته.
248	المطلب الخامس: عبادة المشركين للأصنام وادعاء شفاعتها.
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يونس من الآية (19-25) ، حال المكذبين مع عدل رب العالمين	
253	المطلب الأول: فطرة الله الناس على الدين الحق.
257	المطلب الثاني: مطالبة المشركين نزول آية كونية من رب العالمين.
261	المطلب الثالث: إنكار الفضل، وزوال الأجر.
266	المطلب الرابع: عادة الكفار المكر واللجاج، وعدم الإنصاف عند الإنفراج.
272	المطلب الخامس: المثل البليغ للحياة الدنيا.
278	المطلب السادس: دعوة الله إلى دار السلام، والهداية إلى طريق الاستقامة.
281	الخاتمة:
281	أولاً: النتائج
282	ثانياً: التوصيات
الفهارس العامة	
285	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
296	ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة
299	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
300	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
320	خامساً: فهرس المحتويات
324	ملخص باللغة العربية
325	ملخص باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، والتي بعنوان: **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم الحزب الحادي والعشرين من القرآن الكريم (سورة التوبه الآيات: 93 – 129)**، و(**سورة يومن الآيات: 1 – 25**) والمكونة من: مقدمة، وفصل تمهدى، وثلاثة فصول، وخاتمة.

تحدثت الباحثة في التمهيد عن التعريف بالدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً، وبينت طرق معرفتها وأهم المصنفات التي تناولتها، ثم تحدثت عن التعريف بسورتي التوبه ويومن، وكذلك بيان المناسبات فيها، ثم تناولت الباحثة في الفصول الثلاثة المقاصد والأهداف في الحزب الحادي والعشرين، مقسمةً هذه الفصول لعدة مباحثٍ، بداخلها عدة مطالبٍ، كل مطلبٍ منها يحمل هدفاً أو مقصدًا من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السورة، وكذلك استبطاط أهم الهدایات من هذه المقاصد والأهداف.

وقد سلكت الباحثة خلال بحثها المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، حيث تناولت في كل مطلبٍ من المطالب، وبعد ذكر الآية المراد إبراز الهدف والمقصد منها، عدة عناوين أوجزت في كتابتها لتسهل على القارئ إيجاد المعلومة بشكلٍ سهلٍ ومرحٍ، وهي على الترتيب: مناسبة المقصد

لما سبقه، وسبب النزول إن وجد، والتفسير التحليلي للمقصد من: معاني الكلمات، والإعراب، وبيان جوانب البلاغة، وأوجه القراءات، والاستبطاطات الفقهية، والاشارات الغيبية إن وجد، والتفسير الإجمالي لآلية، وأخيراً تحقيق الهدف والمقصد في الآيات، مستتبطةً منها أهم الهدایات وال عبر.

وفي نهاية الرسالة ذكرت الباحثة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها خلال البحث، ثم ذكرت مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهد ممكن.

Abstract

Was the praise of Allah and to reconcile the completion of this Research, which titled: Analytical study of the purposes and objectives of the Koran Hizb twenty one (Surat Al Tuba verses : 93-129), and (Surat Yunus verses: 1-25), consisting of: introduction, introductory chapter, three chapters, and the conclusion.

The researcher mentioned at the introduction the definition of the analytical study: language, Idiomatically, and writing.

Also The definition of Surat Al Tuba and Surat Younis, also as well as the statement of occasions where, then the researcher mentioned in three chapters about the purposes and goals of Hizb twenty, divided these chapters to several objects, inside several demands, each demand which carries a goal of the purposes and objectives of the Holy Koran in The Surah where researched, as well as the deduction of the most important guidance of these purposes and goals.

The researcher followed during her research analytical method of interpretation, where I've had in all the demand of demands, and after mentioning mean of the verse to highlight the object and purpose of each, several titles outlined in writing to make it easier for the reader to find the information in an easy and comfortable way, which is on the order: suitable destination for the previous, The reason to go down if there, and analytical interpretation of the intent such: the meanings of words, the syntax, and the statement of aspects of the rhetoric, and aspects of the readings, and the deduction of jurisprudence, and signals metaphysical, if any, and the interpretation of the total of the verses, and finally achieve the goal and destination in the verses, conclude the most important guidance and lessons.

At the end of the research, the researcher mentioned the most important conclusions and recommendations reached during the search, then mentioned group indexes to facilitate access to information with minimal effort.